

(١١٢١)

من تحذيرات ابن الجوزي

مواعظ ورقائق

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"وقال أبو محمد العجلي: دخلت على رجل في النزع فقال لي: سخرت بي الدنيا حتى ذهبت أَيامي، وفي الحديث: (أما إِنكم لو أَكثرتُم ذكر هاذم اللذات؟!). يا من قد امتطى بجهله مطايا المطالع، لقد ملأ الواعظ في الصباح المسامع؛ تالله لقد طال المدى فأَين المدامع؟ أَين الذين بلغوا المنى فما لهم في المنى منازع، رمتهم المنايا بسهامها في القوى والقواطع، فعلموا أن أيام النعم في زمان الخوادع، ما زال الموت يدور على الدوام حتى طوي الطوالع، صار الجندل فراشهم بعد أن كان الحرير فيما مضى المضاجع، ولقوا والله غاية البلاء في تلك البلاقع، جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا، وبنوا مساكنهم فما سكنوا، فكأَنهم بها ظعناً لما استراحوا ساعة ظعنوا. لقد أُمكنتَ الفرصة أيها العاجز، ولقد زال القاطع وارتفع الحاجز، ولاح نور الهدى فالمجيب فائز، وتعاظمت الرغائب وتفاقمت الجوائز؛ فأَين الهمم العالية، وأَين النجائز؟ أَما تخافون هادم اللذات والمنى والمناجز. أما اعوجاج القناة دليل الغامز. أما الطريق طويل وفيه المفاوز. أما عقاب العتاب تحوى الهزاهز. أَما القبور قنطرة العبور فما للمجاوز. أما يكفي في التنقيص حمل الجنائز. أَما العدد كثير فأَين المبارز؟ أما الحرب صعب والهلك ناجز، والقنا مسوغ والطعن واجز، والأمر عزيز والرماح البوس نواكز. تالله بطلت الشجاعة من بني العجائز، وتريد إِصلاح نادك والأمر ناشز. إِن لم يكن سبق الصديق فليكن توبة ماعز.

الفصل الخامس

ذِمّ الدُّنيا

أَيها العبد: تفكر في دنياك كم قتلت، وتذكر ما صنعت بأَقرانك، وما فعلت، **واحذرها** فإِنها عما لابد منه قد شغلت، وإِياك أن تساكنها فإِنها إِن حلت رحلت. وروى عمار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (مرَّ بشاةٍ ميتةٍ قد ألقاها أهلها، فقال: والذي نفسي بيده إِنَّ الدنيا أهون على الله من هذه على أَهلها). وكان يقول في صفة الدنيا: (أَولها عناءٌ، وأخرها فناء. حلالها حسابٌ وحرامها عقابٌ. من استغنى بها فُتن، ومن افتقر إِليها حزن، ومن سعى لها فاتته، ومن نأى عنها أَتته، ومن نظر إِليها أعمته، ومن بصر بها بصرته). وصفها بعض العلماء، فقال: جمةُ المصائب، رتقةُ المشارب، لا تفي لصاحب. وقال يحيى بن معاذ: الدنيا خمر الشيطان: من شربها لم يفق إلا بين عساكر الموتى، نادماً بين الخاسرين قد ترك منها لغير ما جمع، وتعلق بحبل غرورها فانقطع، وقدم على من يحاسبه على الفتيل والنقير والقطمير، فيما انقرض عليه من الصغير والكبير، يوم تزل بالعصاة القدم، ويندم المسئ على ما قدم. يا من حيات حياته بالآفات لوادغ، وأَغراضه المنقلبة إِليها منقلبة زوائغ، وشياطين هواه بينه وبين ما هو له نوازع، وسهام

سهوه في لهو دينه بوالغ قد جرحت الحجر على قلبه فأنساه الحجر الدامغ، إن وعظ فساه، وإن قوم فزائغ، قلبه ملآن بالهوى، ومن التقى فارغ كأني بك، وسيف الممات في دم الحياة والغ، نازلك فانزلك بالنوى عن الأعالي النوابغ، وتقضي التيامن نبات سلب الحلى الصايغ، ومر إليك فمر عليك الشراب السايغ، وطمس شموس عزك المنيرات النوازغ وخرق دروع المنيعات السدايغ، أين من جمع الأموال وحماها، واهاً لمن جمعها واقتناها، تناهى أجله وما تناهى، كم سلبت الدنيا أقواماً أقواماً كانوا فيها وعادت عزهم أحلاماً أحلاماً، فتفكر في حالهم كيف حال، وانظر إلى من مال إلى مال، وتدبر أحوالهم إلى ماذا آل، وتيقن أنك لاحق بهم بعد ليال، عُمرك في مدةٍ ونفسك معدود، وجمسك بعد مماتك مع دود، كم أمّلت أملاً فانقضى الزمان وفاتك، وما أراك تفيق حتى تلقى وفاتك، **فاحذر** زلل قدمك، وخف طول ندمك، واغتنم وجودك قبل عدمك، واقبل نصحى لا تخاطر بدمك.

الفصل السادس

قُمِ الليلَ واترك التكاسل

لله در أقوام هجروا لذيذ المنام وتنصلوا لما نصبوا له الأقدام، وانتصبوا للنصب في الظلام، يطلبون نصيباً من الإنعام، إذا جنّ الليل سهروا، وإذا جاء النهار اعتبروا، وإذا نظروا في عيوبهم استغفروا، واذا تفكروا في ذنوبهم بكوا وانكسروا. قال عليه الصلاة والسلام: (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإنه قربة إلى ربكم، ومغفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم).." (١)

"وقال يحيى بن معاذ: لو سمع الخلائق صوت النائحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفنا تساقطت القلوب منهم حزناً، ولو رأت القلوب بعين الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس خوفاً. ولو رأت القلوب بعين الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس خوفاً. ولو أدركت القلوب كنه محبة خالقها لتخلعت مفاصلها ولهاً، ولطارت الأرواح من أبدانها دهشاً. سبحان من أغفل الخليقة عن كنه هذه الأشياء وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأنباء. يا ذاهباً في شططه، يا واقفاً مع غلطه، يا معترضاً لعقوبة الأحد، ما سخطه؟ يا معرضاً عن الاعتبار سمعه، يا مطلقاً لسانه في غلطه، يا من لا يفرق بين صحيح القول وسقطه، أما له عبرة بقرطبة؟ أما هناك استدراك لفارطه، إلى متى على قبيح غطه؟ هلا عبأ متاعه في سقطه، ألا حذر من في يد طاهي، كلا لو صحا لاتعظ وأثر فيه اللوم وازدجر، لكنه في غاية الغلظ، أفسدته المعاصي فلم يظهر الشيب، وانقرض لا يلتفت إلى من لام ولا من وعظ، سيندم على تضييع ما كان احتفظ، سيفر العلاج إذا زادت

---

(١) مواعظ ابن الجوزي، ص/٥

الكظظ، سيخرس لسان طال ما لفظ، من لم يبق من عمره إلا الأمل، وهو للوزر العظيم قد حمل وأثقل، سيعرض عليك من المعاصي مما دق وجل، تراعى الخلق وتنسى حقه عز وجل، قد سود صحيفته وملأها من قيح العمل، حملت عليه الأمانة فتغافل عنها وضلّ، يدعى إلى الاستقامة، ولكما قوم ذل، لا يعرف ولا يقبل، قد حله رحلة، نحلة مناحلها من حل، قد غره مكر سوف، وأوثقه قيد لعلّ، إلام تمنى النفس ما لا تناله؟ وتذكر عيشاً لم يعد متصرماً، وقد قالت السبعون للهرى: دعاني لشأني واذهبا حيث شئتما٠

الفصل الثامن

امقت نفسك وازدرها

إخواني: من تفكر في ذنوبه تاب ورجع، ومن تذكر قبيح عيوبه ذل وتواضع، ومن علم أن الهوى يسكن تصبر، ومن تلمح إساءته لم يتكبر٠ كان يزيد الرقاشي يقول: والهفاه، سبق العابدون وقطع بي، وكان قد صام أثنين وأربعين سنة٠ وقال حذيفة المرعشي: لو أصبت من يبغضنى حقيقة، لأوجبت على نفسي حبة٠ فيا أيها العبد، عُد على نفسك باللوم والمقت، واحذرها، فكم ضيعت عليك من وقت؟ واندم على زمان الهوى، فمن كيسك أنفقت، ونادها يا محل كل بلية فقد والله صدقت٠ وروى وهب بن منبه: أن رجلاً صام سبعين سنة يأكل كل سنة إحدى عشرة تمرة، وطلب حاجة من الله فلم يعطها، فأقبل على نفسه فقال: من قبلك بليت، لو كان فيك خيراً أعطيت، فنزل إليه ملك فقال: إن ساعتك هذه التي ازدريت فيها على نفسك خير من عبادتك، وقد أعطاك الله حاجتك٠ وقال فضيل بن عياض: أخذت بيد سفيان بن عيينة في هذا الوادي، فقلت له: إن كنت تظن أنه قد بقي على وجه الأرض شر مني ومنك، فبئس ما ترى٠ وقال رجل لأبي الحسن الموسمى: كيف أنت؟ فقال: خفيت أضراسي من أكل نعمة، وكل لساني من كثرة ما أشكوه٠." (١)

"إخواني: المؤمن مع نفسه لا يتوانى عن مجاهدتها، وإنما يسعى في سعادتها، فاحترز عليها واغتنم لها منها، فإنها إن علمت منك الجد جدت، وإن رأتك مائلاً عنها صدت، وإن حثها الجد بلحاق الصالحين سعت وقفت، وإن توانى في حقها قليلاً وقفت، وإن طالبها بالجد لم تلبث أن صفت وأنصفت، وإن مال عن العزم أماتها، وإن التفت عربدت، من صبر على حر المجلس خرج إلى روح السعة، من رأى التناهي في المبادي سلم، ومن رأى التناهي هلك؛ لأن مشاهدة التناهي تقصير أمله، ومشاهدة المبادي في التناهي تسوف عمله، وفي الجملة: من راقب العواقب سلم٠ يا هذا: هلال الهدى لا يظهر في غيم الشبع، ولكن

---

(١) مواعظ ابن الجوزي، ص/٧

يبدو في صحو الجوع وترك الطمع، **واحذر** أن تميل إلى حب الدنيا فتقع، ولا تكن من الذي قال: سمعت وما سمع، ولا ممن سوف يومه بغده فمات ولا رجع، كلا ليندمن على تفريطه وما صنع؛ وليسألن عن تقصيره في عمله وما ضيع، فيا لها من حسرة وندامة وغصةٍ تجرع، عند قراءة كتابه وما رأى فيه وما جمع، فبكى بكاء شديداً فما نفع، وبقى محزوناً لما رأى من نور المؤمن يسعى بين يديه وقد سمع، فلا ينفعه الحزن ولا الزفير ولا البكاء ولا الجزع.

الفصل الحادي عشر

احذر النار

إخواني: لقد خاب من آثر شهوة من حرام، فإن عقباها تجرع حميم آن، وخسر – والله – من أطلق نفسه فيما تريد، بعد أن سمع الزبانية وأغلال الحديد، وهلك كل الهلك وبار كل البوار؛ من اشترى لذة ساعة بعذاب النار. قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة). وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ناركم هذه مما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من جهنم). وروى ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، يجرونها). وقال وهب بن منبه: إذا سيرات الجبال، فسمعت حسيس النار، نقيضها وزفيرها وشهيقها، صرخت الجبال كما تصرخ النساء، ثم يرجع أوائلها على أواخرها يدق بعضها بعضاً. وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يعظم أهل النار حتى إن بين شحمة أُذن أحدهم وعاتقه سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحُد). وروى الزهري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيلهب ما في جوفه، حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر ثم يعاد كما كان). وقال أبو موسى: أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت. لله در أقوام أذهبوا أعمارهم في طلبي وأتعبوا أعضاءهم في فرضي وواجبي وقطعوا قواطعهم لأجلِ التعلق بي، وحلموا عن الجهال خوفاً من غضبي، فإذا مروا على النار، قالت: جرياً يا مؤمن قد أطفأ نورك لهبي. إذا رأت النار من جاهد بالخير، وما خافت خافت، وإذا شاهدت نفوساً طال ما صافت صافت، وإذا عاينت أجساماً ما نبتت من الحرام وعافت عافت. هلا تشبهت يا هذا بهؤلاء القوم، هلا تنبهت من هذا الرقاد والنوم، وأنت وقت العشاء نائم، وقلبك

في حب شهوات البهائم هائم، قل للذي ألجأه عاجل لهوه عن حظه، يحكى البهائم هائماً: أمسنا الفنا، خذ حكمة تخصنا بها؛ فانظر ولا تبغ الفنا يا نائم، يا هذا: المحب يُطرَدُ فلا يزول وأنت تُدعى فلا تجب.
كم ليلة ينادى – وأنت غائب – : هل من سائل؟ هل من تائب؟
فَإِن تَمَنَعوا منّي السَّلامُ فإِنَني ... لَغَادٍ عَلى حِيطَانِكُم فُمُسَلِّمُ
رحم الله عظماً طالما نصبت وانتصبت، فإذا جن الليل عليهم فتمكن وثبت وثبت، إن ذكرت عدله رهبت وهربت، وإن تفكرت فضله فرحت وطربت، اعترف عن طاعته أنها قد أذنبت، وقامت شاكرة لمن جمعها على إحسانه فنبت، لاحت لها ذنوبها فبكت عليها وندبت وصاحت بها ألسن الغفران؛ فاهتزت وربت:
قِف بالدِيار فَهَذِهِ آثارُهُم ... تَبكي الأَحِبَّة حَسرَةً وتشوُّقاً
كَم قَد وقَفتُ بِها أُسائلُ مُخبِراً ... عَن أَهلِها أَو صادِقاً أَو مُشفِقاً." (١)

"الأيَّام تنقضي حتى يوارى جسمه في رمسه فمؤجل يلقى الردى في غيره، ومعجل يلقى الردى في نفسه، الدنيا لمن فهم، قنطرة العبور وسوق التزود ومتطهرة التنظيف وزرعت للحصاد، فأما للعاقل فهي مفرقة المجامع، ومحزنة الربوع، ومجرية الدموع، من نال من دنياه أمنيته أسقطت الأيام منها الإلف، اطلب فيها قدر بلغتك، وخذ مقدار حاجتك خصها خصوص المسافر في طلب علف بعيره، اطلب الدنيا قدر الحاجة، واطلب الآخرة على حسب الطاقة، هذا ولو أنك بلغت إلى الحمى التوكل لاستراح قلبك، وغذاك الله كما يغذي الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً.

الفصل الخامس والعشرون

احذر الغفلة

قال الله عز وجل: (وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوَى، فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوَى). فإن اختلف المفسرون في المراد بمقام ربه على قولين: أحدهما: إنه قيام العبد بين يدي ربه يوم الجزاء. والثاني: إنه قيام الله تعالى عباده فأحصى ما اكتسب، والمراد بالهوى ههنا، ما يهوى العبد من المحارم، فيذكر مقامه للحسنات، واعلم: أن من تفكر عند إقدامه على الخطيئة في نظر الحق إليه رده فكره خجلاً مما هم به، فالناس في ذلك على مراتب فمنهم من يتفكر عند جولان الهم بالذنب فيستحي من مساكنة ذلك الخاطر، وهذا مقام أهل الصفا، ومنهم من قويت أسباب غفلته فهو ساكن ذلك الهم إلا أنه لا يعزم عليه، ومنهم من يعزم لقوة غفلته، فهو يستسقي إقدامه فيما عزم عليه، ومنهم من زاد على ذلك بمقارنته المحظور ومداناته،

(١) مواعظ ابن الجوزي، ص/١٠

ثم تدركه اليقظة، وإنما يكون هذا على مقدار تكاثف الغفلة وقلتها، فيفكر عند خاطره في عظمته من قد علم، وعند يقظه في جلال من قد سمع، وعند فعله في عزة من قد رأى، وهذا الفكر إنما نبت عن إصرار راسخ من الإيمان في القلب راعاه الحق إليه **حذار** علته ومعاملة صادقة في الخلوة، إلا أن الغفلة عن التذكرة والسعي على جادة الهوى غشى على القلب، وران عليه فإذا هم بخطيئة أو قاربها اقتلب مراعاة الحق إليه، خذ مراعاته بحق الحق قبل ذلك كما قال الله عز وجل: (فَلَولا أَنَّهُ كَانَ مِن المُسَبِّحِينَ)، وقال: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً)، وكما جاء في الحديث: (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة). فما ينفر طائر قلبه من وسخ العزم على الذنب ثم عام في بحر الحياة خجلاً مما هم به يخرج نقياً بعد الوسخ طاهراً بعد النجس، لأن الأصل محفوظ بالصدق ومرهون بالإيمان، ولولا لطف الحق لكشف حجب الغفلة لبراقع الذنب، غير أنه أراه برهان الهدى فرجع، وأقام له هاتف التقوى فخشع، والقلوب تحن إلى ما اعتادت وألفت، وتنازع إلى ما مرنت عليه وعرفت. أما سمعت قول عمر بن أُبيَّ:

بَينَما نَحنُ في ولادِكَ فالقاعُ ... سِراعاً والعيشُ يهوى هوياً

خَطَرت خطرَةً عَلى القلبِ مِن ... ذِكراكَ وهُنا فما أَطقت مضياًّ

قُلتُ للشوقِ إذا دعاني ... لبيك وللحاديين ردُّوا المطيَّا

أثارَهُم بعدَهُم وما صَنعوا ... تخبرنا أُنُناً لَهُم تبعُ

يا واقِفاً بالدِّيارِ مُكتَئباً ... يندِبُ قوماً مَن مَلكهم نُزعوا

ادخل إِلى الدارِ فهيَ خاليةٌ ... مِن سادة في التُراب قَد وضَعوا

إِذا تأَملتُهُم كأَنَهُم ما ... نَظَروا نَظرةً ولا سمعوا

ولا جرى بينهم مذاكرة ... ولا لنصر سعوا ولا نفعوا

كانوا كركب خطور رحالهم ... فما استَراحوا حتَى لَها رجَعوا

تم كتاب الياقوتة على التمام والكمال، والحمد لله وحده وصلى الله عليى سيدنا محمد وآله وسلم." [١]

" | في الوسط ، وبات في اللحد محبوسا كالأسير المرتبط ، واستلبت ذخائره ففرغ الصندوق | والسفط ، وتمزق الجلد المستحسن وتمعط الشعر القطط ، فكأنه ما رجله قط | وكأنه ما امتشط ، وبعد [عنه من يحبه إي والله وسخط] ورضي وراثه بما أصابوه | وجعلوا نصبه السخط ، وفرقوا ما كان يجمعه بكف البخل والقنط ، ووقع في قفر | لا ماء فيه ولا حنط ، وكم حذر من وقوعه وكم أوقف على النقط ،

---

(١) مواعظ ابن الجوزي، ص/١٧

وكم حدث | أن سعد بن معاذ في القبر انضغط ، ويحك اقبل نصحي ولا تتعرض للسخط ، **واحذر** | من المعاصي قبلقمة زل آدم وهبط ، ويحك اغتنم رخص السعر فكأن قد قحط | وبادر للسلامة فكأن قبض من بسط ، وتفكر كيف كف بالعقوبة كف من انبسط ، | أترى تقبل [قول] النذير أو لا تصدق الفرط . |

". (١)

" | | يا حاملا من الدنيا أثقالا ثقالا ، يا مطمئنا لا بد أن تنتقل انتقالا ، يا مرسلا عنان لهوه | في ميدان زهوه إرسالا ؛ كألك بحفنيك حين عرض الكتاب عليك قد سآلا . | | أين المعترف بما جناه ، أين المعتذر إلى مولاه ، أين التائب من خطاياه ، أين الآيب | من سفر هواه ، نيران الإعتراف تأكل خطايا الاقتراف ، مجانيق الزفرات تهدم | حصون السيئات ، مياه الحسرات تغسل أنجاس الخطيئات . | | يا طالب النجاة دم على قرع الباب ، وزاحم أهل التقى أولي الألباب ، ولا تبرح | وإن لم يفتح فرب نجاح بعد الياس ، ورب غنى بعد الإفلاس . | | (صبرا فما يظفر إلا من صبر ٪ إن الليالي واعدات بالظفر) ٪ | | (وربما ينهض جد من عثر ٪ ورب عظم هيض حينا وانجبر) ٪ | | إذا تبت من ذنوبك فاندم على عيوبك ، وامح بدموعك قبيح مكتوبك ، والبس | جلباب الفرق ، وتضرع على باب القلق ، وقل بلسان المحترق : | | (قد فعلت القبيح وهو شبيهي ٪ خطأ فافعل الجميل بعفوك) ٪ | | (وفدت رغبتي إليك وما زلت ٪ تحيي بالنجح أوجه وفدك) ٪ | | قف وقوف المنكسرين ، وتبتل تبتل المعتذرين ، واستشعر الخضوع ، واستجلب | الدموع ، واحتل **واحذر** سهم الغضب أن يصيب المقتل . | | (يا سيدي ما هفوتي بغريبة ٪ مني ولا غفرانها بطريف) ٪ | | (فإن تقبل العبد الضعيف تطولا ٪ فإن رجائي فيك غير ضعيف) ٪ | | كم أتيت ذنبا فسترت ، وكم جنيت جناية فنظرت ، فبالحلم والكرم إلا غفرت . | | (فقد طالما أنقذتني يداك ٪ وقد قلقلتني حبال الردى) ٪ | | (فوالله لا شمت غيثا سواك ٪ فإما نداك وإما الصدى) ٪ |

". (٢)

---

(١) التبصرة، ٢٣/١

(٢) التبصرة، ٧٠/١

" | | والسوء في القرآن على عشرة أوجه : أحدها الشدة ! ٢ [١] ٢ ! | والثاني : الزنا : ! ٢ [٢] ٢ ! . والثالث : البرص ! ٢ [٣] ٢ ! والرابع : العذاب ! ٢ [٤] ٢ ! والخامس الشرك : ! ٢ [٥] ٢ ! والسادس السب : ! ٢ [٦] ٢ ! والسابع الضر : | ! ٢ [٧] ٢ ! والثامن الذنب : ! ٢ [٨] ٢ ! والتاسع القتل | والهزيمة : ^ (لم يمسهم سوء) ^ والعاشر العقر : ! ٢ [٩] ٢ ! . | | فكانت تشرب ماء الوادي كله [في يوم] . وتسقيهم الدر مكانه . | | قوله تعالى : ! ٢ [١٠] ٢ ! أي أنزلكم ! ٢ [١١] ٢ ! | السهل : ضد الحزن . والقصر : ما شيد وعلا من المنازل . | | قال ابن عباس رضي الله عنهما : اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف | ونقبوا في الجبال للشتاء . | | قال وهب بن منبه : كان الرجل منهم يبني البنيان فيمر عليه مائة سنة ، فيخرب ، | ثم يجدده فيمر عليه مائة سنة فيخرب ، فأضجرهم ذلك ، فاتخذوا من الجبال بيوتا . | | قال علماء السير : لم يلتفتوا إلى قول صالح واحتالوا على قتله ، فذلك قوله تعالى : | ! ٢ [١٢] ٢ ! وقعدوا في أصل جبل ينتظرونه ، فوقع الجبل عليهم فهلكوا ، ثم | أقبل قوم منهم يريدون قتل الناقة فقال لهم صالح : ! ٢ [١٣] ٢ ! أي احذروا | ناقة الله وشربها من الماء . فكمن لها قاتلها وهو قدار بن سالف في [أصل] | شجرة فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ، ثم شد عليها بالسيف فكشف | عرقوبها ، ثم نحرها . |

---

(١) يسومونكم سوء العذاب

(٢) ما علمنا عليه من سوء

(٣) تخرج بيضاء من غير سوء

(٤) لا يمسهم السوء

(٥) ما كنا نعمل من سوء

(٦) وألسنتهم بالسوء

(٧) ويكشف السوء

(٨) يعملون السوء بجهالة

(٩) ولا تمسوها بسوء

(١٠) وبوأكم في الأرض

(١١) تتخذون من سهولها قصورا

(١٢) لنبيتنه وأهله

(١٣) ناقة الله وسقياها

". (١)

" | | يا من يبارز مولاه بما يكره ، ويخالفه في أمره آمنا مكره ، وينعم عليه | وهو ينسى شكره ، والرحيل قد دنا وماله فيه فكرة ، يا من قبائحه ترفع عشيا وبكرة ، | يا قليل الزاد ما أطول السفرة ، والنقلة قد دنت والمصير الحفرة ، متى تعمل | في قلبك المواعظ ، متى تراقب العواقب وتلاحظ ، أما تحذر من أوعد وهدد ، أما تخاف | من أنذر وشدد ، متى تضطرم نار الخوف في قلبك وتتوقد ، إلى متى بين القصور | والتواني تتردد ، متى تحذر يوما فيه الجلود تشهد ، متى تترك ما يفنى رغبة فيما لا ينفد ، | متى تهب بك ريح الخوف كأنك غصن يتأود ، البدار البدار إلى الفضائل ، والحذار | الحذار من الرذائل ، فإنما هي أيام قلائل : | | (اغتنم في الفراغ فضل ركوع ٪ فعسى أن يكون موتك بغتة) ٪ | | (كم صحيح رأيت من غير سقم ٪ ذهبت نفسه السليمة فلتة) ٪ | | حج مسروق فما نام إلا ساجدا ، وكان مجير بن الربيع يصلي حتى ما يأتي فراشه إلا حبوا . | | (اغتنم ركعتين زلفى إلى الله ٪ إذا كنت فارغا مستريحا) ٪ | | (وإذا ما هممت أن تفعل الباطل ٪ فاجعل مكانه تسبيحا) ٪ | | يا سكران الهوى وإلى الآن ما صحا ، يا مفنيا زمانه الشريف لهوا ومرحا ، يا معرضا | عن لوم من لام وعتب من لحا ، متى يعود هذا الفاسد مصلحا ، متى يرجع هذا الهالك مفلحا . | | لقد أتعبت النصحاء الفصحاء ، أما وعظمت بما يكفي ، أما رأيت من العبرة ما يشفي ، | فانظر لنفسك قبل أن يعمى الناظر ، وتفكر في أمرك بالقلب الحاضر ، ولا تساكن الفتور | فإنك إلى [مسكن] القبور صائر ، فالحي للممات ، والجمع للشتات [والأمر] ظاهر . | | (عاص الهوى إن الهوى مركب ٪ يصعب بعد اللين منه الذلول) ٪ |

". (٢)

" | | (تلونت خلائق الدهر به ٪ فحنكته صهبه ودهمه) ٪ | | (واختبر الناس فلو ساومته ٪ قرب أخيه علة يحتشمه) ٪ | | (والله ما عفتك يا دنيا بلى ٪ وإن فيك لمتاعا أعلمه) ٪ | | (لكن أبناءك من لا صبغتي ٪ صبغته ولا وفائي شيمه) ٪ | | (أخرج من حكمة الصدر وما ٪ فيهم بسحري من يصح سقمه) ٪ | | (كم باسم لي من وراء سره ٪ والليث لا يغرني تبسمه) ٪ | | (وحاطب على اتخاذي صحبتي ٪ والبدر مولود بغير توأمه) ٪ | | سبحان من كشف لأحبابه ما غطى عن الغير

---

(١) التبصرة، ٩٤/١

(٢) التبصرة، ٩٧/١

، وأعطاهم من جوده كل خير ومير ، | فقطعوا مفاوز الدنيا بالصبر ولا ضير ، وكابدوا المجاعة حتى استحيا راهب الدير ، | أفي أحوال هذه الدنيا تمارى ، أما ترى زيها مستردا مستعارا ، وسلب القرين يكفي وعظا | واعتبارا . أما اللذات فقد فنيت وأبقت عارا ، وأما العمر فمنتهب جهارا . إياك وإيا | الدنيا فرارا فرارا ، لقد قرت عيون الزاهدين وماتوا أحرارا ، قتلت أقرانهم فانتهضوا | يأخذون ثارا ، وباعوها بما يبقى لا كرها بل اختيارا ، قطعوا بالقيام ليلا وبالصيام نهارا ، | واتخذوا الجد لحافا والصبر شعارا ، وركبوا من العزم أمضى من العربان المهارى ، | واهتدوا إلى نجاتهم والناس في الجهل حيارى . | | ربح القوم وخسرت ، وساروا إلى المحبوب وما سرت ، وأجيروا من اللوم | وما أجرت ، واستزيدوا إلى القرب وما استزدت ، ذنوبك طردتك عنهم ، وخطاياك | أبعدتك منهم ، قم في الليل ترى تلك الرفقة ، واسلك طريقتهم وإن بعدت الشقة ، | وابك على تأخرك واحذر الفرقة . |

(١) ".

" | كما قالت العرب : قد أولع الرجل بالأمر فجعلوه مفعولا وهو صاحب الفعل ، ومثله : | ' أرعد زيد ' و ' سهى عمرو ' من السهو . كل واحد من هذه الأفاعيل خرج الاسم | معه مقدرا تقدير المفعول ، وهو صاحب الفعل لا يعرف له فاعل غيره . | | قوله تعالى : ! ٢ (٢) ٢ ! أي مجيء الأضياف ^ (كانوا يعملون السيئات) ^ فقال | لوط : ^ (هؤلاء بناتي) ^ يعني النساء ولكونهن من أمته صار كالأب لهن ^ (أطهر لكم) ^ | أي أحل ! ٢ (٣) ٢ ! أي احذروا عقوبته ^ (ولا تخزون في ضيفي) ^ أي لا تفعلوا | بهم فعلا يوجب حيائي ^ (أليس منكم رجل رشيد) ^ فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر | ^ (قالوا : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) ^ أي من حاجة ^ (وإنك لتعلم ما نريد) ^ أي | إنما نريد الرجال لا النساء . قال : ^ (لو أن لي بكم قوة) ^ أي جماعة أقوى بهم عليكم ^ (أو | آوي إلى ركن شديد) ^ أي إلى عشيرة منيعة . وإنما قال هذا لأنه كان قد أغلق بابه وهم | يعالجون الباب ويرومون تسور الجدار فلما رأت الملائكة ما يلقى من الكرب | ^ (قالوا : يا لوط إنا رسل ربك) ^ فافتح الباب ودعنا وإياهم . ففتح الباب ودخلوا . | واستأذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن [لهم

(١) التبصرة، ١/١١٣

(٢) ومن قبل

(٣) فاتقوا الله

] فضرب بجناحه وجوههم فأعماهم | فانصرفوا يقولون النجاء النجاء إن في دار لوط أسحر قوم في الأرض . وجعلوا يقولون : | يا لوط كما أنت حتى تصبح . [يوعدونه] . فقال لهم لوط : متى موعد هلاكهم ؟ قالوا : | لصبح . قال لو أهلكتموهم الآن ؟ فقالوا : أليس الصبح بقريب ! | | ثم قالت له الملائكة : ' فأسر بأهلك ' . فخرج بامرأته وابنتيه وأهله وبقره وغنمه | ^ (بقطع من الليل) ^ أي ببقية تبقى من آخره . | | وأوحى الله تعالى إلى جبريل : تول هلاكهم . فلما طلع الفجر غدا عليهم | جبريل عليه السلام فاحتمل بلادهم على جناحه ، وكان خمس قرى أعظمها سدوم ، | في كل قرية مائة ألف ، فلم ينكسر في وقت رفعهم إناء ، ثم صعد بهم |

---

(١) ".

" | | إخواني : تدبروا الأمور تدبر ناظر ، وأصغوا إلى ناصحكم والقلب حاضر ، | واحذروا غضب الحليم وهتك الساتر ، وتأهبوا للحمام فسيوفه بواتر ، وهاجروا إلى | دار الإنابة بهجران الجرائر ، وصابروا عدوكم مصابرة صابر ، وتهيأوا للرحيل إلى | عسكر المقابر ، قبل أن يبل وابل الدموع ثرى المحاجر ، ويندم العاصي ويخسر | الفاجر ، ويتكاثف العرق وتقوى الهواجر ، وتصعد القلوب إلى أعلى الحناجر ، ويعز | الأمن ويعرض الناصر ، ويفرح الكامل ويحزن القاصر ، ويفوت اكتساب الفضائل | وتحصيل المفاخر ، فتأملوا عواقب مصيركم فاللبيب يرى الآخر . | | (وقائلة لو كنت تلتمس الغنى ٪ رشدت ، وما أوصت بما كان راشدا) ٪ | | (أبى الناس إلا حب دنيا ذميمة ٪ تقضى ويأبى الموت إلا التزودا) ٪ | | (فقلت سلي عن ذي الثراء تخبري ٪ وذي الملك بعد الملك ماذا توسدا) ٪ | | (يمرون أرسالا ونضحي كأننا ٪ لما نالهم بالأمس لم نك شهدا) ٪ | | (فهل ينفعنا ما نرى أو يروعنا ٪ وهل نذكرن اليوم منزلنا غدا) ٪ | | أخبرنا يحيى بن علي ، حدثنا القاضي أبو الحسين السمناني ، حدثنا أبو الحسن | ابن الصامت ، حدثنا القاضي أبو عبد الله المحاملي ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا | محمد بن بشر ، حدثنا الجنيد بن أبي العلاء ، عن محمد بن سعيد ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، | عن أم الدرداء ، عن علي الدقاق ، عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : | ' تفرغوا من الدنيا ما استطعتم ، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه أفشى الله ضيعته وجعل | فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله له أموره وجعل غناه في قلبه ، | وما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا جعل

---

(١) التبصرة، ١٥٢/١

الله قلوب المؤمنين تقبل إليه بالود والرحمة ، | وكان الله عز وجل إليه بكل خير أسرع ' . | | أخبرنا إسماعيل بن أحمد ، أنبأنا رزق الله ، أنبأنا ابن شاذان ، أنبأنا أبو جعفر |

---

(١) ".

" | فلما فتح عين الفكر من الوسن قال رب ارجعون ولن ، ويح المقتولين بسيف اغترارهم ، | والشرع ينهاهم عن أوزارهم ! ٢ (٢) ٢ ! . | | أين أرباب الهوى والشهوات ، ذهبت والله اللذات دون التبعات ، وندموا | إذ قدموا على ما فات وتمنوا بعد يبس العود العود وهيهات ، فتلمح في الآثار سوء | أذكارهم ! ٢ (٣) ٢ ! . | | نازلهم الموت على الذنوب ، فأسروا في قيود الجهل والعيوب ، فرحلت لذات خلت | عن الأفواه والقلوب ، وحزنوا على الفائت ولا حزن يعقوب ، حين خرجوا من ديارهم | في ثياب إدبارهم [وعصى التوبيخ في أدبارهم] ! ٢ (٤) ٢ ! . | | قل للناظرين إلى المشتهى في ديارهم ، هذا أنموذج من دار قرارهم ، فإن استعجل | أطفال الهوى فدارهم ، وعدهم قرب الرحيل إلى دارهم ! ٢ (٥) ٢ ! . | | احذروا نظرة تفسد القلوب ، وتجني عليكم الذم والعيوب ، تسخط مولاكم | عالم الغيوب ، لقد وصف الطبيب حمية للمطبوب ، فلو استعملوا الحمية لم تتعرض الحمى | بأبشارهم ! ٢ (٦) ٢ ! . | | وفقنا الله وإياكم للهدى ، وعصمنا من أسباب الجهل والردى ، وسلمنا من شر النفوس | فإنها شر العدى ، وجعلنا من المنتفعين بوعظ أخيارهم ! ٢ (٧) ٢ ! . | | وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه . |

---

(٨) ".

---

(١) التبصرة، ١/١٥٥

(٢) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

(٣) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

(٤) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

(٥) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

(٦) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

(٧) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

(٨) التبصرة، ١/١٦٤

" | سجع على قوله تعالى | ! ٢ [1] ٢ ! | |] لو رأيت العصاة والكرب يغشاهم ، والندم قد أحاط بهم وكفاهم ، والأسف على | ما فاتهم قد أضناهم ، يتمنون العافية وهيهات مناهم ، ! ٢ [2] ٢ ! .] | | نزل بهم المرض فألقاهم كالحرض ، فانفك أملهم وانقبض ، وانعكس عليهم الغرض ، | ورحمهم في صرعتهم من عاداهم ! ٢ [3] ٢ ! . | | يتمنون عند الموت راحة ، ويشتهون من الكرب استراحة ، ويناقشون على الخطايا | ولا سماحة ، فهم كطائر قصر الصائد جناحه ، في حبس النزع والكرب يغشاهم ! ٢ [4] ٢ ! . | | يتأسفون وأسفهم أشد ما في العلة ، ويتحسرون وتحسرهم على ما مضى من زلة ، | وجبل ندمهم قد شق كأنه ظلة ، فلو رأيتهم بعد الكبر قد صاروا أذلة ، وتملك أموالهم | بعدهم سواهم ! ٢ [5] ٢ ! . | | ما نفعهم ما تعبوا لتحصيله وجالوا ، ولا رد عنهم ما جمعوا واحتالوا ، جاء المرض | فأذلهم بعد أن صالوا ، فإذا قال العائد لأهليهم : كيف باتوا ؟ قالوا : إن السقم قد وهاهم | وها هم ! ٢ [6] ٢ ! . | | نزلوا بطون الفلا فلا يقبل عذرهم ، ولا ذو ود ينفعهم ، قد أضناهم بلاء البلى ، فلو | رأيتهم في بلاهم وهم في بلاهم ! ٢ [7] ٢ ! . | | فالبدار البدار قبل الفوات ، والحذار الحذار من يوم الغفلات ، قبل أن يقول | المذنب رب ارجعون فيقال فات ، ويح الغافلين عن عقباهم ما أعماهم ! ٢ [8] ٢ ! . | | نبهنا الله وإياكم من هذه الرقدة وذكرنا وإياكم الموت وما بعده إنه قريب مجيب . |

". [9]

" | | (ويا مذنبا يرجو من الله عفوه ٪ أترضى بسبق المتقين إلى الله) ٪ | | يا مبارزا بالعظائم كيف أمنت فنمت ، يا مصرا على الجرائم عجبا إن سلمت ، | يا مبذرا منذرا كأنه ما يسمع ، إن فاجأك

---

(١) فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم

(٢) فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم

(٣) فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم

(٤) فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم

(٥) فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم

(٦) فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم

(٧) فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم

(٨) فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم

(٩) التبصرة، ١/١٧٧

العذاب فماذا تصنع ، تدبر عقبى أبي الآباء إلى | ما آب ، وتفكر في حال المذنبين فبئس المآب ، بيناهم في أمن قد فرق بينهم ونعق | بينهم للبين غراب ، فتراكم ركام الهوام عليهم في الهواء واللعاب ، ومر مرير الريق | فمشى في المشارع العذاب ، وامتد ساعد البلاء إلى إغلاق باب العتاب ، وسئلوا عن | جورهم فقوى قلق الجوى في الجواب ، وذاقوا بعد حلاوة الخلاف من أخلاف الأوصاب | الصاب ، وانتقى الانتقام نقي لذاتهم فخلت مما لذ أو طاب ، ونشبت في شيبهم وشبابهم | شبا سيوف الذم وعتا العتاب ، ودخلوا إلى نار تهاب أوصافها قبل أن ينتهي إلى | الالتهاب ، فلما سالت العيون دما قرعوا بالأنامل ندما لما ناب الناب وحط من ربا منهم | على الربا فاستبدل صوت الأسى عن الرباب ، **فاحذروا** أن يصيبكم من نصيبكم مثل | حصصهم ، فلقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب . | | (ولقد رأيت معاشرا جمحت بهم ٪ تلك الطبيعة نحو كل تيار) ٪ | | (تهوى نفوسهم هوى أجسامهم ٪ شغلا بكل دناءة وصغار) ٪ | | (تبعوا الهوى فهوى بهم وكذا الهوى ٪ منه الهوان بأهله **فحذار**) ٪ | | (فانظر بعين الحق لا عين الهوى ٪ فالحق للعين الجلية عار) ٪ | | (قاد الهوى الفجار فانقادوا له ٪ وأبت عليه مقادة الأبرار) ٪ | | إخواني : من فعل ما يحب لقي ما يكره ، ومن صبر على ما يكره نال ما يحب ، لا تقطع | مشاورة العقل قبل مشاورة الهوى ، فإن المستبد برأيه واقف على مداحض الزلل ، لم تزل | أكف العقل ضابطة أعنة النفوس غير أن العزم ينقلب ، ركوب الأخطار يسوق | الأقدار ، من قرأ والناس نيام تكلم والناس سكوت . | | وهب بعض الملوك جارية يحبها . فقال الموهوب له : لا أفرق بينك وبين من |

---

(١) ".

" | | (حسبتم يا بني حوا شقاء ٪ نجاؤكم الذي لم تحسبوه) ٪ | | (أدين الشر منكم **فاحذروه** ٪ ومات الخير فيكم فاندبوه) ٪ | | كان الحسن يقول : أسمع أصواتا ولا أرى أنيسا ، إنما دين أحدهم لعقة على لسانه ، | ولو سألته : أتعرف يوم الحساب ؟ قال : نعم . وكذب ومالك يوم الدين . | | يا من كتابه يحوي حتى حبة خردلة ، وعليه شاهدان كلاهما معدل ، وسيلتحف | التراب ويتوسد الجندل ، وهو يمشي معجبا بنفسه مشية الشمردل . | | (لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ٪ ولا الحي في دار السلامة آمن) ٪ | | (تحاربنا أيامنا ولنا رضى ٪ بذلك لو أن المنايا تهادن) ٪ | | (أرى الحيرة البيضاء

---

(١) التبصرة، ١٨٣/١

عادت قصورها ٪ خلاء ولم تثبت لكسرى المدائن) ٪ | | (ركبنا من الآمال في الدهر لجة ٪ فما صبرت للموج تلك السفائن) ٪ | | (تجيء الرزايا بالمنايا كأنما ٪ نفوس البرايا للحمام رهائن) ٪ | الكلام على قوله تعالى | ! ٢ [١] ٢ ! | إخواني : اعتبروا بمن مضى من الأقران ، وتفكروا في من بنى كيف بان ، | تقلبت والله بهم الأحوال ولعبت بهم أيدي البلبال ، ونسيهم أحبابهم بعد ليال ، وعانقوا | التراب وفارقوا المال ، فلو أذن لصامتهم لقال : | | (من رآنا فليحدث نفسه ٪ أنه موف على قرب زوال) ٪ | | (وصروف الدهر لا يبقى لها ٪ ولما تأتي به صم الجبال) ٪ | | (رب ركب قد أناخوا حولنا ٪ يشربون الخمر بالماء الزلال) ٪ | | (والأباريق عليها قدم ٪ وعتاق الخيل تردى في الجلال) ٪ |

---

(٢) ".

" | له جاريتان قد أعدهما فكان إذا أتاه الخوف سقط واضطرب فقعدتا على صدره ورجليه | مخافة أن تتفرق أعضاؤه ، وكان قد نقش خطيئته في كفه لئلا ينساها ، وكان إذا رآها | اضطربت يداه . | | ويقال : لو وزنت دموعه عدلت دموع الخلائق ، ولم يرفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء . | | إخواني : تأملوا عواقب الذنوب ، تفنى اللذة وتبقى العيوب ، احذروا المعاصي | فبئس المطلوب ، ما أقبح آثارها في الوجوه والقلوب . | الكلام على البسملة | | (ابك من جرمك خوفا ٪ فحقيق بك تبكي) ٪ | | (كم ركبت الذنب مغرورا ٪ وكم أسرعت في الفتك) ٪ | | (وتبرجت بعصيانك قد غرك إمهالي وتركي ٪) ٪ | | (من إذا ألبستك الذل ٪ يراعيك ويشكي) ٪ | | (من ترى يسترك اليوم ٪ إذا عمك هتكي) ٪ | | (كم تجردت لعصياني ٪ وكم خالفت نسكي) ٪ | | (أترى تجهل عزي ٪ أم ترى تصغر ملكي) ٪ | | يا ابن آدم : فرح الخطيئة اليوم قليل وحزنها في غد طويل ، ما دام المؤمن في نور | التقوى فهو يبصر طريق الهدى ، فإذا طبق ظلام الهوى عدم النور . | | كان داود يسجد ويقول في سجوده : سبحان خالق النور ! إلهي : خليت بيني | وبين عدوي [إبليس] فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي ، سبحان خالق النور ، إلهي : |

---

(١) ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل

(٢) التبصرة، ٢٥٦/١

". (1)

" | | يا من تكتب لحظاته ، وتجمع لفظاته ، وتعلم عزماته ، وتحسب عليه حركاته إن | راح أو غدا ! ٢ (2) ٢ ! . | | ويحك إن الرقيب حاضر ، يرعى عليك اللسان والناظر ، وهو إلى جميع أفعالك | ناظر ، إنما الدنيا مراحل إلى المقابر ، وسينقضي هذا المدى ! ٢ (3) ٢ ! . | | مالي أراك في الذنوب تعجل ، وإذا زجرت عنها لا تقبل ، ويحك انتبه لقبح ما تفعل ، | لأن الأيام في الآجال تعمل مثل عمل المدى ! ٢ (4) ٢ ! . | | سترحل عن دنياك فقيرا ، لا تملك مما جمعت نقيرا ، بلى قد صرت بالذنوب عقيرا | بعد أن رداك التلف رداء الردى ! ٢ (5) ٢ ! . | | كأنك بالموت قد قطع وبت ، وبدد الشمل المجتمع وأشت ، وأثر فيك الندم حينئذ | وفت ، انتبه لنفسك فقد أشمت والله العدا ! ٢ (6) ٢ ! . | | كأنك ببساط العمر قد انطوى ، وبعود الصحة قد ذوى ، وبسلك الإمهال قد قطع | فهوى ، اسمع يا من قتله الهوى وما ودى ! ٢ (7) ٢ ! . | | تالله ما تقال وما تعذر ، فإن كنت عاقلا فانتبه واحذر ، كم وعظك أخذ غيرك | وكم أعذر ، ومن أنذر قبل مجيئه فما اعتدى ! ٢ (8) ٢ ! . | | فبادر نفسك واحذر قبل الفوت ، وأصخ للزواجر فقد رفعت الصوت ، وتنبه | فطال ما قد سهوت ، واعلم قطعا ويقينا أن الموت لا يقبل الفدا ! ٢ (9) ٢ ! . | | انهض إلى التقوى بقريحة ، وابك الذنوب بعين قريحة ، وأزعج للجد أعضاءك | المستريحة ، تالله لئن لم تقبل هذه النصيحة لتندمن غدا ! ٢ (10) ٢ ! . |

". (11)

---

(1) التبصرة، ١/٢٧٩

(2) أيحسب الإنسان أن يترك سدى

(3) أيحسب الإنسان أن يترك سدى

(4) أيحسب الإنسان أن يترك سدى

(5) أيحسب الإنسان أن يترك سدى

(6) أيحسب الإنسان أن يترك سدى

(7) أيحسب الإنسان أن يترك سدى

(8) أيحسب الإنسان أن يترك سدى

(9) أيحسب الإنسان أن يترك سدى

(10) أيحسب الإنسان أن يترك سدى

(11) التبصرة، ١/٢٨٦

" | | (يا بني الحرص والتكاثر ٪ والبغي والبطر) ٪ | | (ليس باق كفان ٪ فكونوا على حذر) ٪ | | (يا ضجيع البلى على ٪ فرش الصخر والمدر) ٪ | | (قد تزودت مأثما ٪ وإلى ربك السفر) ٪ | سجع على قوله تعالى | ! ٢ [١] ٢ ! | يا من يخطر في ثياب الغفلة يتبختر ويتجبر ، وقبائحه تكتب وهو لا يحس ويزبر ، | بين يديك يوم قريب ما يتأخر ! ٢ [٢] ٢ ! يا متعرضا بالذنب | والعقاب ، يا غافلا عن يوم السؤال والجواب ، يا مبارزا بالمعاصي رب الأرباب ، من | أعظم جرأة منك على العذاب قل لي ومن أصبر ، نسيت معادك وأطلت أملك ، | وأعرضت إلى الهوى عن أمر من ملك ، ولو رفعت والله عملك إلى ملك أعظم ذلك | وأكبر ، لقد أناح التقصير والتمادي ببابك ، وقل أن يعيق بريح الثواب شيء من | أثوابك ، والشيطان يجري منك مجرى الدم من آرابك ، فهو متمكن منك إذا قمت | في محرابك إلى حين قولك الله أكبر . | | تقوم إلى صلاتك وأنت متكاسل ، وتدخل في الصلاة بقلب غافل ، وتستعجل | في الصلاة لأجل العاجل ، وإذا نظرت بعد الصلاة إلى الحاصل : فالجسد أقبل | والقلب أدبر . | | يا من ذل المعاصي يعلوه ، يا مظلم القلب متى تجلوه ، هذا القرآن يتلى عليك وتتلوه | ولكن ما تتدبر . | | يا مغترا بالزخارف والتمويه ، تعجب بما تجمعه من الدنيا وتحويه ، هلك والله ذو عجب | أو كبر أو تيه ، ونجا والله أشعث أغبر ؛ أنت في دار انزعاج **فاحذر** منها لا تركن |

". [٣]

" | ! ٢ [٤] ٢ ! . | | | [قوله تعالى] : ! ٢ [٥] ٢ ! . | سجع | | قامت الأقدام حتى تعبت ونصبت ، وكلما سعت تعثرت في الطريق وكبت ، | وسقطت الجبال ولطالما انتصبت ، وظهر المخبآت التي كانت قد احتجبت ، والحوض | غزير الماء وكم نفس ما شربت ، فجيء بالنيران فزفرت وغضبت ، ونهضت | مسرعة إلى أربابها ووثبت ، فانزعجت القلوب ورهبت وهربت ، وكيف لا تجزع | وهي تدري أنها قد طلبت ، وموازين الأعمال على العدل قد نصبت ، ونادى المنادي | فبكت العيون

---

(١) ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر

(٢) ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر

(٣) التبصرة، ٣١٣/١

(٤) لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

(٥) اليوم تجزى كل نفس بما كسبت

وانتحبت : ! ٢ [١] ٢ ! . | قوله تعالى : ! ٢ [٢] ٢ ! | ميزان العدل تبين فيه الذرة فاحذروا ، الظلم ظلمات يوم القيامة فاذكروا ، إن الله | سريع الحساب قد بقي القليل لإتيانه . | | ! ٢ [٣] ٢ ! يعني يوم القيامة . وسميت آزفة لقرب٥١ ، يقال أزف شخوص | فلان أي قرب . | | ^ (إذا القلوب لدى الحناجر) ^ وذلك أنها ترتقي إلى الحناجر فلا تخرج ولا تعود | ! ٢ [٤] ٢ ! أي مغمومين ممتلئين خوفا وحزنا ! ٢ [٥] ٢ ! أي قريب ينفعهم | ! ٢ [٦] ٢ ! فيهم فتقبل شفاعته . | سجع | | لو رأيت الظلمة قد ذلوا بعد الارتفاع ، وصاروا تحت الأقدام وكانوا على يقاع ، |

---

[٧] ".

" | | (مهجتي ضد تحاربني ٪ أنا مني كيف أحترس) ٪ | | (إنما دنياك غانية ٪ لم يهنأ زوجها العرش) ٪ | | (فالقها بالزهد مدرعا ٪ في يديك السيف والترس) ٪ | | (ليس يبقى فرع نائبة ٪ أصلها في الموت مفترس) ٪ | | إخواني : حاسبوا أنفسكم قبل الحساب وأعدوا للسؤال صحيح الجواب ، واحفظوا | بالتقوى هذه الأيام ، واغسلوا عن الأجرام هذه الأجرام ، قبل ندم النفوس في حين | سياقها ، قبل طمس شمس الحياة بعد إشراقها قبل ذوق كأس مرة في مذاقها ، | قبل أن تدور السلامة في أفلاك محاقها ، قبل أن تجذب النفوس إلى القبور بأطواقها ، | وتفترش في اللحود أخلاق أخلاقها ، وتنفصل المفاصل بعد حسن اتساقها ، وتشتد | شدائد الحسرة حاسرة عن ساقها ، وتظهر مخبآت الدموع بسرعة اندفاقها ، وتتقلب | القلوب في ضنك ضيق خناقها ، ويطول جوع من كان في الدنيا فاكها ، وتبكي | النفوس في أسرها على زمان إطلاقها . | | إخواني : الأيام مطايا بيدها أزمة ركبانها ، تنزل بهم حيث شاءت ، فبينا هم على | غواربها ألقتهم فوطئتهم بمناسمها . | | قال الحسن : يعرض على العبد يوم القيامة ساعات عمره ، فكل ساعة لم يحدث فيها | خيرا تتقطع نفسه عليها حسرات . | | وكان

---

(١) اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
(٢) لا ظلم اليوم
(٣) وأنذرهم يوم الآزفة
(٤) كاظمين
(٥) ما للظالمين من حميم
(٦) ولا شفيع يطاع
(٧) التبصرة، ٣٢٣/١

يونس بن عبيد جالسا مع أصحابه يحدثهم فنظر في وجوههم وقال : لقد ذهب | من أجلي وأجلكم ساعة . | | وكتب الأوزاعي إلى أخ له : أما بعد فقد أحيط بك من كل جانب ، واعلم أنه يسار | بك في كل يوم وليلة مرحلة ، **فاحذر** الله تعالى والمقام بين يديه وأن يكون آخر | عهدك به والسلام . |

---

(١) ".

" | | (حتى متى لا تزال معتذرا ٪ من زلة منك لا تزال راكبها) ٪ | | (تعقبها مثلها وتعقبك الحسرة ٪ من مثلها عواقبها) ٪ | | (لتركك الذنب لا تقاربه ٪ أيسر من توبة تطالبها) ٪ | | أيها المعرض عن شكر الإفضال والنعم ، زاحمت على حوض الغفلة النعم ، | تمد يد الجهل بالإنعام إلى أخذه واقتباسه ، وتنسى عقوبة ما قد جنيته في وقت باسه ، | أين الهرب بخطاك ، عجبا منك وعيني تراك ، تراك تستحي من غيري ومني لا تراك ، من | الذي ستر على القبيح فيما مضى ، من الذي لطف بك في دين دينه إذا اقتضى ، يا هذا | إن وجدت من يصلح لك غيرنا فاذهب ، وإن رأيت مشربا يلذ غير حلمنا فاشرب ، | لو أعلمت أباك ما نعلم منك أباك ، ولو أريت أخاك ما أريتنا جفاك ، نعمنا | عليك قديمة كم نبعث لك ديمة لطف بعد ديمة ، أتراك تحن إلى ودنا ، أو | تراعي عهد عهدنا . | | يا هذا : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، فواعجبا ممن لم ير محسنا سوى | الله عز وجل كيف لا يميل بكليته إليه ، يا منعما عليه بالعافية بئس ما أنفقت فيه رأس | المال ، كم ذنب لك فعله غيرك فهتك ذاك وسترت . | | ويحك ! **احذر** نفار النعم فما كل شارد بمردود ! إذا وصلت إليك أطرافها | فلا تنفر أقصاها بقلة الشكر ! | | (لك نفس يسرها ٪ كل شيء يضرها) ٪ | | (هي تفنى على الزمان ٪ ويزداد شرها) ٪ |

---

(٢) ".

" | | وأسفا : هذا حال الحسن وما عرف منه إلا الحسن فكيف يكون حالنا إذن | مع ما لنا من محن . | | يا من قد لعب الهوى بفهمه ، وسودت شهواته وجه عزمه ، يا مبنيا عن عزم | الباني على هدمه ، يا محمولا إلى البلى لتمزيق لحمه ، أما يكفيه منذرا وهن عظمه ، كم | نقربك وأنت متباعد

---

(١) التبصرة، ٣٣١/١

(٢) التبصرة، ٣٤٥/١

، كم ننهضك إلى العلا يا قاعد ، كم نحرضك وما تساعد ساعد ، | كم نوقظك وأنت في اللهو راقد ، يا أعمى البصيرة وما له قائد ، يا قتيل الأمل لست | بخالد ، يا مفرق الهموم والمقصود واحد ، إن لاحت الدنيا فشيطان مارد ، تقاتل عليها | فتكر وتطارد ، فإذا جاءت الصلاة فقلب غائب وجسم شاهد ، وتقول قد صليت | أتبهرج على الناقد ، ما تعرفنا إلا في أوقات الشدائد ، أما ذنوبك كثيرة فما للطرف | جامد ، ملكك الهوى ونحن نضرب في حديد بارد . | | (وربما غوفص ذو غفلة ٪ أصح ما كان ولم يستقم) ٪ | | (يا واضع الميت في قبره ٪ خاطبك القبر فلم تفهم) ٪ | | كم ليلة سهرتها في الذنوب ، كم خطيئة أمليتها في المكتوب ، كم صلاة تركتها | مهملا للوجوب ، كم أسبلت سترا على عتبة عيوب ، يا أعمى القلب بين القلوب ، ستدري | دمع من يجري ويذوب ، ستعرف خبرك عند الحساب والمحسوب ، أين الفرار وفي كف | الطالب المطلوب ، تنبه للخلاص أيها المسكين ، أعتق نفسك من الرق يا رهين ، اقلع أصل | الهوى فعرق الهوى مكين ، **احذر** غرور الدنيا فما للدنيا يمين ، يا دائم المعاصي سجن | الغفلة سجين ، تثب على الخطايا ولا وثبة تنين ، كأنك بالموت قد برز من كمين ، وآن | الأمر فوقعت في الأنين ، واستبنت أنك في أحوال عنين ، كيف ترى حالك إذا عثت |

". (١)

" | | فهكذا يقول المال **فاحذروا** . | | كان ملك الموت يأتي الناس في صورة البشر ، فركب بعض الجبارين في جنده يوما | فلقيه ملك الموت فقال : من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت . فقال : دعني آتي أرضي التي | خرجت إليها ثم أرجع من موكبي . فقال : لا والله لا ترى أرضك أبدا ولا ترجع من | موكبك أبدا . قال : فدعني أرجع إلى أهلي . فقال : لا والله لا ترى أهلك أبدا . | فقبض روحه . | | وبينا رجل ينظر في أصناف ماله طلع ملك الموت فقال : والذي خولك ما ترى ما أنا | بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك . قال : فالمهلة حتى أفرقه . قال : | هيهات ! انقطعت عنك المهلة . | | ولاح ملك الموت لرجل فقال لأهله : ايتوني بصحيفة . فقال ملك الموت : الأمر | أعجل من ذلك . فقبض روحه قبل أن يؤتى بالصحيفة . | | إخواني : استدركوا قبل الفوت وانتهوا قبل الموت ، وأصيخوا فقد أسمع الصوت . | سجع على قوله تعالى | ! ٢ (٢) ٢ ! | واعجبا لنفس الموت موئلها

(١) التبصرة، ٣٤٩/١

(٢) ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها

والقبر منزلها واللحد مدخلها ثم يسوء عملها ! ٢ (١) ٢ ! . | | كم قاطع زمانه بالتسويف ، بائع دينه بالحبة والرغيف ، مشتر للويل بتطفيف | الطفيف ، يتمنى العود إذا رأت نفسه ما يذهلها ! ٢ (٢) ٢ ! . | | كم مشغول بالقصور يعمرها ، لا يفكر في القبور ولا يذكرها ، يبيت الليالي في فكر | الدنيا ويسهرها ، يجمع الأموال إلى الأموال يثمرها ، وقع في أشراك المنايا وهو لا يبصرها ، |

---

(٣) ".

" | المجلس التاسع والعشرون | في فضل عمر بن الخطاب | | الحمد لله خالق كل مخلوق ، ورازق كل مرزوق ، سابق الأشياء ، فما دونه | مسبوق ، موجد المنظور والملبوس والمذوق ، أنشأ الآدمي بالقدرة من ماء مدفوق ، | وركب فيه العقل يدعو إلى مراعاة الحقوق ، والهوى يحث على ما يوجب العقوق ، | فاحذر وفاق المشتهى فإنه يرمي لا من فوق فوق ، فسح داود لنفسه في نظرة | فاتسعت الخروق ، وغفل ابنه سليمان عن طاعته ' ! ٢ (٤) ٢ ! ' . | | أحمده على ما يقضي ويسوق مما يغم وما يشوق ، وأقر له بالتوحيد هاجرا يغوث | ويعوق ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله وقد ازدحمت سوق الباطل في أروج | سوق ، فدمغ بحقه أهل الزيغ وأرباب الفسوق ، صلى الله عليه وعلى آله ما هب الهواء | ولمعت البروق ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق ، وعلى عمر الملقب بالفاروق . وعلى | عثمان الصابر من الشهادة على مر المذوق ، وعلى علي مطلق الدنيا فما غره الزخرف | والراووق ، وعلى العباس أقرب الكل نسبا وأخص العروق . | | اللهم يا مالك المساء والشروق ، احفظنا من مساءة الحوادث والطروق ، وهب لنا | من فضلك ما يصفو ويروق ، وزد آمالنا من إحسانك فوق ما نرجو ونتوق ، وافتح | لي وللحاضرين موق بصر البصيرة لحبيب الموق . | | أخبرنا هبة الله بن محمد ، أخبرنا الحسن بن علي ، أخبرنا أحمد بن جعفر ، حدثنا | عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا فزارة بن عمر ، حدثنا إبراهيم يعني ابن سعد | عن أبيه ، عن أبي سلمة ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة رضي

---

(١) ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها

(٢) ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها

(٣) التبصرة، ٤١٢/١

(٤) فطفق مسحا بالسوق

الله عنه قال : قال | رسول الله صلى الله عليه وسلم : ' إنه كان فيمن مضى قبلكم من الأمم ناس محدثون |

---

(١) ".

" | | (أوعز الدهر بالفناء إلى الناس ٪ فواها لذلك الإيعاز) ٪ | | (أعرضوا عن مدائح وتهان ٪ فالمرائي أولى بكم والتعازي) ٪ | | أحضروا قلوبكم للنصح والتواصي ، **واحذروا** يوم الأخذ بالنواصي ، تذكروا جمع | الداني والقاصي ، أسمعت يا من يروح في المعاصي ويبكر ! ٢ (٢) ٢ ! . | | واعجبا كيف نحدث السكرى وقد ملأتهم الغفلة ، سكرى ما يعقلون إلا بطارق النكراء ، | وكم تلي عليهم الوعظ ذكرى ، هيهات ، إنما تنفع الذكرى المتذكر . | | أيها النصيح أترى المنصوح أصم ، بين له قبح ما قد جمع وضم ، فإن أفعاله جميعها | توجب الذم ، ومتى رأيت النسيان للعواقب قد عم ، يا من يرى هواه الحاضر وينسى | مولاه الناظر ، ولا ناصر له إلا الأخير ناصر ، علينا أن نقول تثبت وفكر ، كأنك بمذل | القوي ومفقر الغني وموقظ الغبي وقاصم الفتى الفتي وما يأتي في زي متنكر . | | كم أجرى الموت دمعا وابلا ورذاذا ، كم قطع البلاء صحيحا فجعله جذاذا ، كم من | متجبر أذله فلم يجد منه معاذا ، أتعرف صحة هذا أم تنكر . | | كم موعوظ زجر فارعوى ، كم فاسد وبخ فاستوى ، كم مستقيم بالوعظ بعدما التوى ، | عادوا إلى الزلل بموافقة الهوى ، والمحنة أن الهوى يعكر ! ٢ (٣) ٢ ! . | | وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . |

---

(٤) ".

" | الكلام على البسملة | | (بادر الأيام فالحي ٪ من الموت قريب) ٪ | | (بينما يخطر في أهل الحمى لا يستريب ٪) ٪ | | (إذ حواه اللحد يوما ٪ مفردا فهو غريب) ٪ | | (خذ نصيبا قبل أن يعجزك ٪ الدهر المصيب) ٪ | | (**واحذر** الأخرى لهول ٪ يومه يوم عصيب) ٪ | | (يوم

---

(١) التبصرة، ٤١٤/١

(٢) فذكر إنما أنت مذكر

(٣) فذكر إنما أنت مذكر

(٤) التبصرة، ٤٢٧/١

لا يسلم مغرور ٪ ولا ينجو مريب) ٪ | | (أطع الناصح إذ ناداك ٪ فالموت عجيب) ٪ | | (كم ترى نسمعك النصح ٪ وكم لا تستجيب) ٪ | | يا من لا يتعظ بسلف آبائه ، يا من لا يعتبر بتلف أو دائه ، يا أسير أغراضه وقتيل | أهوائه ، يا من عجزت الأطباء عن إصلاح دائه ، يا مشغولا بذكر بقائه عن ذكر فنائه ، | يا مغرورا قد حل الممات بفنائه ، يا معجبا بثوب صحته يمشي في خيلائه ، يا معرضا عن | نصيحه مشمتا لأعدائه ، يا من يلهو بأمله ، ويا من أجله من ورائه ، يجمع العيب إلى | الشيب وهذا من أقبح رائه ، كم رأيت مستلبا من سرور ونعم ائه ، كم شاهدت | مأخوذا عن أحبابه وأبنائه ، بينا هو في غروره دب الموت في أعضائه ، بينا جرع | اللذة فيه شرق بمائه ، بينا ناظر النظير يعجبه صار عبرة لنظرائه ، ماله ضيع ماله | وبقي في بلائه . | | (باتت همومي تسري طوارقها ٪ أأكف عيني والدمع سابقها) ٪ | | (هما طريقان فائز دخل الجنة ٪ حفت به حدائقها) ٪ | | (وفرقة في الجحيم مع تبع الشيطان ٪ يشقى بها موافقها) ٪ |

". [1]

" | المجلس الثالث والثلاثون | في فضل الصحابة رضي الله عنهم | | الحمد لله القديم الأحدي ، العظيم الصمدي ، الدائم الأبدي ، القائم السرمدي ، | رفع بقدرته السماء وأجرى بحكمته الماء ، وعلم آدم الأسماء ، وأمكنه من العيش الهني ، | فخالف بالأكل الصواب ، فكشف الخلاف عنه الجلباب ، فخرج وما يعرف الباب لشؤم | ارتكاب المنهي ، ويستدرك سالف الفوات حتى عطفت على تلك العبرات رحمة الراحم | الخفي ، فاحذر من الأفعال الخبات فإنها سبب الالتيات ، وتعلق بالمستغاث ينقذك من | جهل العلماء فإنه سريع الفرج ، إذا اشتد الأمر ضيقا فرج ! ٢ [2] ٢ ! رفقا بالضعيف والقوي . | | من لاذ بجنابه مريضا صلح ، من عاذ ببابه سائلا فتح ، سبحانه لقد جاد وسمح وحتى | على الفاجر الشقي ، ذل لجلاله من شمخ ، وقل لكماله من بذخ ، وخرج الليل بقدرته وانسلخ | عن النهار النقي ، تفرد ب الإنعام والجود ، وأذل الأعناق له بالسجود ، وتنزه عن مشابهة كل | موجود بالوجود الأزلي ، سعد من بطاعته يلوذ ، ونجا من بحريمه يعوذ ، وأمره في خلقه | نفوذ ، فما حيلة المرمى ، بعلم خفي الخافي من السر ، ويسمع أنين المضطر في الضر ، ويرى | دبيب الذر في البر تحت أخفاف المطي ،

---

(١) التبصرة، ١/٤٦١

(٢) وما جعل عليكم في الدين من حرج

لا يعزب عن سمعه خفي الركز ، ولا يمنع | أمره حصين الحرز ، تعالى أن يشابه المخلوق في العجز بالعز الأبدي ، يوصف بالحياة | والكلام والسمع والنفس ، وجلت صفاته عن وهم الحدس إنما هو وحي أنزله روح | القدس على قلب النبي ، يرزق النمل في الرمل والفرخ في العش ، ويبعث المزن بالوبل | والودق والطش ، خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على | العرش ، لا كاستواء البشري .

|

---

(١) ".

" | ترشقه سهامها رشقا ، لا بد مما وصفنا حتما وحقا ، فتأهب للفناء فقل ما تبقى ، وتهيأ للبلى | فبعيد أن تتوقى ، وأصخ لهاتف العبر فقد حادثتك نطقا ، وبادر السلامة فيستحيل | الصفور نقا ، واحذر على نفسك أن تخسر وأن تشقى ، واعمل ليوم ترى فيه مدامع | الخلائق لا ترقا ، وهم في أمر عظيم وأكرمهم عند الله الأتقى ، إن أعطيت بخلت بالمال | وبطرت ، ومتى نبت ريش رياشك نبت أرض الشكر فطرت ، كيف بك يوم | تكوى بها جباههم ، من لك حين توبيخ : ! ٢ [٢] ٢ ! : | | (ترمم المال وبالعرض ثلم ٪) ٪ | | (لا سلم المال إذا العرض ثلم ٪) ٪ | | (قد كنت ناديتك والأمر أمم ٪) ٪ | | (فلم تطعني رب رأي متهم ٪) ٪ | | (سمعك واع وبعقلك الصمم ٪) ٪ | | (موارد الجهل مصادر الندم ٪) ٪ | | (ومن رمى بالموقظات لم ينم ٪) ٪ | | قال كعب : إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة ، فتجيء ملائكة | العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة : إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال القيام | لله عز وجل . فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه | لله عز وجل في دار الدنيا . فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه | فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه . ويأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبي | فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله عز وجل . فيقال له : نم | هنيا طبت حيا وميتا . وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرشه فراشا من الجنة ودثاراً من الجنة ، |

---

(١) التبصرة، ١/٤٧٢

(٢) هذا ما كنزتم

(١) ".

" | | وقد روي في فضائل عاشوراء أحاديث موضوعة فلا فائدة في ذكرها ، مثل : من | اغتسل ومن اكتحل ومن صافح . وكله ليس بشيء . | | وقال معاوية بن قرة : صام نوح ومن معه في السفينة قال ابن شاهين : وممن | بلغنا أنه كان يصوم يوم عاشوراء علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعلي بن الحصين | وسعيد بن جبير وطاوس . وفي الجملة هو يوم عظيم فينبغي أن يفعل فيه ما يمكن من الخير . | | [فهو وأمثاله مواسم الخيرات فاغتنموها **واحذروا** الغفلات] . | الكلام على البسملة | | | (خلقنا لأحداث الليالي فرائسا ٪ تزف إلى الأجداث منا عرائسا) ٪ | | (تجهز منا للقبور عساكرا ٪ وتردف أعواد المنايا فوارسا) ٪ | | (إذا أمل أرخى لنا من عنانه ٪ غدا أجل عما نحاول حابسا) ٪ | | (أرى الغصن لما اجتث وهو بمائه ٪ رطيبا وما أصبح الغصن يابسا) ٪ | | (نشيد قصورا للخلود سفاهة ٪ ونصبر ما شئنا فتورا دوارسا) ٪ | ا (وقد نعت الدنيا إلينا نفوسنا ٪ بمن مات منا لو أصابت أكايسا) ٪ | | (لقد ضربت كسرى الملوك وتبعا ٪ وقيصر أمثالا فلم نر قائسا) ٪ | | (نرى ما نرى منها جهارا وقد غدا ٪ هواها على نور البصيرة طامسا) ٪ | | (وقد فضح الدنيا لنا الموت واعظا ٪ وهيهات ما نزداد إلا تقاعسا) ٪ | | غيره : | | (أبدا تفهمنا الخطوب كرورها ٪ ونعود في عمه كمن لا يفهم) ٪ | | (تلفى مسامعنا العظات كأنما ٪ في الظل يرقم وعظه من يرقم) ٪ | | (وصحائف الأيام نحن سطورها ٪ يقرا الأخير ويدرج المتقدم) ٪ |

---

(٢) ".

" | | (لحد على لحد يهال ضريحه ٪ وبأعظم رمم عليها أعظم) ٪ | | ٪ (من ذا توقاه المنون وقبلنا ٪ عاد أطاحهم الحمام وجرهم) ٪ | | (والتبعان تلاحقا ومحرق ٪ والمنذران ومالك ومتمم) ٪ | | كأنك بما يزعج ويروع ، وقد قلع الأصول وقطع الفروع ، يا نائما إلى كم هذا الهجوع ، | إلى متى بالهوى هذا الولوع ، أينفعك وقت الموت الدموع ، كم لك إلى التقى عند النزع | نزوع ، هيهات لا ينفع الذل إذا والخضوع ، يقول فرقوا المال فالعجب لجود المنوع ، هذا | وملك الموت يسلها من بين الضلوع ، رشقك سهم المنون فما أغنت الدروع ، وأتى | حاصد الزرع وأين الزروع ، وخلت منك المساكن وفرغت

---

(١) التبصرة، ١/٤٨٠

(٢) التبصرة، ٢/٨

الربوع ، وناب غراب | البين عن الورقاء السجوع ، وتمنيت أن لو زدت من سجود وركوع ، **فاحذر** مكر العدو | ولا تقبل قول الخدوع . | | ٪ (ضيعت وقتك فانقضى في غفلة ٪ وطويت في طلب الخوادع أدهرا) ٪ | | (أفهمت عن هذا الزمان جو ا به ٪ فلقد أبان لك العظات وكررا) ٪ | | (عانيت ما ملأ الصدرو مخافة ٪ وكفاك ما عاينته من أخبرا) ٪ | | يا عجبا كيف أنس بالدنيا مفارقها ، وأمن النار واردها ، كيف يغفل من لا يغفل عنه ، | كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره ، وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره ، كيف | يلهو من يقوده عمره إلى أجله وحياته إلى موته . | | إخواني : الدنيا في إدبار ، وأهلها منها في استكثار ، والزارع فيها غير التقى لا يحصد | إلا الندم . |

---

(١) ".

" | | (لعلني أن أشتفي بنظرة ٪ يبل منها المستهام المدنف) ٪ | | (ففي الضلوع جمرة ماتنطفي ٪ وفي الشؤون عبرة ما تنزف) ٪ | | إخواني : كأنكم بالحافظ الذي حرسكم وقد حصدكم بعد أن غرسكم ، وبعث الموت | فسيب فرسكم وفرسكم ، فلينوا إلى التقى في هذه الأشهر وخلوا شرسكم ! ٢ (٢) ٢ ! . | | هذه أوقات معظمة وساعات مكرمة وقد صيرتم ضحاها بالذنوب عتمة ، فبيضوا | بالتوبة صحفكم المظلمة ، فالملك يكتب خطاكم ونفسكم ! ٢ (٣) ٢ ! . | | لقد ضيعتم معظم السنة فدعوا من الآن هذه السنة ، واسمعوا المواعظ فقد نطقت | بألسنة ، ودعوا الخطايا فيكفي ما قد وكسكم ! ٢ (٤) ٢ ! . | | البدار البدار قبل الفوت ، **الحذار الحذار** فقد قرب الموت ، اليقظة اليقظة فقد أسمع | الصوت ، قبل أن يضيق الحساب محبسكم ! ٢ (٥) ٢ ! . لا بد أن تنطق | الجوارح وتشهد عليكم بالقبائح ، فاملأوا الأوقات بالعمل الصالح ، فإنكم إذا نزلتم بطون | الصفائح آنسكم ! ٢ (٦) ٢ ! . | |

---

(١) التبصرة، ٢/٩

(٢) فلا تظلموا فيهن أنفسكم

(٣) فلا تظلموا فيهن أنفسكم

(٤) فلا تظلموا فيهن أنفسكم

(٥) فلا تظلموا فيهن أنفسكم

(٦) فلا تظلموا فيهن أنفسكم

اعزموا اليوم على ترك الذنوب ، واجتهدوا في إزالة العيوب ، **واحذروا** سخط علام | الغيوب ، واكتبوا على صفحات القلوب مجلسكم ! ٢ [١] ٢ ! . |

---

(٢) ".

" | | (فإنما عمر الفتى سوق له ٪ يروح عنها خاسرا وغانما) ٪ | | (يا عجبا لمعشر أتتهم ٪ الدنيا فلم يبنوا بها المكارما) ٪ | | (ولا شروا مع علمهم زوالها ٪ بها جنانا ونعيما دائما) ٪ | | (إياك والتسويف فالعاقل من ٪ ينجز ما كان عليه عازما) ٪ | | (وإنما الموت مغير هائل ٪ أعظم به على النفوس هاجما) ٪ | | (والقبر إما روضة للمتقي ٪ أو حفرة النار تصيب الظالما) ٪ | | (يا لهفتي من اشتقاق حفرتي ٪ ومحشري إلى الحساب راغما) ٪ | | (وموقفي أسأل عما قد جنت ٪ يداي من سوء فأبقى واجما) ٪ | | (وحين يأتيني كتابي فأرى ٪ فيه الذي أتيته مكاتما) ٪ | | (فإن يناقشني فعبد هالك ٪ وإن عفا نجوت منها سالما) ٪ | | إخواني : هذا شهر رجب قد رحل أكثره وبان ، ونور شعبان قد لاح وبان ، | وقد سار إلى ديار الفوز ركبان ، وأقدم الشجاع وولى الجبان ، هذا الشهر الأصم | يؤذنكم بإقلاعه ويخبركم برحيله ووداعه ، فأيكم ودعه وقد أودعه ما ينفعه غدا ، وأيكم داوم | المعاصي فلم يقلع حتى غدا ، ويل لمن ذهب عنه شهر رجب وانصرم وهو في عداد من هجر | الهدى وصرم ، كيف يرجو الفضل والكرم من اجترم وما احترم . | | أكثر هذا الشهر قد مضى وتولى عنكم معرضا ، وباقيه قد نادى للتوبة معرضا ، | **فاحذروا** أن يفوتكم الغفران مع الرضا . أين من استدرك باقي ساعاته وقضى ، وطالب | نفسه بالإنابة واقتضى ، أين من خاف لهب السعير وحر لظى ، فبادر إلى ما يؤثر من الخير | ويرتضى ، أين من جرد سيف التوبة على الخطايا وانتضى ، قبل أن يعود بعد التحريض | حرضا . |

---

(٣) ".

---

(١) فلا تظلموا فيهن أنفسكم

(٢) التبصرة، ٣١/٢

(٣) التبصرة، ٤١/٢

" | | آه لأوقات مضت من رجب لا سبيل إلى رجوعها ، وأهلا بنفوس صبرت فيه | على عطشها وجوعها ، ويا أسفا لأعمال ما يقبل شيء من مرفوعها ، ولأصوات ردت | لعدم صدق مسموعها . | | إخواني : فارقوا خطاياكم قبل مفارقته ، وسابقوا بالتوبة رحيله قبل مسابقته ، واعلموا | أن الأوقات عليكم شاهدة بما هي منكم مشاهدة . فالحذار الحذار أن يفوت وقت الاقتدار ، | فما زالت الدنيا تخدع وتغر ثم ترحل وتمر . | | (غنتك دنياك الخلوب ٪ وحبها في الكف عود) ٪ | | (أما إساءتها فقد ٪ كانت وحسناها وعود) ٪ | | لغربان الموت على ديارنا نعيب ، ونحن نحرص على ما لطالبه نعيب ، الخلق | بأسرهم في قبضة التلف أسرى ، وما يعدونه إرباحا يعود غدا خسرا ، سيف المنون | ما ينبو ولا يقنع ، وبطن الأرض يأكل الخلائق وما يشبع . | | إخواني : لا للموت بالاستعداد تنتظرون ، ولا بالقلوب في الذكر تحضرون ، | وكأنكم للتلف تأمنون أو بالوعيد ما تؤمنون ، أما علمتم أنكم ترحلون ، أما ترون | الأقران أين ينقلبون ، كأننا والله بنا إذ قدمنا وقد ندمنا ، ووضع الحساب وقدمنا ، وطلبنا | ما يرضى من العمل فعدمنا ، وربح المتقون بالتقى وحرمنا ، وأقمنا لقراءة الصحف فلما فهمنا | همنا ، فرحم الله عبدا استدرك بقية هذا الشهر فربما لا يرى مثله في الدهر ، قبل أن يؤخذ | بشدة القهر ويحاسب على فعل السر والجهر . | | واعلموا أن اليوم السابع والعشرين منه يوم معظم . | | أخبرنا أبو الحسن الأنصاري ، أنبأنا عبد الله بن علي الآبنوسي ، أنبأنا عبد الملك |

"(١).

" | ' تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل ينكح ويولد له ولقد خرج اسمه في | الموتى ' . | | فهذا الحديث وحديث عائشة لم يعين فيهما متى يكون ذلك من شعبان وقد روي في | حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليلة النصف من شعبان تنسخ فيها | الآجال والأرزاق . | | وقال أبو هريرة ، إذا كان هلال شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة يقبض من فيها | إلى شبعان من قابل ، فإن الرجل ليغرس الغرس ويبني البنيان وينكح ويولد له ويظلم | ويفجر وما له في السماء اسم وما اسمه إلا في صحيفة الموتى إلى أن يأتي يومه الذي يقبض فيه | أو ليلته . | | فيا أيها الغافل تنبه لرحيلك ومسراك ، واحذر أن تستلب على موافقة هواك ، انتقل | إلى الصلاح قبل أن تنقل ، وحاسب نفسك على ما تقول وتفعل ، ولا تغفل عن التدارك | الله الله لا تفعل . | الكلام على البسملة

(١) التبصرة، ٤٢/٢

| | (قد آن بعد ظلام الجهل إبصاري ٪ الشيب صح يناجيني بإسفار) ٪ | | (ليل الشباب قصير فاسر مبتدرا ٪ إن الصباح قصارى المدلج الساري) ٪ | | (كم اغتراري بالدنيا وزخرفها ٪ أبني بناها على جرف لها هاري) ٪ | | (ووعد زور وعهد لا وفاء له ٪ تعلم الغدر منها كل غدار) ٪ | | (دار مآنها تبقى ولذتها ٪ تفنى ألا قبحت هاتيك من دار) ٪ | | (فليت إذ صفرت مما كسبت يدي ٪ لم تعلق من خطاياها بأوزار) ٪ |

". (١)

" | | (مضى أناس وأصبحنا على ثقة ٪ أنا سنتبع بالأشجان تعتلج) ٪ | | (إن أدلجوا وتخلفنا وراءهم ٪ وما نسير فإنا سوف ندلج) ٪ | الكلام على قوله تعالى | ! ٢ (٢) ٢ ! | قام تميم الداري ليلة إلى الصباح بهذه الآية وكذلك الربيع بن خثيم قام بها ليلة | لم يزد . | | قال الحسن : لا يجعل الله عبدا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه . | | وقال شميط بن عجلان : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم | عليه حتى خرج من الدنيا فهذا المقرب . ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة | ثم راجع بتوبة ، فهذا صاحب يمين . ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل فيه حتى | خرج من الدنيا فهذا صاحب شمال . | | إخواني : المعاصي تنكس الرأس وما مخلط كمن كاس ، ولا بان على رمل | كمحكم الأساس ، إن بينهما كما بين الطهارة والأنجاس ، وعلى وجه الطائع نور طاعته | وعلى وجه العاصي ظلام مخالفته ، وعند الموت يتلقى هذا بالبشارة ويقع هذا في الخسارة ، | وفي القبر يفترش هذا مهاد الفلاح ويلقى ذاك على حسك القباح ، وعند الحشر هذا يركب | وذاك يسحب ، ثم يقال للعصاة : هلا ذكرتم وللطائعين : سلام عليكم بما صبرتم . | كم بين خجل يذل وبين طائع يدل . إياكم إياكم والذنوب ، احذروا عواقب العيوب ، | لقد ورطت الذنوب أربابها أي إيراط ، وأسعطت أصحابها أي إسعاط ، وأبعدتهم | عن أغراضهم أشواطا بعد أشواط ، وضربت عليهم سرادقا من الندم بعد فسطاط ، هذا جنى |

---

(١) التبصرة، ٢/٥١

(٢) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات

. " (١)

" | الجناية فأين التقى المحتاط . تنبهوا لهذا يا أصحاب اللمم الشماط ، تيقظوا فهذا الموت بكم | قد أحاط ، إياكم والزلل فكم من دم قد أشاط ، آذيتم أنفسكم بالذنوب فمهلا كم إفراط ، | هذا العدو مراصد فعليكم بالرباط ، هذا الفتور وإنما مهر الجد النشاط ، سار الصالحون | وقد سلكتم غير الصراط ، ما الذي شغلكم عن أهل المحبة ؟ جمع الحبة والقيراط ، | كانوا يصومون وأنتم مفطرون ، ويقومون وأنتم نائمون ، ويبكون خوفا وأنتم تضحكون . | | روي عن هشام ، قال : بلغني أن مناديا ينادي من أول الليل : أين العابدون . فيقوم | ناس فيصلون ثم ينادي في وسط الليل : أين الفائزون فيقوم ناس فيصلون . ثم ينادي | في السحر : أين المستغفرون ؟ فيقوم ناس فيصلون . فإذا أصبح قال : أين الغافلون . | | | يا من إذا صلى خفف وإذا كال طفف ، وإذا دعي تخلف ، وإذا قيل له تب سوف ، | ما يؤثر عنده قول من حذر وخوف ، ثم يطمع في لحاق الصالحين فما أنصف ، جد القوم | وأنت قاعد ، وقربوا وأنت متباعد ، كم بين راغب وزاهد ، كم بين ساهر وراقد ، شغلهم | حب مولاهم عن لذات دنياهم ، اسمع حديثهم إن كنت ما تراهم ، خوفهم الشديد قد أزعج | وأقلق ، وحذرهم العظيم قد أتلف وأحرق ، وحادي جدهم مجد ما يترفق ، كلما رأى طول | الطريق نص وأعنق ، وكيف يحسن الفتور وأوقات السلامة تسرق ، دموعهم في أنهار | الخدود تجري وتتدفق ، يكاد حزينهم لكثرة الذنوب يشرق ، يشتاقون إلى الحبيب | والحبيب إليهم أشوق ، يا حسنهم في الدجى ونورهم قد أشرق ، والحياء فائض والرأس | قد أطرق والحنين والأنين قد أخرسا الحمام المطوق ، والأسير يبكي ويشكو ويرجو | أن يعتق ، فإذا جاء النهار دخلوا سورا من التقى بعد خندق ، تعرفهم بسيماهم وللصدق رونق ، | اسلك طريقهم وسل معينهم توفق . احذر من الهوى فالهوى عدو أزرق ، يا من كلما أتهم |

. " (٢)

" | في الخلوق ، وإنما لذات الدنيا كخطف البروق ، ميز بين ما يفنى وما يبقى تر الفروق ، | خل التواني إن شئت أن تفوق عليك حافظ وضابط ، ليس بناس ولا غالط ، يكتب | الكلمات السواقط ، وأنت في ليل الحدث خابط ، تتعرض في الصباح والمساء للمساخط ، | يا من قد شاب إلى كم تغالط

---

(١) التبصرة، ٥٤/٢

(٢) التبصرة، ٥٥/٢

، لا بد لليل من فجر منير كاشط ، كيف ينهض للعب واللهو | الأشامط ، ماذا بقي وهذا الشيب واخط ، أما تستحي وأنت في الإثم وارط ، يا قاعدا | عند التقى وهو في الهوى ناشط ، كلما رفعت لم ترد إلا المهابط ، تيقظ لنفسك فقد مضى | الفارط ، وابك على ذنبك ويكفي الفارط ، أصلح ما بقي وأقبل من الوسائط ، جاهد | هواك في الدنيا فالفخر للمرابط ، نظر لمن تعاشر واعرف لمن تخالط ، احذر جزاء القسط | عليك يا قاسط ، لا تغترر بالسلامة فربما قبض الباسط ، في لنا بالشروط ونحن نفي بالشرائط ، | ذكر نفسك بالموت ذاك الشديد الضاغط ، إذا تحيرت في الأمور وزال الجأش الرابط ، | لا تنفع الأقارب ولا تدفع الأراهط ، ونفس النفس يخرج من سم إبرة خائط . | | باع قوم جارية قبيل رمضان ، فلما حصلت عند المشتري قال لها هيئي لنا ما يصلح | للصوم ، فقالت لقد كنت قبلكم لقوم كل زمانهم رمضان ! | | لله در أقوام تفكروا فأبصروا ، ولاحت لهم الغاية فما قصروا ، وجعلوا الليل روح | قلوبهم والصيام غذاء أبدانهم ، والصدق عادة ألسنتهم والموت نصب أعينهم . | | كتب رجل إلى داود الطائي : عظني . فكتب إليه : أما بعد فاجعل الدنيا كيوم صمته | عن شهوتك واجعل فطرك الموت فكأن قد صرت إليه . فكتب إليه : زدني . فكتب إليه : | أما بعد فارض من الدنيا باليسير مع سلامة دينك كما رضي أقوام بالكثير مع ذهاب | دينهم . والسلام . | | كان داود الطائي قد ورث من أبيه عشرين دينارا فأنفقها في عشرين سنة . وكان |

---

(١) ".

" | جالسا في داره فإذا وقع سقف تقدم إلى موضع آخر إلى أن بقي دهليز الدار فمات فيه . | وتحت رأسه لبنة فدخل عليه ابن السماك فقال : اليوم ترى ثواب ما كنت تعمل ! | | ورآه بعض أصحابه في المنام فقال له : أوصني ، فقال : داو قروح باطنك بالجوع | واقطع مفاوز الدنيا بالأحزان ، وآثر حب الله على هواك لا تبال متى تلقاه . | | طوبى لعبد بالغ في حذاره ، واحتفر بكف فكره قبره قبل احتفاره ، وانتهب زمانه | بأيدي بداره ، وأعذر في الأمر قبل شيب عذاره ، ولم يرض في زاده بتقليله واختصاره ، | ورأى عيب الهوى فلم يصطل بناره ، ودافع الشهوات وصابر المكاره ، إن بحثت عنه | رأيته صائم نهاره ، وإن سألت عن ليله فقائم أسحاره ، وإن تلمحته فالزفير في إصعاده | والدمع في انحداره ، ولا يتناول من الدنيا إلا قدر اضطراره ، باعها فاشترى بها ما يبقى | باختياره ، هل فيكم متشبه بهذا أو على نجاره

---

(١) التبصرة، ٢/٩١

؟ | | يا حسنه ومصابيح النجوم تزهر والناس قد ناموا وهو في الخير يسهر ، غسل وجهه | من ماء عينه وعين العين أطهر ، فلما قضى ورد الدجى جلس يتفكر ، فخطر على قلبه | كيف يموت وكيف يقبر ، وتصور صحائفه كيف تطوى وكيف تنشر ، فهام قلبه في | بوادي القلق وتحير ، فطلق الدنيا ثلاثا وهل يستوطن معبر . | | (طوى مدة من دهره دار زخرف ٪ إلى أبد ذي سندس وحرير) ٪ | | (ألا تلكم الدار التي حل أهلها ٪ بناء عن الخطب المخوف شطير) ٪ | | (لهم ما اشتهوا فيها مسوقا إليهم ٪ مقودا إذا شاءوا بغير جرير) ٪ |

---

(١) ".

" | عن أهلهم وأولادهم فليقصدوا بابي مسرعين عجالا ! ٢ [٢] ٢ ! . | | يا غافلا عني أنا الداعي ، يا متخلفا عن زيارتي أنا ألقى الساعي ، يا مشغولا عن قصدي | لو عرفت اطلاعي ، أنا أقمت خليلي يدعو إلى سبيلي ، وأقبلت بتنويلي على محبي إقبالا | ! ٢ [٣] ٢ ! . | | لله در أقوام فارقوا ديارهم وعانقوا افتقارهم ، وآثروا غبارهم وطهروا أسرارهم ، | يدعون عند البيت قريبا سميعا ، ويقفون بين يديه بالذل جميعا ، ويسعون في مراضيه سعيا | سريعا ، وقد ودعوا مطلوب شهواتهم توديعا ، فأفادهم مولاهم أن رجعهم كيوم | أخرجهم أطفالا . | | هجروا الكدر وهاجروا إلى الصفا ، وقصدوا المروة بعد أن أموا الصفا ، وحذروا | الرد وخافوا الجفا ، وتعلقت آمالهم بمن هو حسبهم وكفى . | | (ناد زواري أنا أدعوهم ٪ نحو بيتي لينالوا شرفا) ٪ | | (فهم وفدي إذا ما نزلوا ٪ بحريمي إذ دنوا مزدلفا) ٪ | | (ولهم عندي مزيد ولهم ٪ من نوالي ما أحبوا طرفا) ٪ | | (فارقوا أوطانهم إذ قصدوا ٪ نحو بابي يطلبون الزلفى) ٪ | | (فلهم مني مهما أملوا ٪ سلفا ينمى وينشي خلفا) ٪ | | قد أحرم القوم عن الحلال فأحرموا أنتم عن الحرام ، منعوا أنفسهم من الطيب | **فاحذروا** أنتم جيفة الهوى ، يا حسنهم وقد نزعوا المخيط ونزعوا عن التضييع والتفريط ، | وملأوا بالتضرع البسيط ، فارقوا لأجل مولاهم أولادهم ، وأعروا عن رقيق الثياب له |

---

(١) التبصرة، ٢/٩٢

(٢) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا

(٣) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا

". (١)

" | | (كأنا قد شككنا في المنايا ٪ وعند جميعنا الخبر اليقين) ٪ | | إخواني : تأملوا العواقب تأمل من يراقب ، وتفكروا في النهاية فعين العقل ترى | الغاية ، الموت قريب أمم ، كم أهلك من أمم ، لقد ارتهن الذمم وتشبث باللمم ، فيا من | ستخلق منه الرمم أسماع أم صمم ، من ارتحل بغير الطبع حسن وحزم ، من علم شرف | المطلوب جد وعزم ، إنما يكون الاجتهاد على قدر الهمم ، إنما ينافس في المطلوب على | حسب القيم : | | (وحب دنياك طبع في المقيم بها ٪ وقد منيت بقرن منه غلاب) ٪ | | (لما رأيت سجايا الدهر ترحضني ٪ رددت قدري إلى صبري فأغلى بي) ٪ | | (والعقل يسعى لنفسي في مصالحها ٪ فما لطبع إلى الآفات جذاب) ٪ | | (**احذر** من الناس أدناهم وأبعدهم ٪ وإن لقوك بتبجيل وترحاب) ٪ | | (كلمت باللحن أهل اللحن أونسهم ٪ لأن عيبي عند القوم إعرابي) ٪ | | (عند الفراقد أسراري مخبأة ٪ إذ لست أرضى لآرابي بآراب) ٪ | | أيها الشاب تدبر أمرك فإنك في زمن الربح ووقت البذر وإبان الفضائل ، **احذر** أن | يخدعك العدو عن نفيس هذا الجوهر فتنفقه بكف التبذير ، تالله لئن فعلت لتغرسن بذلك | شجرة الندامة فيتساقط عليك من كل فنن منها فن حسرة . واعرف قدر ما تؤمن به | هذا الجوهر من الفضائل ، **واحذر** من اختلاس العدو له ، فصابر فكأن قد | انقضى الموسم . |

". (٢)

" | | (يحسب الحظ كله في يديه ٪ وهو منه على مدى الجوزاء) ٪ | | (ذلك الخائب الشقي وإن كان ٪ يرى أنه من السعداء) ٪ | الكلام على قوله تعالى | ! ٢ (٣) ٢ ! | | ميزان العدل يوم القيامة مستقيم اللسان ، تبين فيه الذرة فيجزى العبد على الكلمة | قالها في الخير والنظرة نظرها في الشر ، فيا من زاده من الخير طفيف ، **احذر** ميزان | عدل لا يحيف . | | أخبرنا ابن المذهب بسنده عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال : سمعت عبد الله بن عمرو | ابن العاص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ' إن الله عز وجل يستخلص | رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه

---

(١) التبصرة، ١٤٨/٢

(٢) التبصرة، ١٧٩/٢

(٣) فاليوم لا تظلم نفس شيئا

تسعة وتسعين سجلا كل | سجل مد البصر ؛ ثم يقول له : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمتك كتبتي الحافظون ؟ قال : | لا يا رب فيقول : ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرجل فيقول : لا يا رب فيقول : بلى ؛ | إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك ؛ فيخرج لها بطاقة فيها : أشهد أن | لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فيقول : أحضروه . فيقول : يا رب ما هذه | البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة ، | والبطاقة في كفة . قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ' . | | البطاقة : القطعة . |

---

(١) ".

" | | يا مخلوقا من علق ، اكتف من الدنيا بالعلق ، **واحذر** في ري الهوى من | شرق ، وتذكر يوم الرحيل ذاك القلق ، وتفكر في هاجم يسوي بين الملوك | والسوق ، وتأهب له فربما بكر وربما طرق ، يا من شاب وما تاب ، استلب باقي الرمق ، | أبعد الحلم جهل أم بعد الشيب نزق ، كان الشباب غصنا غضا فخلي عن ورق ، وأنت | في الشباب كالشيب تجري على نسق ، يا غريقا في الهوى صح من قبل الغرق ، كم | طالب خلاصا لما فات ما اتفق . | | ليأتينك من الموت ما لا يقبل رشوة ولا مالا ، إذا حال على القوي والقويم مالا ، | يا مختار الهوى جهلا وضلالا ، لقد حملت أزرك أوزارا ثقالا ، إياك والمنى فكم | وعد المنى محالا ، كم قال لطالب نعم : نعم سأعطيك نوالا وقد نوى : لا . | | كم سقى الموت من الحسرات كؤوسا ، كم فرغ ربعا عامرا مأنوسا ، كم طمس | بدورا وشموسا واستلب نعيما ثم أعطى بوسا ، وأذل جبابرة كانوا شوسا ، وأغمض عيونا ونكس رؤوسا وأبدل التراب عن الثياب ملبوسا . | | (إذا كان ما فيه الفتى عنه زائلا ٪ فشتان فيه أدرك الحظ أو أخطا) ٪ | | (وليس بفي يوما سرورا وغبطة ٪ بحزن إذا المعطي استرد الذي أعطا) ٪ | | ذهب الشباب الأسود ، وانقضى العيش الأرغد ، وقال الشيب : أنا الموت وما أبعد ، | هذا وقلب الغافل كالجلمد : | | (لا بدع إن ضحك الفقير ٪ فبكى لضحكته الكبير) ٪ | | (عاصى العزاء عن الشباب ٪ وطلوع الدمع الغزير) ٪ | | (سقيا لأيام مضت ٪ فطويلها عندي قصير) ٪ |

---

(١) التبصرة، ٢/٢٠٩

(١) ".

" | | (سقى الشباب وإن عفى ٪ آثار معهده القتير) ٪ | | (ما كان إلا الملك أودى ٪ بل هوى وهوى السرير) ٪ | | (هون عليك فإنها ٪ خلع أعاركها معير) ٪ | | (والدهر يقسم مرة ٪ نفلا وآونة يغير) ٪ | | كل راحات الدنيا هموم وكروب ، أما دوام العيش بالمشيب مشوب . | | نظر سليمان بن وهب وزير المهتدي يوما في المرآة فرأى شيبا كثيرا فقال : | عيب لا عدمنا . | | أنت كل يوم إلى القبر تتقرب ، وسترحل إلى البلى وتتغرب ، وسيأكل المحب | بعدك ويشرب ، وكأنك إذا ذكرت أضرب ، فخذ العدة فخيل الشدة تسرب ، | واسمع نصحي فنصحي مجرب ، يا هذا احذر الأمل ، وبادر العمل ، فكأنك بالأجل | على عجل . أما الأعمار كل يوم ناقصة ، أما الفجائع واردة واقصة ، أما النكبات | لأهلها معاقصة ، أما كف الموت قابضة قانصة ، فأنى لساكن الدنيا بالسلامة الخالصة ، كأنك | بالموت قد ثلب وقدح ، وأورى زناد الرحيل وقدح ، وخلت كفك يا من تعب | وكدح ، وتساوى لديك من ذم ومن مدح ، ما هذه العمارة لدار خراب ، كلما عمرها | قوم صاح بينهم للبين غراب ، أتبني وأنت تنقض ، هذا العجاب : | | (رب شريف البناء عاليه ٪ بالشيد والساج كان بانيه) ٪ | | (كأنما الشمس في جوانبه ٪ بالليل من حسنه تباهيه) ٪ |

---

(٢) ".

" | الكلام على البسملة | | (ألم يأن تركي ما على ولا ليا ٪ وعزمي على ما فيه إصلاح حاليا) ٪ | | (وقد نال مني الدهر وابيض مفرقي ٪ بكر الليالي والليالي كما هيا) ٪ | | (أصوت بالدنيا وليست تجيبني ٪ أحاول أن أبقى وكيف بقائيا) ٪ | | (وما تبرح الأيام تحذف مدتي ٪ بعد حساب لا كعد حسابيا) ٪ | | (أليس الليالي غاصباتي مهجتي ٪ كما غصبت قبلي القرون الخواليا) ٪ | | (وتسكنني لحدا لذي حفرة بها ٪ يطول إلى أخرى الليالي ثوائيا) ٪ | | (فيا ليتني من بعد موتي ومبعثي ٪ أكون ترابا لا علي ولا ليا) ٪ | | يا من ذنوبه كثيرة لا تعد ووجه صحيفته بمخالفته قد اسود ، كم ندعوك إلى الوصال | وتأبى إلا الصد ، أما الموت قد سعى نحوك وجد ، أما عزم أن يلحقك بالأب والجد . | أما ترى منعما أترب الثرى منه الخد ، كم عاينت متجبرا كف الموت كفه الممتد ، | فاحذر

---

(١) التبصرة، ٢/٢٣٧

(٢) التبصرة، ٢/٢٣٨

أن يأتي على المعاصي فإنه إذا أتى أبى الرد ، إلى كم ذا الصبا والمراح ، أأبقى | الشيب موضعا للمزاح ، لقد أغنى الصباح عن المصباح ، وقام حرب المنون من غير | سلاح ، اعوجت القناة بلا قنا ولا صفاح ، فعاد ذو الشيبة بالضعف ثخين الجراح ، | ونطقت ألسن الفناء بالوعظ الصراح ، وا أسفا صمت المسامع والمواعظ فصاح ، لقد | صاح لسان التحذير يا صاح يا صاح ، وأنى بالفهم لمخمور غير صاح ، لقد أسكرك | الهوى سكرا شديدا لا يزاح ، وما تفيق حتى يقول الموت : لا براح . | | | (ألا تبصر الآجال كيف تخرمت ٪ وكل امرئ للهلك والموت صائر) ٪ | | (وأنت بكأس القوم لا بد شارب ٪ فهل أنت فيما يصلح النفس ناظر) ٪ |

". (١)

" | | وفي الشهيد ثلاثة أقوال : أحدها : أنه ملك يشهد عليها بعملها . قاله عثمان بن عفان | والحسن . وقال مجاهد : الملكان سائق وشهيد . وقال ابن السائب السائق : الذي يكتب | عليه السيئات . والشهيد : هو الذي كان يكتب له الحسنات . | | والثاني : أنه العمل يشهد على الإنسان . قاله أبو هريرة . | | والثالث : الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله . قاله الضحاك . | | إخواني احذروا من العرض على مالك الطول والعرض ، وأعدوا الجواب إذا | سئلتم عن الفرض ، أين الحياء من قبح المضمرات ، أين البكاء على سالف الخطرات ، | أين الخوف من الجزاء على خطوات الخطيئات . | | كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي : أما بعد : فإني أوصيك بتقوى | الله سبحانه والعمل بما علمك الله تعالى ، والمراقبة حيث لا يراك إلا الله عز وجل ، | والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة ولا ينتفع بالندم عند نزوله ، فاحسر عن رأسك | قناع الغافلين ، وانتبه من رقدة الموتى وشمر للسباق غدا ، فإن الدنيا ميدان المسابقين ، | ولا تغتر بمن أظهر النسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف ، واعلم يا أخي | أنه لا بد لي ولك من المقام بين يدي الله تعالى ، يسألنا عن الدقيق الخفي وعن الجليل | الخافي ، ولست آمن أن يسألني وإياك عن وسواس الصدور ولحظات العيون والإصغاء | للاستماع ، واعلم أنه لا يجزي من العمل القول ولا من البذل العدة ولا من التوقي | التلاوم . |

---

(١) التبصرة، ٢/٢٦٧

" (١).

" | | يا من معاصيه كثيرة مشهورة ، يا من نفسه بمن يجني عليها مسرورة ، أفي العين | كمه أم عشى أم الأمر إليك يجري كما تشا ، أعلى القلب حجاب أم غشا ، أيا من إذا قعد | عصى وكذا إذا مشى ، كل فعلك غلط ، كل عملك سقط ، أترى هذا العقل اختلط ، | أما قوم بهذا الشمط ، أما علم الشيب على حروف الموت ونقط ، لقد عزم الأجل على | النهوض ، وطال ما أقام والدنيا قروض ، قصر يبنى وجسم منقوض ، شيب | وعيب يزحلق الفروض : | | (إلى متى أنت في ذنوب ٪ قلبك من أجلها مريض) ٪ | | (أقرضت عمرا فمر خلسا ٪ وآن أن تطلب القروض) ٪ | | (**فاحذر** مجيء الحمام بغتا ٪ وأنت في باطل تخوض) ٪ | سجع على قوله تعالى : ! ٢ (٢) ٢ ! | | كأنك بالعمر قد انقرض ، وهجم عليك المرض ، وفات كل مراد وغرض ، وإذا | بالتلف قد عرض أخاذا ! ٢ (٣) ٢ ! . | | شخص البصر وسكن الصوت ، ولم يمكن التدارك للفوت ، ونزل بك ملك الموت | فسامت الروح وحازى ! ٢ (٤) ٢ ! . | | عالجت أشد الشدائد ، فيا عجبا مما تكابد ، كأنك قد سقيت سم الأساود فقطع | أفلاذا ! ٢ (٥) ٢ ! . | | بلغت الروح إلى التراقي ، ولم تعرف الراقي من الساقي ، ولم تدر عند الرحيل | ما تلاقى ، عياذا بالله عياذا ! ٢ (٦) ٢ ! . |

" (٧).

" | | يا بعيدا عن الصالحين ، يا مطرودا عن المفلحين ، لقد نصب الشيطان الأشراك وجعل | حب الفخ هواك ، وكم رأيت مأسورا وسط ذاك ، وليس المراد الآن إلاك ، **احذر** | فخه فهو بعيد الفكاك ، كم يوم غابت شمسه وقلبك غائب ، وكم ظلام أسبل ستره | وأنت في عجائب ، كم ليلة بالخطايا قطعتها ، وكم من أعمال قبيحة رفعتها ، وكم من | ذنوب جمعتها والصحف أودعتها ، كم نظرة ما تحل

---

(١) التبصرة، ٢/٢٧٤

(٢) لقد كنت في غفلة من هذا

(٣) لقد كنت في غفلة من هذا

(٤) لقد كنت في غفلة من هذا

(٥) لقد كنت في غفلة من هذا

(٦) لقد كنت في غفلة من هذا

(٧) التبصرة، ٢/٢٧٥

ما خفت ولا منعتها ، كم من | موعظة تعيها وكأنك ما سمعتها ، وكم من ذنوب تعيب غيرك بها أنت صنعتها ، وكم | أمرتك النفس بما يؤذي فأطعتها ، يا موافقا لنفسه آذيتها ، خالفها وقد نفعتها : | | (طوى نفسه عنك الشباب المزايل ٪ وأسلمت للشيب الذي لا يزايل) ٪ | | (نسير إلى الآجال في كل ساعة ٪ وأيامنا تطوى وهن مراحل) ٪ | | (ولم أر مثل الموت حقا كأنه ٪ إذا ما تخطته الأماني باطل) ٪ | | (وما أقبح التفريط في زمن الصبا ٪ فكيف بـه والشيب في الرأس شامل) ٪ | | (ترحل عن الدنيا بزاد من التقى ٪ فعمرك أيام وهن قلائل) ٪ | | الكلام على قوله تعالى : ! ٢ [١] ٢ ! | كان مطرف بن عبد الله يقول : هذه آية القراء . | | ومعنى يتلون : يقرؤون . | | وفي أفراد البخاري من حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه | قال : ' خيركم من تعلم القرآن وعلمه ' . | | أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن عبد الرحمن بن زيد العقيلي عن أبيه عن أنس ، |

". [٢]

"الحمد لله القاسم المرزق والجالب للقوت، القادر فلا يعجزه شيء ولا يفوت، الموصوف بالقدم وبالكرم منعوت، العالم بما فوق الفوق وتحت التحوت، له العز والكبرياء والملكوت، وإليه المرجع والرغبوت، ومنه الخوف والحذر والرهبوت، إذا حدق الفكر نحو عظمته رجع وهو مبهوت، صرعت أقداره العتاة فهلك إبليس وماروت، ورفع إنعامه المحتقرين فملك على ضعفه طالوت، وقوت إعانته المنكسرين فقتل داود جالوت، ينفخ في الصور فيقوم من القبور الأموات الخفوت، ويناقش في السؤال فإذا الفصيح صموت، واعجباً لهذا العظيم يعبد معه صنم منحوت، موصوف بالكلام وقد جل عن وصف السكوت، ولقد قالوا في كلامه ما لا يقال في االموت، جاء جهم ذو النظام والمريس فخربوا البيوت، كل منهم كان محنة وكل طاغوت، أيقال إن القرآن ليس بمسموع ما قال راس المشبه ولا راس الجالوت، كلا بل هو المسموع المتلو في بيوت، يا أئمة السلف جحدت السكينة وسرق التابوت، أتراهم ابتدعوا النبل الحطام سم وخشوت، **احذرهم** ودع انسهم ثم لا تنسهم في دعاء القنوت، وجاهد أعداء السنة أهل الغي (وَتَوَكَّل عَلى الحيِّ الّذي لا يَمُوتُ) نسجت ثوب السنة فدار المنوال وتم المشتوت، يا لكلامي أحسن من در ماروت، مليح ولا غمرة بدين ولا قنوت، ظرف مملوء ظرفاً لا كقول مكبوت، أيماثل نسج دود القز ونسج بيت العنكبوت،

(١) إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة

(٢) التبصرة، ٢/٢٨٥

أيشبه الدر بالبعر من مثل هذا أموت، بينه وبين غيره كما بين العرش والبهموت، لا يقدر على مثل قولي ولكن سل عن البخوت.

الخطبة الخامسة

الحمد لله القديم فلا يقال متى، القاهر بعز سلطانه كل جبار عتا، المحمود على أي قضاء منه أتى، قرب موسى نجيا فقرت عين الفتى، وأرسله بمعجز العصا إلى من عصى فنسخ بحقه باطلهم نسخ الصيف الشتاء، فلو رأيت أعداءه قد جمعوا واجتمعوا، فنادى لسان النصر ولكن ما سمعوا، (وَألق ما فِي يَمِينِك تَلقَف ما صَنَعوا كَيدُ ساحرٍ ول ا يفُلِحُ الساحِرُ حَيثُ أتى).

حرف الثاء

الخطبة الأولى الحمد لله الذي يكشف الكرب يغيث، ويروح بالفرج قلب اللهيث، يحلم عمن يعصي ويفسد، وعيده بطيء ووعده حثيث،أنزل القرآن فجحده الوليد وكم تبع الخبيث، وادعى مسيلمة معارضته فإذا في الرجل تخنيث، وافتضح ذو الخمار فسقطت النقطة من اسمه ومبث، هؤلاء لما هلكوا وأخذ المبتدعة المواريث، ما يرضى لهم طوفان نوح وريح عادٍ فاصبر يا مستريث، انتدب الحق بنفسه لجاحد كلامه بمن يستغيث، (فَذَرني ومَن يُكَذِّبُ بِهَذا الحَدِيثِ).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أجزل النعم وبثها بثا، فكم كشف كرباً وكم رفع بثا، وكم قوى أملاً كان قد رثا، أنزل من السماء ماء فسقى حرثا، وأخرج لبناً قد جاور دماً وفرثا، فردى به نفوساً كانت عطشى غرثى، أنشأ الجبال صماً ثم يعيدها هباء منبثا، كمثل الرجل ونقص وحير الخنثى، وكم سلب طفلاً وما بلغ بعد حنثا، وجازى بالأعمال فيها يثنى ويثنى، أقام العابدين يبعثون نوق الجد يحذرون بعثا، فكلما حركهم الخوف زادوا المطي حثا، (فاستَجابَ لَهُم رَبُّهُم أنّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عاملٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أو أُنثى) .

الخطبة الثالثة

الحمد لله مخرج المزارع برفقة والحروث، ومشبع الجائع برزقه والفروث، من أصل كالبذر وغير أصل كالكشوث، يحب الوافي بالعهود ويقلي النكوث، ويبغض النفاق وتكفي سورة البحوث، يخلط الأمشاج في مستقرها ويموث، فترتب القدرة المعا ثم الفروث، والكبد تطبخ الطعام وهو بالهضم محثوث، والقلب تارة يفرح وتارة مخروث، والروح مدبر البدن والقلب سلطان البعوث، والآدمي قليل الشكر للنعم وللبلاء نفوث، متكبر وتؤذيه بقة ويزعجه برغوث، سبحان من صنعه جميع الموجودات من يعوق ومن نسر ومن

يغوث ويا قلة بقائه ثم إنه بعد الموت مبعوث، يوم تظهر الأموال الرائعة إذا وقعت الواقعة (القارِعَةُ، وما القارِعَة. وَما أدراكَ ما القارِعَة، يَومَ يَكُونُ الناسُ كالفَراشِ المَبثُوث).

حرف الجيم

الخطبة الأولى." (١)

"سَلامي عَليكُم كَيفَ حالُكُم ... وَهَل عِندَكُم مِن وَحشَةِ البَينِ ما عندي

سبق العلم بنبوة " موسى " و " إيمان " آسية " فسيق تابوته إلى بيتها، فيه طفل منفرد عن أم إلى امرأة خالية عن زوج.

قرينان مرتعنا واحد

لما قضيت في القدم سلامة " سلمان " حملته صبا الصبا نحو الدين، كان أبوه على اعتقاد المجوس، فعرج به دليل التوفيق إلى دير النصارى، فأقبل يناظر أباه فلم يكن لأبيه جواب القيد، وهذا الجواب المرذول قديم من يوم (أَنا أُحيي وَأُميت)، (ثُمّ نُكِسوا) (قالوا حَرِقوهُ) فنزل في البداية ضيف (وَلَنَبلونَكُم) ولولا مكابدة البلاء ما نيلت مرتبة (رب أشعث أغبر، لو أقسم على الله لأبره) فسمع أن ركبا على نية السفر، فسرق نفسه من حرز أبيه ولا قطع، فركب راحلة العزم يرجو إدراك مطلب الغنى، وغاص في مقر بحر البعث ليقع على بدرة الوجود، فصاح به الهوى: إلى أين؟ فقال (إِنى ذاهِبٌ إِلى رَبي) وقف نفسه على خدمة الأدلاء، وقوف الأذلاء.

فلما أحس الرهبان بانقراض دولتهم، زوده سفره إلى طلب علم الأعلام على علامات نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، وقالوا: قد آن زمانه وأظل، **فاحذر** أن تضل، فإنه يخرج بأرض العرب، ثم يهاجر إلى أرض بين حرتين، فلو رأيته قد فلى الفلاة، والدليل شوقه، والحنين يزعجه، والتلهف يقلقه

وَأَبغَضتُ فيكَ النَخلَ وَالنَخلُ يانعٌ ... وَأَعجَبَني مِن حُبِكَ الطَلحُ وَالضالُ

وَأَهوى لِجَرّالُ السَّمَاوَةَ وَالفَضى ... وَلو أَنّ صَنفِيَةَ وَشاةٍ وعُذالُ

رحل مع رفقة لم يرفقوا به (فَشَروهُ بِثَمَنٍ بَخس) فاشتراه يهودي بالمدينة، فانجبر انكسار رقه بإنعام " سلمان منا " وتوقد شوقه برؤية الحرتين، وما علم المنزل بوجد النازل.

أَيَدري الرَبعُ أَيَ دَمٍ أَراقا ... وَأَيَّ قُلوبٍ هَذا الرَكبُ ساقا؟

لَنا وَلأَهلِهِ أَبداً قُلوبُ ... تَلاقى في جُسومٍ ما تَلاقى!!

---

(١) اللآلي، ص/٣

فبينما هو يكابد ساعات الانتظار جاء البشير بقدوم الرسول، و " سلمان " في رأس نخلة، فكاد القلق يلقيه لولا أن الحزم أمسكه، كما جرى يوم (إِن كادَت لَتُبدي بِهِ) ثم عجل النزول ليلقي ركب البشارة، وأي ثبات بقي ليعقوب في حال (إِني لأجد).

خَليليَّ مِ، نَجدٍ قَفاني عَلى الرُّبافَقَد هَبَ مِ، تِلكَ الرُسومِ نَسيمُ طف صالح به المالك: مالك وهذا؟ انصرف إلى شغلك.

كيف انصرافي ولي في داركم شغل ثم أخذ يضربه، فأخذ لسان حال المشوق يترنم، لو سمع الأطروش؟

خَليليَّ لا وَاللَهِ ما أَنا مِنكُما ... إِذا عَلَمٌ مِن آَلِ لَيلى بَدا لِيا

الفصل السادس

تتجافى جنوبهم عن المضاجع

سفر الليل لا يطيقه إلى مضمر المجاعة، تجتمع جنود الكسل فتتشبث بذيل التواني، فتزين حب النوم، وتزخرف طيب الفراش، وتخوف برد الماء، فإذا ثارت شعلة من نار الحزم، أضاءت بها طريق القصد، فسمعت أذن اليقين هاتف: هل من سائل؟

فَقُمتُ أَفرِشُ خَدّي في الطَريقِ لَهُ ... ذُلاً وَأَسحَبُ أَجفاني عَلى الأَثَرِ

نفس المحب في الليل على آخر نفس، وفي " المتعبدين قوة " وهم يستغفرون صراخ الأطفال غير بكاء الرجال، سهر الليل هودج الأحباب، يوقظ نسيم الأسحار أعين ذوق الأخطار، فلو رأيتهم

وَقَد لاحَت الجوزاءُ وَأنحَدَرَ النَّسرُ

قد افترشوا بساط " قيس " وباتوا بليل " النابغة " إن ناموا توسدوا أذرع الهمم، وإن قاموا فعلى أقدام القلق، كأن النوم حلف على جفاء أجفانهم

هَذا رِضاكَ نَفى نَومي فأَرَّقَني ... فَكَيفَ يا أَمَلي إِن كُنتَ غَضبانا

مازالوا على مطايا الأقدام إلى أن نم النسيم بالسحر، وقام الصارخ ينعي الظلام، فلما تمخض الدجى بحمل السحر، تساندوا إلى رواحل الإستغفار.

شَكونا إِلى أَحبابِنا طَولَ لَيلَنا ... فَقالوا لَنا ما أَقصَرَ اللَيلَ عِندَنا

رياح الأسحار أقوات الأرواح، رقت، فراقت، فبردت حر الوجد. وبلغت رسائل الحب.

أَلا يا صِبا نَجِدُ مَتى هُجتَ مِن نَجدٍ ... لَقَد زادَني مَسراكَ وَجداً عَلى وَجدِ
مكروب الوجدن يرتاح إلى النسيم، وإن قلقل الواجد.." (١)

"إذا كان " بنيامين " نسب إلى السرقة، فأي وجه لخلاص يرجى.

رؤي " عمر " بعد موته باثنتي عشرة سنة فقال: الآن تخلصت من حسابي واعجبا أقيم للحساب أكثر من سني الولاية، أفينتبه بهذا راقد الهوى؟.

يا متلطخا بأقذار الظلم، بادر الغسل من مد العوافي قبل أن يجزرك، لا يغرنك عيش أحلى من العسل، فالمحاسبة أمر من العلقم، ستعلم أيها الغريم قدر عزيمك.

إذ يلتقي كل ذي دين وماطله الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب، ليت الحلال سلم، فكيف الحرام؟ كان لبان يخلط اللبن بالماء، فجاء سيل فأهلك الغنم، فجعل يبكي ويقول: اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا.

ولسان الجزاء يناديه " يداك أوكتا وفوك نفخ " .

كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة، واحترقت كبد يتيم؟ (وَلَتَعلُمَنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حين) واعجبا من الظلمة كيف ينسون طي الأيام سالف الجبابرة، وما بلغوا معشار ما آتيناهم، أما شاهدوا مآلهم؟ (فَكُلاً أَخَذنا بِذَنبِهِ) أما رحلوا عن أكوار الندم؟ (فَما بَكَت عَلَيهِم السَماءُ والأرض) أما صاح هاتف الإنذار؟ (كَما تَرَكوا مِن جَناتٍ وَعُيون) واعجبا للمغترين (وَقَد خَلَت مِن قَبلِهِم المَثُلات) أما يكفيهم من الزواجر (وَتَبَينَ لَكُم كَيف فَعَلنا بِهِم) من لهم إذا طلبوا وقت العود؟ (فَحِيلَ بَينَهُم وَبَينَ ما يَشتَهون) كم دار بنعم النعم دارت عليها دوائر النقم؟ (فَجَعلناها حَصيدا)؟ يا معاشر الظلمة: " سليمان " الحكم قد حبس " آصف " العقوبة في سجن (فَلا تَعجَل عَلَيهِم) وأجرى الرجاء (لِئَلا يَكونَ لِلناسِ عَلى اللَهِ حُجة) فلو ذهبت سموم الجزاء من مهب (وَلَئِن مَستهُم نَفحَةٌ) لقلعت سكر (إِنّما نُملي لَهُم) (فَلا يَستَطيعونَ تَوصية).

فالحذر الحذر (أَن تَقولَ نَفسٌ يا حَسرَتى) (وَلاتَ حينَ مَناص) أبقي في قوس الزجر منزع (أَفَنضرِبُ عَنكُمُ الذِكرَ صَفحاً).

سفينة التقى تحتاج إلى إحكام تام، ولليم منافذ صغار في الدسر، فاحكم تلك البقاع بقار الورع، هيهات قد خرقتها بالكبائر، وما تتنبه لما صنعت حتى يصيح " نوح " الأسى (لا عاصِمَ) يا هؤلاء: فتعاش العدل إذا لم ينتزع شوك الظلم أثر ما لم يؤمن تعديه إلى القلب، لا تعربوا في سكر القدرة، فصاحب الشرطة

---

(١) اللطائف، ص/٤

بالمرصا.

ويحكم، لا تحتقروا دعاء المظلوم، فشرار نار قلبه محمول بريح دعائه إلى سقف بيت الظالم، نباله تصيب، نبله غريب، قوسه حرقه، وتره قلهه، مرماته هدف، (لأَنصُرَنّكَ وَلَو بَعدَ حين) سهم سهمه الإصابة.

وقد رأيت وفي الأيام تجريب

الفصل العاشر

العمل للآخرة

إخواني ارفضوا الدنيا فقد رفضت من كان أشغف بها منكم، اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، الدنيا خمر ساعدها تغريد طائر الطبع فاشتد سكر الشاربن ففات موسم الريح، ثم بعد الإفاقة يقام الحد، فيقيم قائم الحزن، ويكفي في الضرب فوت الخير فإذا ماتوا انتبهوا.

ويحك، إن الموت سحاب، والشيب وبله، ومن بلغ السبعين اشتكى من غير علة، والعاقل من أصبح على وجل من قرب الأجل، يا هذا: الدنيا وراءك، والأخرى أمامك، والطلب لما وراء هزيمة، وإنما العزيمة في الإقدام، جاء طوفان الموت فاركب سفن التقى، ولا ترافق "كنعان " الأمل، ويحك، انتبه لإغتنام عمرك، فكم يعيش الحيوان حيران؟.

الأسقام تزعج الأبدان فلا بد من النحول ضرورة، كأنك بك في لحدك على فراش الندم، وإنه والله لأخشن من الجندل، فازرع في ربيع حياتك قبل جدوبة أرض شخصك، وادخر من وقت قدرتك قبل زمان عجزك، وأعتد رحلك قبل رحيلك مخافة الفقر في القفر إلى الأزم، **الحذار الحذار** (أَن تَقولَ نَفسٌ يا حَسرَتى).

الحازم يتزود لما به، قبل أن يصير لمآبه، شجرة الحزم أصلها إحكام النظر، وفروعها المشاورة في المشكل، وثمرتها انتهاز الفرص، وكفى بذهاب الفرصة ندما.

وَكَم فُرصَةٍ فاتَت فَأَصبَحَ رَبُّه ... يَعُضُ عَلَيها الكَفَّ أَو يَقرَعِ السَّنا

واعجبا؟ لمضيع العمر في التواني، فإذا جاء متقاضي الروح قال (إِنّي تُبتُ الآن) (وَأَنّى لَهُم التَناوُش مِن مَكانٍ بَعيد).." (١)

"يا جَيرَةَ الحَي هُبُّوا مِن رُقادِكُم ... فَلي حَديثٌ لَه مَعَ سَمعِكُم شُغُلُ

طريق الفضائل مشحونة بالبلاء، ليرجع عنها محنث العزم، إذا نزلت بالحازم بلية فوجد مذاقها مرا، أدار في الفكر حلو العواقب، فنسخ وسخ ما رسخ. العاقل صابر للشدائد لعلمه بقرب الفرج، والجاهل على الضد،

---

(١) اللطائف، ص/٧

كما أن النار إذا اشتعلت في حطب الزيتون لم يدخن، بخلاف السوس، ألا إن الطبع طفل، والعقل بالغ.

وَعاقِبَةُ الصَبرِ الجَميلِ جَميلَةٌ ... فَلا تَسأَمَنَّ الصَبرَ وَاصبِر لَعَلَها؟؟.

الفصل السابع والعشرون

الدنيا لا تصلح للتوطن

إخواني: الدنيا ملتقى الوداع، فاصبروا لما مر منها فكأن قد مر، **واحذروا** شرها فقد سحرت سحرة بابل، مكارهها في غصون المحبوب وأعقابه، ما أمسى أحد منها في جناح آمن، إلا أصبح على قوادم خوف.

وَكَم سَلَبَتْك حَبيباً ... وَأَنتَ عَلى حُبِها أَفيقُ

أُفُقُ قَد أفاقَ الوامِقُونَ وَقَد أَنّى ... لِدائِكَ أَن يَلقى طَبيباً يُلائِمُهُ

أفنيت عمرك في طلبها، وما حصل بيدك إلا ما حصل بيد " المجنون " من " ليلى " .

صَحا كُلَ عَذريِّ الغَرامِ مِنَ الهَوى ... وَأَنتَ عَلى حُكمِ الصَبابَة نازِلُ

تصحو في المجلس من خمار الدنيا ساعة ثم تستبيك حميا الكاس، وليس في البرق اللامع من مستمتع، لمن يخوض الظلمة، كما أعطف عطفك بلجام اليقظة، فإذا انقضى المجلس عاد الطبع ثاني عطفه.

وتأبى الطباع على الناقل جسمك عندنا، وقلبك غائب عنا، عزمك في طلب الدنيا، وتشتهي نيل الآخرة.

هَواها وَرواها وَالسُّرى من أمامها ... فَهُنّ صَيحاتُ النَواظِرِ حُوَّلُ

الدنيان مفازة لا تصلح للتوطن، إن البيدر إذا صفي حمل إلى دار الإقامة.

واعجبا لمن أطال الوقوف على القنطرة حتى نسي اسم البلد، ويحك. كسب الدنيا لذيذ غير أن الحساب عليها شديد، ساعة الحمل لعب، والجد في الولادة. نثار السكر في مبدأ العقد. مزاج لمرارة الوضع. الدنيا كامرأة فاجرة لا تثبت مع زوج فلذلك عيب طلابها.

مَيَزَت بَينَ جَمالِها وَفَعالِها ... فَإِذا المَلاحَةُ بِالخِيانَةِ لا تَفي

حَلَفتُ لَنا أَن لا تَخونَ عُهودَها ... فَكَأَنَما حَلَفتَ لَنا أَن لا تَفي

الدنيا قنطرة على بحر الهلاك، فخذوا بالحزم في تعلم السباحة قبل الجواز، فما تأمن عثور قدم ولا عاصف قاصف، **احذرها** آمن ما تكون منها، وانتظر حزنها أسر ما تكون منها.

إِذا رَأَيتَ نيوبَ اللَيثِ بارِزَةً ... فَلا تَظُنَّنَّ أَن اللَيثَ يَبتَسِمُ

الدنيا دار ابتلاء تشبه قصر مصر، استبق لاباب فيها " يوسف " الصبر، و " زليخا " الهوى، وقمص الأعمال تعرض على " يعقوب " الشفاعة، فمن رأى قميصه قد قد من قبل قال: سحقا سحقا، ومن رآه قد قد من

دبر قال: ادخرت شفاعتي.

فيامن قد ألقاه الهوى في جب حب الدنيا، سيارة القدر تبعث كل ليلة وارد: (هَل مِن سائِلٍ؟ " فكن متيقظا لل‍وارد إذا أدلى دلو التخليص، وقم على قدم (تَتَجافَى) وامدد أنامل (يَدعونَ رَبَهُم) وألق ما في يمينك لتتعجل الخروج، ولا تتشبث بأرجاء بئر الهوى، فإنها رمل تنهار عليك، فإذا تخلصت بعزائمب الإنابة **فاحذر** من الطريق المسبعة، وسر في مصباح اليقين خلف دليل الهوى: فعند الصباح يحمد القوم السرى.

الفصل الثامن والعشرون

اقترب للناس حسابهم

صاح بالصحابة واعظ (اِقتَرَبَ لِلناسِ حِسابُهُم) فجزعت للخوف قلوب، فجرت للحزن عيون (فَسالَت أَودِيَةُ بِقَدَرِها).

رمى " الصديق " ماله حتى ثوبه على " المدكر " وتخلل بالعبا، وقال " عمر " : ليتني كنت نبة؟؟ وقال عثمان: ليتني إذا مت لا أبعث.

صاح " علي " بالدنيا: طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، وقد كانت تكفي واحدة، لكنه كيلا يتصور الهوى جواز المراجعة، وطبعه الكريم يأنف من المحلل.

وقال: " أبو الدرداء " : ليتني كنت شجرة تعضد.

وقال " عمران بن حصين " ليتني كنت رمادا.

أنت تسمع القرآن لكن لا كما سمعوه.

لَو يَسمَعونَ كَما سَمِعتُ كَلامَها ... خَرّوا لِعِزَّةَ رُكَّعاً وَسُجوداً." (١)

"يا هذا: لنا بك لطف يزيد على كل لطف، إذا تبت من الذنب أنسينا الملك ما كتب وإذا حاسبناك سترناك كيلا يرى الخلق اصفرار لونك بالخجل، يا طاهر الفطرة: لا تتدنس بأنجاس الزلل، شمر أذيال التقى عن مزبلة الهوى، **واحذر** رشاش الخطأ أن ينتضح أثواب النظافة.

وحل التكليف يحتاج إلى قوة التحرز، فانظر بين يديك (فَإِن زَلَلتُم مِن بَعدِ ما جاءَتكُم البَينات) فعيون العيون تغسل أدران القلوب.

كان أول أمرك سليما يوم (وَأَشهَدَهُم عَلى أَنفُسِهِم) فأصلح آخر أمرك تسامح في الوسط. يا طويل الغيبة عن وطن (أَلَستَ) أين حنين شوقك.

---

(١) اللطائف، ص/١٧

نَقِّل فُؤادَكَ حَيثَ شِئتَ مِنَ الهَوى ... ماالحُبُّ إِلا لِلحَبيبِ الأَول

يا معرضا عنا: بمن تعوضت؟ يا ملتفتا عنا: لماذا فوضت؟؟ قف على الدرب وأنشد ظعائن الغاديني.

أَلا خَبِرونا أَينَ زُمَّت رِكابُكُم ... وَأَينَ اِستَقَرَت هُوجُكُم وَمَطاكُم

أنين المذنبين أحب إليّ من زجل المسبحين.

المطيع يدل بالعمل، والمذنب ذليل بالزلل، والمخطىء يحرك أوتار الوجل، وينشد بتطريب الخجل.

مَن مُعيدٌ ذي الأَأثل أَوما ... قَلَّ مِنها دَيناً عَليَّ وَفَرضا

سامِحاً بالقَليلِ مِن أَرضِ نَجدٍ ... رُبَّما أَقنَعَ القَلَيلَ وَأَرضى

واعجبا؟؟ يستقرض المالك قطرة من الدمع، وقد خلق سبعة أبحر (لَهُ مُلُكُ السَمَواتِ والأَرض) وقد بعث رسالة (مَن ذا الذي يُقرِضُ الله) الكبرياء ردائه، وهو يقول: جعت فلم تطعمني قطع أعناق الألسن أن تعترض بحسام (لا يَسأَل) ثم أقبل بإنعام؟ هل من سائل.

ما يسعه مسكسن، ويسعه قلب من تمسكن، غاب عن الأبصار، وبدا للبصائر.

واعجبا يتحبب إليك وهو عنك غني، وتتمقت إليه فقير، إن تأخرت قربك، وإن توانيت عاتبك، ما آثر عليك من المخلوقات شيئا، وأنت تؤثر عليه كل شيء، فنكس رأس الندم، قبل العتاب، فمالك عن هذا جواب.

صَحائِفُ عِندي لِلعِتابِ طَويتُها ... سَتُنشَرُ يَوماً وَالحِسابُ يَطولُ

الفصل الحادي والثلاثون

تضرع الصالحين

لما رأى الصالحون سطوة الدنيا بأهلها، وتملك الشيطان قياد النفوس، لجأوا إلى حرم التضرع، كما يأوي الصيد المذعور إلى الحرم.

فلو رأيتهم يمشون في ثياب التجمل، عليهم قناع القناعة (يَحسَبُهُم الجاهِلُ أَغنياءَ مِنَ التَعَفُّف) ينامون ولا نوم الغرقى، ويأكلون ولا أكل الثكلى تأكل كل يوم المصيبة، ولكن هدم الحزن أكثر من بناء العزاء.

لو كانت لك عين بصيرة عرفت القوم، وخط الولاية على وجه الولي قلم هندي، لا يعرفه إلا عالم به، تلمح القوم بأعين البصائر العواقب، ولم يروا عائقا عن المطلوب سوى النفس، فتلطفوا لقهرها بحيلة لا يعرفها " ابن هند " ولا يعلمها " ابن العاص " فلما أسروها فتكوا فيها، ولا فتك ابن طملجم " قلوبُ أسودٍ في صدور رجال

إِنّكَ لَو رَأَيتَ ذا العَزمِ مِنهُم رَأَيتَ لَيثا قَد حُورِب

إِذا هَمَّ أَلقى بَينَ عَينَيهِ عَزمَهُ

هبت زعازع الفكر، فقلبت أرض القلوب، فألقى فيها بذر العزائم، فسقته مزن الجد، فدبت الأرواح في أغصان المعاملة، فظهرت أزهارها، إذا رأوا ذكر الله ففاح عبير النور، أطيب عرفا من مسك، فقويت بريحه نفوس المريدين.

لا يحصل خطير إلا بخطر، فاخنس في خيسك، يا مخنث العزم، الربح في ركوب البحر، الدر في قعر اليم، العلم في ترك النوم، الفخر في هجر النفس.

من يحب العز يدأب إليه، فكذا من طلب الدر غاص عليه، لولا التخلل بالعبا ما جاءت مدحة " أنا عنك راض " لأبي بكر " ولولا إرسال البراءة إلى الضرة: طلقتك ثلاثا، ما اشتاقت الجنة إلى " علي " .

لَو قُرِب الدَرُّ عَلى جُلاّبِهِ ... ما لَجَّ الغائِصُ في طِلابِهِ

وَلَو أَقامَ لازِماً أَصدافَهُ ... لَم تَكُنِ التَيجانُ في حِسابِهِ

مَن يَعشَق العَلياءَ يَلِق عِندَها ... ما لَقي المُحِبُّ مِن أَحبابِهِ

الفصل الثاني والثلاثون

الإيمان بالقدر." (١)

"فيا " يوسف " الطلب: ذق مرارة الجب، وكمد الغيابة، وصابر رق البيع، ودار السجن، لعلك تخرج إلى مملكة (اِجعَلني عَلى خَزائِنِ الأرض) دافع ليل البلى، فما أسرع فجر الأجر (أَلَيسَ عَلى خَزائِنِ الأَربض) الفقر من الدنيا عدم كله وجود، والغنى فيها وجود كله عدم.

عرضت على نبينا " صلى الله عليه وسلم " بطحاء مكة ذهبا فأبى.

يا " محمد " ممن تعلمت القناعة؟ قال لسان حاله: من عجلة أبي.

كان الرجل من الصحابة يدعى إلى المال حلالا فيقول: لا، لا.

يا معاشر الفقراء: زينوا حلة الفقر بحلية الكتمان، فالفقراء الصبر جلساء الله، اصبروا على عطش الفاقة، فالحرة تجوع ولا تأكل بثدينها، إن سألتم فاسألوا مولاكم، فإن سؤال العبد غير سيده تشنيع على السيد.

يا معاشر الغافلين والواقفين مع الأسباب، إنما المعطي والمانع واحد (فَلا تَجعَلوا لِلِهِ أَنداداً) إذا عرضت حاجة فتعرضوا بالمحراب، واكتفوا من السؤال بالخدمة أتشتغلون بنا وننساكم؟ كلا " من شغله ذكري عن

---

(١) اللطائف، ص/١٩

مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين " .

وَإذا طَلَبتَ إِلى كَريمٍ حاجَةً ... فَلِقاؤهُ يُغنيكَ وَالتَسليمُ

ويحك: إن الفقير الصادق يترك الدنيا أنفة، رآها مقاطعة فقاطع، جاز على جيفة مستحيلة فسد منخر الظرف وأسرع، سلك سبيل القناعة فوقع على كنز ما وجده " الإسكندر " فقلبه أغنى من " قارون " وبيته أفرغ من فؤاد أم " موسى " .

وَمَن كانَ في ثوبِ القَناعَةِ رافِلاً ... أَصابَ الغِنى في الفَقرِ وَالخَصَبِ في المَحل

إذا حشر الفقراء يوم القيامة بادورا باب الجنة فتقول لهم الملائكة: قفوا فهذا يوم الحساب، فينفضون أكمام الإدلال من يد المعوق، ويقولون: هل أعطيتمونا شيئا تحاسبونا عليه؟؟

الصَبرُ مِثلُ اِسمِهِ في كُلِ نائِبَةٍ ... لَكِن عَواقِبُهُ أَحلى مِنَ العَسلِ

؟الفصل الأربعون ؟ذم الحرص على المال يا مشغولا بالعمل للدنيا، و الدنيا تعمل فيه، تجمع ما يفرقك، وتوصل ما يمزقك، ويحك: أتبني قصرا وتهدم مصرا؟ إن لم تعرف عيوبها " فاخبر تقهل " .

داء الآدمي الهوى، وعلاجه الحسم، متى استعجل الداء، فالكي أنفع، وما يفيدك من جار السوء التوقي. المال ماء كلما زاد غرق. قنعت العنكبوت بزاوية البيت فسبق الحريص إليها وهو الذباب، فصار قوتا لها، وصوت بك نذير العبر: رب ساع لقاعد.

ويحك: طلق كواذب آمالك، لتكون وارث مالك. أعظم المغبونين حسرة من نفع كده لغيره. أفضل أعمال البخيل الصدقة لأنه يحارب شيطانين أصغرهما إبليس، وأعظمهما النفس وجنودها، ومن يقوى بأسد الحرص، وكلب الهوى، وخنزير الشره؟؟!.

امدد يديك بالصدقة فإن لم تطق فاكففهما عن الظلم، أطلق لسانك بالذكر، فإن لم تطق فاحبسه عن الغيبة.

كم يقف السائل سائل الدمع على باب الذل لديك فتقول: هذا هذاء.

كلام الجائع عند الشبعان كله هذيان. ويحك: إن الدقة صداق الجنة، فدع جمع الأكياس (مَن ذا الَّذي يُقرِضُ اللهَ قَرضاً حَسناً).

انظر في أخلاقِ الفَقيرِ لا في إِخلاقِهِ ... وَما ضَرُ نَصلُ السَيفِ إِخلاقُ غَمدِهِ

إن أعطيت فاحذر منا يتأذى به المعروف. ويحك: كلما عاش أملك مات الفقراء.

كَأَنَني كُلَما أَصبَحتُ أُعتِبُهُ ... أَخطُّ حَرفاً عَلى صَفحٍ مِنَ الماءِ

واعجبا! لمن يجمع الأموال جمع الثريا نفسها، كيف تأتي الأقدار فتفرقه تفريق بنات نعش، يا كدر القلب: آثار كدر باطنك ما تخفى على ناظرك، إن أسرار القلوب تبين ما في وجوده الوجنات.

لو سمعت كلامي بقلبك كان طول الأسبوع نصب عينيك، وإنما تسمعه بأذنك، وفرق بين السامعين: كثر المال على " الصديق " و " ثعلبة " ووقه التفاوت بين " البخل والتخلل " .

وليس كُلُّ ذَواتِ المِخلَبِ السَّبُعُ أما حب الدنيا عندك فراسخ، وأما قلبك من الموعظة فعلى فراسخ، وإذا غلب الهوى فمن ينتبه؟ وإذا غاب القلب فمن يحدث؟

إذا كانَ قَلبي مَوثِقاً بِحِبالُكُم ... وَجِسمي لَدَيكُم كَيفَ أَفهَمُ عَنكُم؟

فإِن شِئتُم أَن تَعذُلوا فَتُوصِّلوا ... إِلى أن تُعيدوا القلب ثم تُكلِموا

الفصل الحادي والأربعون

إحياء القلوب بالعبرات." (١)

"يا قوام الليل اشفعوا في راقد، يا أحياء القلوب ترحموا على ميت، سا سفراء الطلب احملوا رسالة محصر.

خذوا نظرة مني فلاقوا بها الحمى

أَيا رفقة من أرض بصرى تحملت ... تؤم الحمى لقيت من رفقة رشدا

إذا ما بلغتم سالمين فبلغوا ... تحية من قد ظن أن لا يرى نجدا

الفصل السابع والأربعون

في ذم إبليس

إخواني: العناية غنى الأبد، لما سبق الإختيار في القدم للطين المنهبط صعد على النار المرتفعة، فعلمت جهنم أن المخلوقات منها، لما قاوم التراب كانت الغلبة للتراب، وكفاها ما جرى عبرة، والسعيد من وعظ بغيره، فإذا مر المؤمن عليها أسلمت من غير جدال، وقالت: " جز فقد أطفأ نورك لهبي " .

مصابيح القلوب الطاهرة في أصل الفطرة منيرة قبل الشرائع، كقلب " قس " (يَكادُ زَيتُها يُضيءُ وَلَو لَم تَمسَسهُ نار) لاح مصباح الهوى من سجف دار الخيزران، فإذا " عمر " على الباب.

ولما عميت بصيرة إبليس صار نهار الهدى عنده ليلا، كان في عين بصيرته سبل، فما نفعه اتضاح السبل، رجع الخفاش إلى عشه فقال لأهله: أوكروا، فقد جن الليل، فقالوا: الآن طلعت الشمس، وأنت تقول: جن

(١) اللطائف، ص/٢٤

الليل، فقال: ارحموا من طلوع الشمس عنده ليل.

لما أضاءت أنوار النبوة رأتها عين " بلال الحبشي " وعميت عنها عين " أبي طالب " القرشي. إخواني: احذروا نبال القدرة، وهيهات لا ينفع الحذر، فإن صلح شيء من باب الكسب فاللحاء أعوذ بك منك، أين القلق " والقلوب بين أصبعين " .

إن القضاة إذا ما خوصموا غلبوا كان إبليس كالبلدة العامرة بالعبادة، فوقعت فيها صاعقة الشتاء، فهلك أهلها (فَتِلكَ بُيوتُهُم خاوِيةٌ بِما كَسبوا).

وَمَن لَم يَكُن لِلوِصالِ أَهلُ ... فَكُلُّ إِحسانِهِ ذنوبُ

أخذ كساء ترهبه، فجعل جلال كلب أهل الكهف، فأخذ المسكين في عداوة الآدمي فكم بالغ واجتهد، وأبى الله إلا أن لا يقع في البئر إلا من حفر.

ويحك: ما ذنب الآدمي وأنت جنيت على نفسك؟ ولكنه غيظ الأسير على القد، إنما هلك إبليس بكبر (أَنا خَيرٌ مِنهُ) وسلم " آدم " بذل (ظَلَمنا أَنفُسَنا) ومقام العبودية لا يحتمل إلا الذل.

كُلَما رَاعَنَي بِعِزِّ المَوالي ... جِئتُهُ خاضِعاً بَذلِّ العَبيدِ

المسكين إبليس ظن أنه قد حاز بامتناعه عن السجود عزا، فوقع في ذل (وَأَنّ عَلَيهِ لَعنَتي) فكأنه فر من المطر إلى الميزاب، كانت خلعة العبادة لا تليق به فنزعت عنه.

إلا رُبَّ جِيدٍ لا يَليقُ بِهِ العِقْدُ

كان أعجمي الفهم فما لاقت به حلية التعبد، وكان " آدم " عربيا فما حسنت عليه قلنسوة الخلاف، أخرجهما قسر القدر لبيان ملك التصرف، ثم رد كل إلى معدنه.

إن الأُصولَ عَلَيها تَنبُتُ الشَجرُ

لقي إبليس " عمر بن الخطاب " فصرعه " عمر " فقال بلسان الحال: يا عمر أنا المقتول بسيف الخذلان قبلك.

بيَ الناسُ أَدواءُ الهِيامِ شَرِبتُهُ ... فَإِياكَ عَني لا يَكُنُ بِكَ ما بِيا

يا عمر: أنت الذي كنت في زمن الخطاب لا تعرف طريق الباب، وأنا الذي كنت في سدة السيادة، وأتباعي الملائكة، فوصل منشور (لا يُسأَل) فعزلني وولاك، فكن على حذر من تغير الحال، فإن الحسام الصقيل الذي قتلت به في يد القاتل، فلما لعبت أيدي القلق " بعمر " بادر طريق باب البريد بالعزل والولاية: يا حذيفة يا حذيفة.

؟الفصل الثامن والأربعون

؟في العزلة

المؤمن على طهارة التوحيد من يوم (أَلَستُ بِرَبِكُم) غير أنه لما خالط أوساخ الهوى تدنست ثياب معاملته، وليس لها تنظف إلا بماء العلم في بيت العزلة.

العزلة رأس الحمية من الدنيا، تخيط عين بازي الهوى فيألف الفطام على الطيران، والعزلة صحراء خالية عن بقاع يا سرعة إبصار الهلاك فيها لذي بصر، قل غرس خلوة إلا وعليها ثمرة الأنس.." (١)

" | بمالك ، فسأل أبي : ما هذا ؟ فقيل له : مالك وإذا بين يديه صبية سوداء | تلقط النوى فقال : قاتل اللَّهِ الذي يقول : | ٪ (احذر على ماء العشيرة والهوى ٪ على مالك يا لهف نفسي على مالك) ٪ | وأي شيء كان يتعشق من مالك ، إنما هي جرة سوداء ، قال : | تقول الصبية : أي بأبي إنه والله كان له بها شجن لم يك لك . |

[١٠٠] أنبأنا محمد بن ناصر قال أنبأ أبو الحسن بن عبد الجبار قال | أنبأ أبو محمد الجوهري قال : أنبأ أبو عمر بن حيوية قال ثنا محمد بن خلف قال : | أخبرني أبو الفضل الكاتب عن أبي محمد العامري قال : قال إسماعيل بن | جامع ، كان أبي يعظني في الغناء ويضيق علي ، فهربت منه إلى أخوالي باليمن ، | فأنزلني خالي غرفة له مشرفة على نهر في بستان ، وإني لمشرف منها إذا طلعت | سوداء معها قربة فنزلت إلى المشرعة فجلست ووضعت قربتها وغنت : | ٪ (إلى اللَّهِ أشكو بخلها وسماحتي ٪ لها عسل مني وتبذل علقما) ٪ | ٪ (فردي مصاب القلب أنت قتلته ٪ ولا تتركيه هائم القلب مغرما) ٪ | وذرفت عيناها واستقر بي ما لا قوام لي به ، ورجوت أن ترده ، فلم تفعل | |

." (٢)

" | عواقبه مستحسن ، فينبغي للعبد المتيقظ أن لا يخلي نفسا من أنفاسه | عن فعل خير ، فإن كل نفس خزانة ، وليعد لكل عمل جوابا ، فإن السؤال | عنه لا بد منه ، وليتأهب للرحلة التي لا يدري متى تقع ، وليراقب من | يراه سرا وعلانية ، فإنه إن تكلم سمع ، وإن نظر رأى ، وإن تفكر علم ، | والجنة اليوم في السماء تزخرف ، والنار تحت الأرض توقد ، والقبر عن قليل | يحفر ، والملكان عن يمين

---

(١) اللطائف، ص/٢٩

(٢) تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، ص/١٨٣

وشمال ، والصحائف تملأ بالخير أو الشر ، فاغتنم | يا هذا صحتك في هذا الزمن قبل وجود الزمن ، واعمر دار البقاء | بإنقاص من دار الفناء ، وإياك أن تغفل عن نفسك ، فإن المؤمن أسير في | الدنيا يسعى في فكاك رقبته ، ولا تذهب لحظة إلا في فعل خير ، وأقل | مراتب الأفعال الإباحة ، واستوثق من قفل البصر وغلق اللسان ، فإنه إن | فتحهما الهوى نهب ما في القلب من الخير . وزاحم الفضلاء في أعمالهم ، | وقد أجمع الحكماء أنه لا تنال راحة براحة ، ومثل لنفسك عاقبة الطاعة | ومغبة المعصية ، فكأنه ما شبع من شبع ، ولا التذ من عصى ، ولا تألم | من صبر ، وأين لذة [لقمة] آدم ؟ وأين مشقة صبر يوسف ؟ واحذر من | مخالطة أهل هذا الزمان ، فإن الطبع يسرق عادات المعاشرين ، ولتكن مخالطتك | للسلف بالاطلاع على أحوالهم . وحادث القرآن بالفكر فيه في الخلوات ، | وتصفح جهاز الرحيل قبل أن تفاجأ بغتة ، فلا ترى عندك غير الندم . | * * * |

". (١)

"وهو من زمان البلوغ إلى منتهى الشباب وهذا هو الموسم الأعظم الذي يقع فيه الجهاد للنفس والهوى وغلبة الشيطان، وبصيانته، يحصل القرب من الله تعالى، وبالتفريط فيه يقع الخسران العظيم. وبالصبر فيه على الزلل يثنى على الصابرين، كما أثنى الله عز وجل على (يوسف) – عليه الصلاة والسلام – إذ لو زل من كان يكون.

قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (عجب ربك من الشاب ليست له صبوة).

ويقول الله تعالى: (أيها الشاب التارك شهوته من أجلي، أنت عندي كبعض ملائكتي).

فصل

وليعلم البالغ أنه من يوم بلوغه وجب عليه معرفة الله تعالى بالدليل لا بالتقليد، ويكفيه من الدليل رؤية نفسه وترتيب أعضائه، فيعلم أنه لا بد لهذا الترتيب من مرتب، كما أنه لا بد للبناء من بان.

ويعلم أنه نزل إليه ملكان يصبحانه طول دهره، ويكتبان عمله، ويعرضانه على الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (وَإِن عَلَيكُم لَحافِظين كِراماً كـاتِبين يَعلَمونَ ما تَفعَلون).

قال (محمد بن الفضل): منذ أربعين سنة ما أمليت على كاتبي سيئة، ولو فعلت لاتسحيت منهما.

فلينظر العبد فيما يرتفع من عمله، فإن زل فليرفع الزلل بتوبة واستدراك.

---

(١) تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، ص/٢٥١

وليغض طرفه؛ فقد قال الله عز وجل: (قُل لِلمُؤمِنينَ يَغضوا مِن أَبصارَهُم).

ويقول الله عز وجل: (النظر إلى المرأة سهم مسموم من سهام الشيطان، من تركه ابتغاء مرضاة الله آتيته إيماناً يجد حلاوته في قلبه). ومن استعمل الغض سلم.

وليكتف بالمرأة الواحدة، ولا يترخص في كثرة الاستمتاع بالنساء؛ فإنه يشتت القلب، ويضعف القوى، وليس لذلك منتهى.

كان بعض السلف يقول لنفسه: ما ههنا إلا هذه الكسرة وهذه المرأة، فإن شئت فاصبري، أو فموتي.

وكان خلق كثير يتأسفون في حال الكبر على تضييع موسم الشباب، ويبكون على التفريط فيه. فليطل القيام من سيقعد، وليكثر الصيام من سيعجز.

والناس ثلاثة: من ابتكر عمره بالخير ودام عليه فذلك من الفائزين، ومن خلط وقصر فذلك من الخاسرين، ومن صاحب التفريط والمعاصي فذلك من الهالكين.

فلينظر الشاب في أي مقام هو، فليس لمقامه مثل، وليتلمح شرف بضاعته وثمنها المستوفى. فالصبر الصبر؛ فإن الساعي يصبر عن النكاح مع كونه شاباً شديد الشبق، فيقال له أحسنت. فليصبر الشاب ليقال له: (هَذا يَومُكُمُ).

وليحذر زلله في الشباب؛ فإنها كعيب قبيح في سلعة مستحسنيه.

ومن زل في الشباب فلينظر أين لذتها! وهل بقي إلا حسرتها الدائمة التي كلما خطرت له تألم، فصار ذكرها عقوبة، ومن خرق ثوب التقى بيع بالخلق والمكسور.

قال (الجنيد) – رحمه الله – : لو أقل عبد على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان الذي فاته أكثر مما حصل له.

وكان بعض السلف – رحمه الله – يقول: وددت لو أن يدي قطعتا وغفر لي عن ذنوب الشباب.

قال المصنف – رحمه الله – : قلت يوماً في الوعظ: أيها الشاب أنت في بادية، ومعك جواهر نفيسة وتريد أن تقدم بها على بلد الجزاء، **فاحذر** أن يلقاك غرار من الهوى فيشتري ما معك بادون ثمن، فتقدم البلد فترى الرابحين فتفقع أسفاً، وتبكي لهفاً، وتقول: (يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) هيهات أن يرد الأسف ما سلف.

ومما قلته من الشعر في هذا المعنى:

أَمّا الشَبابُ فَظُلمَةٌ لِلمُهتَدى ... وَبِهِ ضَلالُ الجاهِلِ المُتَمَردِ

لَيسَ الَّذي تَرَكَ الذُنوبَ مَشيباً ... كَالتارِكِ لَها وَقتَ شَعرٍ أَسوَدِ

فَافَرَح إِذا جاهَدتَ نَفسَكَ صابِراً ... يا صاحِ صِح في اللَهوِ يا نارُ اِخمِدي

اِغنَم مَدِيحَةَ يُوسِفَ في صَبرِهِ ... وَاِحذَر تَعَجلَ آدَمَ في المَفسَدِ

لَولا اِجتَباهُ لَكانَ شَيئاً فاضِحاً ... يَعصى فَيَالَكَ مِن حَزينٍ مُكمَدِ

فَاِقمَعهُ بِالصَبرِ الجَميلِ وَدُم عَلى ... الصَومِ الطَويلِ فَإِنَّهُ كَالمَبرَدِ

وَاَغضُض جُفونَكَ عَن حَرامٍ وَاِقتَنِع .. .بِحَلالِ ما حَصَّلتَ تُحمَد في غَدِ

وَدَعِ الصَبا فَاللَهُ يَحمدُ صابِراً ... يا نفسُ هَذا مَوسِمٌ فَتَزَوَّدي." (١)

"٥٧٢–حديث آخر أنا الكروخي قال نا الأزدي والغورجي قالا نا ابن الجراح قال نا ابن محبوب قال نا الترمذي قال نا محمد بن بشار قال نا أبو داؤد قال حدثنا خارجة بن مصعب عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عتي عن أبي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه أو قال **فاحذروه**".

قال المؤلف: هذا حديث غريب لم يسنده غيرخارجة وإنما هو من كلام الحسن قال يحيى خارجة ليس بثقة وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به.

حديث في غسل العينين من الوضوء.

٥٧٣–أنبأنا محمد بن عبد الملك قال أنبأنا الجوهري عن الدارقطني عن أبي حاتم بن حبان قال نا الحسن بن سفيان قال نا هشام بن عمار قال نا البختري ابن عبيد قال أخبرني أبي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا توضأتم فلا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشيطان واشربوا أعينكم الماء".

قال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج بالبختري فليس بعدل قد روى عن أبيه عن أبي هريرة نسخة فيها عجائب.

حديث في مسح الرجلين في الوضوء.

هذا يروي فيه علي وعبد الله بن زيد وأوس.

٥٧٤–فأما حديث علي عليه السلام روى عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال رأيت عليا يوما فأفرغ على يده وغسل وجهه ثلاث مرار وغسل ساعده ثم مسح رأسه ثم مسح قدميه ثم قال:" هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ".." (٢)

---

(١) تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، ص/٢

(٢) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ١/٣٤٩

"١١ – فرح الشيطان بالعاصي الجاهل

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره قبله الشيطان بين عينيه وقال فديت وجها لا يفلح أبدا فإن من الله وتاب عليه واستنقذه من الضلالة واستخرجه من غمرات الجهالة يقول الشيطان لعنه الله واويلاه قطع عمره في الضلالة فأقر بالمعصية عيني ثم أخرجه الله بالتوبة من الجهالة فأكثر بالتوبة حزني

فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس العدو الشيطان وارجعوا بالتوبة إلى موالكم الرحمن فعساه أن يستر ذنوبكم وعيوبكم بستر الغفران إنه كريم متفضل منان

أعوذ بالله من الشقاوة بعد السعادة أعوذ بالله من الغرة بعد الإرادة وأعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة أعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان أعوذ بالله بالله من القطيعة والحرمان أعوذ بالله من طاعة الشيطان أعوذ بالله من العقوبة والهوان أعوذ بالله من نقض العهود أعوذ بالله من مخالفة الملك المعبود أعوذ بالله من العذاب الدائم والخلود أعوذ بالله من سخط ذي الكرم والجود

عباد الله احذروا مكائد الشيطان فإنه عارف بالعيوب بصير بإلقاء العبد في الذنوب له طرق كثيرة إلى الصدور فاستعيذوا من شره بمولاكم علام الغيوب

أعوذ بالله من قلب لا يخشع أعوذ بالله من عين لا تدمع أعوذ بالله دعاء لا يسمع أعوذ بالله من عمل لا يرفع أعوذ بالله من علم لا ينفع

أعوذ بالله من المصير إلى عذاب الله أعوذ بالله من النحيبة من رحمة الله ومن التزين بمعصيته

أعوذ بالله من زيغ القلوب أعوذ بالله من تتابع الذنوب أعوذ بالله من ترادف العيوب أعوذ بالله من سخط علام الغيوب

أعوذ بالله من مضلات الفتن أعوذ بالله من البلاء والمحن أعوذ بالله من سخط ذي الجود والمنن

أعوذ بالله من النقص بعد التمام أعوذ بالله من التخلف بعد الإقدام أعوذ بالله من سخط أحكم الأحكام." (١)

"نور ولا يكون النور يومئذ إلا من الأعمال الصالحة فمن عمل عملا صالحا نجاه من النار وجاز إلى دار الراحة والقرار

---

(١) بستان الواعظين وري اض السامعين ص/١٥

ومن لم يقدم في الدنيا عملا صالحا حجب عن النظر إلى وجه الجبار وهوى في دار الندامة والبوار في دار عذابها سموم وشرابها حميم وظلها لا بارد ولا كريم وطعامها الزقوم يتردى والله في دار عذابها أليم ومسكنها جحيم وساكنها أبدا في العذاب مقيم يتردى والله في نار قعرها بعيد وعذابها شديد وشرابها صديد ومقامعها حديد وما هي من الظالمين ببعيد

وأنشدوا

(أما آن يا أخ أن تستفيقا ... وأن تتناسى الحمى والعقيقا)

(وقد ضحك الشيب في عارضيك ... وبانت مساويك فيه بروقا)

(وركب أتاهم وقد عرضوا ... على أتباع المنايا طروقا)

(أدارت عليهم كؤوس الحمام ... صبوحا (تلازمهم) أو غبوقا)

(وما زال فيهم غراب الحمام ... فيسمعهم للمنايا نعيقا)

(ويحجل في عرصات القصور ... وحتى أعاد الفسيحات ضيقا)

(أل ا فازجر النفس عن غيها ... عساك تجوز الصراط الدقيقا)

(مقام به تذهل المرضعات ... وتلقى الحوامل وعدا صدوقا)

(وتبرز للناس نار الجحيم ... لها عنق تترامى حريقا)

(شرابهم المهل في قعرها ... تقطع أمعاءهم والعروقا)

(إذا طبقت فوقهم لم يكن ... لتسمع إلا البكا والشهيقا)

(أذلك خير أم القاصرات ... تخال مباسمهن البروقا)

(قصرن على حب أزواجهن ... فمشتاقة تتلقى مشوقا)

(لقد فاز من كان للمصطفى ... بدار المقامة يوما رفيقا)

٧٧ - حسن العمل والصراط

فمثل لنفسك يا مسكين وقد جئت إلى الصراط وقد رأيت العاملين وقد جازوا وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم ورأيت الباطلين في ظلمات البطالات وغمرات الجهالات

فالله الله يا جماعة الضعفاء يا من قطع عمره في الخلاف والجفاء خذوا لانفسكم بالاحتياط واحذروا الأهوال الصعبة عند جواز الصراط

لأن الصراط لا يجوزه آثم ولا ينجو منه ظالم

والصراط حق رقيق لا." (١)

"٩٩ – شهادة الزور

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (من شهد شهادة زور على ذمي أو مسلم أو من كان من الناس علق بلسانه في الدرك الأسفل من جهنم

وفي بعض الأخبار أن شهادة الزور من أعظم الكبائر عند الله تعالى وشاهد الزور يعلق بلسانه بكل كلمة في شهادة الزور وبكل حرف كتب فيها شهادته ألف عام على الصراط عند القنطرة الخامسة

ولو أن شاهد الزور جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا ما نظر الله إليه

وكذلك صاحب الغيبة والنميمة لا يجوز من هذا الصنف الصراط إلا أن يعفو الله أو تدركه الشفاعة

وأنشدوا

(إذا ازدحم العباد لكي يجوزوا ... تساقط كل جبار أثيم)

(بقعر النار ليس لهم مغيث ... ولا للعاصي يوما من حميم)

(ومن يطع الإله فسوف ينجو ... من التعذيب في قعر الجحيم)

(إذا نصب الصراط على جحيم ... فيالله من هول عظيم)

(ألا يا معشر الإسلام توبوا ... من العصيان للرب الرحيم)

إخواني أطيعوا الله في السر والإعلان واعملوا بالسنة والقرآن واتركوا الأوزار والعصيان **واحذروا** من هول الصراط المنصوب على سموم النيران

١٠٠ – القنطرة السادسة

ثم يحبسون على القنطرة السادسة فيحاسبون على حفظ الجار فينجو من حفظ جاره وأكرم ضيفه ويهلك من خان جاره ولم يكرم ضيفه

١٠١ – إكرام الضيف

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٤٩

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)." [1]

"رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل حائطا لبعض الأنصار فقال لصحابه أطعمنا بسرا فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وشربوا ثم قال لتسألن عن هذا يوم القيامة فأخذ عمر العذق وضرب به الأرض حتى تناثر البسر وقال له يا رسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة قال نعم إلا كسرة تسد بها جوعتك وخرقة تلف بها عورتك وجحر تدخل فيه من القر والحر علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ الإسراء ٣٦ قال الله تعالى ﴿ألهاكم التكاثر﴾ التكاثر ١ قيل معناها ألهاكم التكاثر في الدنيا بجمع الحطام واكتساب الآثام والتمادي في الإجرام وأنشدوا

(أرضيت دارا لا بقاء لها ... تعد الشرور وتنصب الفتنا)

(ما يستقيم سروره صاحبها ... حتى يعود سوره حزنا)

(عجبا لها لا بل لموطنها المغرور ... حين يعدها وطنا)

(فالحمد لله اللطيف بنا ... ستر القبيح وأظهر الحسنا)

(ما تنقضي عنا له منن ... حتى يجدد بعدها مننا)

يا أخي اشتغلت باللذات وأفنيت عمرك بالترهات وعصيت إله الأرض والسموات ونسيت بيوت الوحشة والحيرات

فيا له من بيت ما أظلمه ومن صندوق ما أغمه

منزل الوحشة وبيت الغمة والوحدة

وأنشدوا

(وربما عوقص ذو صحة ... أصح ما كان ولم يسقم)

(يا واضعا للميت في قبره ... خاطبك القبر ولم تفهم)

﴿حتى زرتم المقابر﴾ التكاثر ٢ بيوت الوحشة ومنازل الضيق والغمة في ضيق وكربات وغم وحسرات وأهوال مقطعات

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٥٩

من ظلمات القبور وسؤال منكر ونكير والخلود في البرزخ إلى يوم النشور فانظر لنفسك أيها المغرور فإن القبر له شأن يتلوه شؤون وأنشدوا

(لا تغرنك الحياة وقدم ... **واحذر** القبر إن للقبر شانا)

(إن فيه لما يحاذر ذو اللب ... إذا كان ذا تقى ومعانا)." (١)

"إن كان يصلح للموت والقبر فتمادى عليه وإن كان لا يصح لهذين فتب إلى الله تعالى منها وأرجع إلى ما يصلح

وأنشدوا

(كم تناسى القبور يا مغرور ... حفر ما بها لعاص سرور)

(وتعامى عنها وأنت تراها ... ورحاها على الأنام تدور)

(فاتق الله حق تقواه **واحذر** ... كل هول يخافه المقبور)

(ودع اللهو والبطالة واعمل ... للتي عاجلا إليها تصير)

(تلك دار البقاء فكل تقي ... في رباها مكرم محبور)

(ولعاص مصر إن لم تنله ... رحمة الله مبعد مثبور)

٣١٨ - دعاء لأهل القبور

كان بعض الخائفين إذا خرج إلى القبور لا ترقأ دمعته ولا يأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ويقول ترى يا أحبائي ما لقيتم في بيوت الحسرات آنس الله غربتكم ورحم الله وحشتكم وبرد الله مضاجعكم وهون ما قدر عليكم مولاكم إنه سميع قريب نعم المولى ونعم النصير

ثم يأخذ في البكاء والنحيب

فالله الله أبكوا قبل أيام البكاء واندبوا قبل يوم الأسى

وأنشدوا

(لاه بدنياه والأيام تنعاه ... والقبر غايته واللحد مأواه)

(يلهو ولو كان يدري ما أعد له ... إذا لأحزنه ما كان ألهاه)

(أو ما جنت يده لو قد تعرفه ... ويلاه مما جنت كفاه ويلاه)

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/١٨٧

اعلموا عباد الله أن القبور على الأموات توابيت مقفولة والأعمال في أعناقهم قلائد مجعولة وأرواحهم بالغداة والعشي إلى الجنة أو النار محمولة وأنشدوا

(يا أيها الرجل المزخرف قبره ... ولعله في جوفه مغلول)

(يا أيها الرجل المقيم بمنزل ... فيه الحوادث ما أقام نزول)

(ألا يغرك ملكه ونعيمه ... فالملك يفنى والنعيم يزول)

(وإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول)

يا إخواننا مضى الإخوان ونحن على آثارهم فإنا لله وإنا إليه راجعون قد عميت أبصارنا عن حقائق الأمور وغفلنا عن الحمام ونسينا القبور." (١)

"مطهرة من دنس الآثام وصيامه أفضل الصيام وقيامه أجل القيام

شهر فضل الله به أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام شهر جعله الله مصباح العام وواسطة النظام وأشرف قواعد الإسلام المشرف بنور الصلاة والصيام والقيام شهر أنزل الله فيه كتابه وفتح للتائبين فيه أبوابه فلا دعاء فيه إلا مسموع ولا عمل إلا مرفوع ولا خير إلا مجموع ولا ضرر إلا مدفوع شهر السيئات فيه مغفورة والأعمال الحسنة فيه موفورة والتوبة فيه مقبولة والرحمة من الله لملتمسها مبذولة والمساجد بذكر الله فيه معمورة وقلوب المؤمنين بالتوبة فيه مسرورة

وأنشدوا

(أين أهل القيام لله دأبا ... بذلوا الجهد في رضا الجبار)

(أنتم الآن في ليال عظام ... قدرها زائد على الأقدار)

(فاستزيدوا من العبادة فيها ... تأمنوا اليوم من عذاب النار)

أين من يركب الذنوب اغترارا ... لا يخافون سطوة القهار)

(قد أهل الهلال من رمضان ... شهر زلفى وتوبة و ادكار)

(فاذكروا الله فيه ذكرا كثيرا ... واستجيروه من عذاب النار)

(وارجعوا عن ذنوبكم بمتاب ... صادق واقلعوا عن الإصرار)

(رب من كان مسرفا مستمرا ... في خطاياه مكثر الأوزار)

(ثم إن الإله تاب عليه ... فاقتضى حمده سبيل الخيار)

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/١٩٣

(فاعملوا أيها المسيئون وادعوا ... ربكم جهرة وفي الإسرار)

(واحذروا غفلة القنوط وداووا ... داءها بالرجوع للغفار)

(تجدوا الله في المعاد كريما ... ماحيا للذنوب والإصرار)

إخواني هذا شهر ليس مثله في سائر الشهور ولا فضلت به أمة غير هذه الأمة في سائر الدهور الذنب فيه مغفور والسعي فيه مشكور والمؤمن فيه محبور والشيطان مبعد مثبور والوزر والإثم فيه مهجور وقلب المؤمن بذكر الله معمور وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحل عنكم شاهد لكم وعليكم مؤذن بشقاوة أو سعادة أو نقصان أو زيادة وهو ضعيف مسئول من عند رب لا يحول ولا يزول يخبر عن المحروم منكم والمقبول فالله الله أكرموا نهاره بتحقيق الصيام واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام فلعلكم أن تفوزوا بدار الخلد والسلام." (١)

"٣٧٥ - سبب فريضة الصيام

فإن قيل لم فرض رمضان ثلاثين يوما فالجواب أنه قيل إن الوقوف على الصراط ثلاثين سنة فإذا صمت ثلاثين يوما أعانك الله في الموقف بالعافية والسلامة والسعادة والكرامة ثلاثين سنة

فالله الله جدوا واجتهدوا في هذا الشهر بلا إفراط وخذوا لأنفسكم بالاحتياط واحذروا من المكث الطويل على الصراط

٣٧٦ - رمضان رسول من الله

قيل مثل هذا الشهر كمثل رسول أرسله سلطان إلى قوم فإن أكرموا شأنه وعظموا مكانه وشرفوا منزلته وعرفوا فضيلته رجع الرسول إلى السلطات شاكرا لأفعالهم مادحا لأحوالهم راضيا لأعمالهم فيحبهم السلطان على ذلك فيحسن إليهم كل الإحسان

وإن استخفوا برعايته وهونوا لعنايته ولم ينزلوه منزلته من الإكرام وفعلوا به فعل اللئام فيرجع الرسول إلى السلطان وقد غضب عليهم من قبيح أفعالهم وسيء أعمالهم فيغضب السلطان لغضبه

كذلك يغضب الله سبحانه وتعالى على من استخف بحرمة شهر رمضان

فيا أيها الإنسان هذا شهر رمضان شهر التوبة والغفران وهو رسول من عند الملك الديان فمن أكرمه منكم

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٢١٥

حقيقة الإكرام وحفظ فيه لسانه من قبيح الكلام وبطنه من أكل الربا والحرام وأموال الأرامل والأيتام غفر له الملك العلام وأدخله الجنة مع محمد عليه الصلاة والسلام

٣٧٧ - أحاديث في فضل الصيام

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما من مؤمن يصبح صائما إلا فتحت له الجنة واستغفر له أهل السماء الدنيا حتى يتوارى بالحجاب فإن صلى ركعتين تطوعا أضاءت له السموات نورا وإن سبح وهلل تلقاه سبعون ألف ملك يكتبون تسبيحه إلى أن يتوارى بالحجاب)

فالله الله عباد الله يا أهل الذنوب يا أهل المعاصي والعيوب يا من عصى مولاه علام الغيوب اعملوا في بقية شهركم ليوم وفاتكم وفقركم إذا وقفتم بين يدي ربكم

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا دخل شهر رمضان (إن الله فرض عليكم." [١]

"الفصل السادس عشر

يا تائها في الضلال بلا دليل ولا زاد، متى يوقظك منادي الرحيل فترحل عن الأموال والأولاد؟ قل لي: متى تتيقظ وماضي الشباب لا يعاد، ويحك كيف تقدم على سفر الآخرة بلا زاد ولا راحلة. ستندم إذ حان الرحيل، وأمسيت مريضا تقاد، ومنعت التصرف فيما جمعت، وقطعت الحسرات منك الأكباد، فجاءتك السكرات، ومنع عنك العواد، وكفنت في أخصر الثياب، وحملت على الأعواد، وأودعت في ضيق لحد وغربة ما لها من نفاذ، تغدو عليك الحسرات وتروح إلى يوم التناد، ثم بعده أهوال كثيرة، فيا ليتك لمعاينتها لا تعاد.

فاغتنموا بضائع الطاعات، فبضائع المعاصي خاسرة ﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ القيامة ٢٠.٢١.

وأنشدوا:

احذر دنياك وغرتها ... **واحذر** إن تبد لها طلبا

تبغي ودا ممن قدما ... لك قد قتلت أما وأبا

وعلى الجيران فقد جارت ... كلا قهرت أولت عطبا

كم من ملك ذي مملكة ... قد مال لها سكرا وصبا

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٢٣٦

أضحى في اللحد ومقعده ... بتراب اللحد قد احتجبا

اطلب مولاك ودع دنياك ... ففي أخراك ترى عجبا

كم من قصر قد شيد بنا ... بالموت وها أضحى خربا

يا طالبها لا تله بها ... كم من تاه ملك غضبا

أين الماضون قد سكنوا ... لحدا فردا خربا تربا

كانوا ومضوا ثم انقرضوا ... فتأدب أنت بهم أدبا." (١)

"سلبك المشيب من الشباب، فأين البكاء، وأين الحزن؟ إذا كان القلب خرابا من التقوى، فما ينفع البكاء في الدمن. يا قتيل الهجران، هذا أوان الصلح بادر عسى يزول الحون.

وقال عاصم بن محمد في كتاب لوامع أنوار القلوب: كان لي معامل يهودي، فرأيته بمكة متضرعا مبتهلا فأعجبني حسن إسلامه. فسألته عن سبب إسلامه.

فقال: تقدمت إلى أبي إسحاق إبراهيم الآجري النيسابوري، وهو يوقد في تنور الآجر، أطلب دينا كان لي عليه، فقال لي: أسلم، واحذر نارا وقودها الناس والحجارة، فقلت: لا بأس عليك يا أبا إسحاق، فأنت أيضا فيها. قال: فعسى تعني قوله سبحانه: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ مريم: ٧١، الآية، فقلت: نعم. فقال لي: أعطني ثوبك، فأعطيته ثوبي، ثم لف ثوبي في ثوبه، ثم رمى بهما في التنور، وصبر ساعة طويلة ثم قام واجدا شاهقا، باكيا ودخل في الأتون، يعني مستوقد النار وهي تتأجج لهيبا وزفيرا، وأخذ الثياب من وسط النار، وخرج على الباب الآخر، فهالني ذلك من فعله، فهرولت إليه متعجبا، وإذا بالرزمة صحيحة كما كانت، فحلها، وإذا بثيابي قد احترقت كأنها فحمة في وسط ثيابه، وثيابه صحيحة لم تمسها النار.

ثم قال: يا مسكين، هكذا يكون ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ مريم ٧١.

فأسلمت على يديه في الحال، وهذا ما رأيت من احوال الرجال.

لله در قوم ملأ قلوبهم بأنوار الحكمة والرشاد، حرك ساكنا وجدهم، فتمايلهم كالغصن المياد، صفت زجاجة أرواحهم ورق لهم شراب وجدهم، وطاب لهم سماع الإنشاد.

أدرا عليهم حميا الحماية، فألفت عيونهم السهاد، فمنهم سكران ونشوان، وكل أيامكمهم بمحبوبهم أعياد.." (٢)

---

(١) بحر الدموع ص/٧٤

(٢) بحر الدموع ص/٩٩

"وقال حوشب بن سيف، قال: اسم الشيطان الذي يفتن الناس في الأسواق فنحواص.

وقد روى سيف، عن مجاهد أن إبليس نكح نفسه فباض خمس بيضات، فهم أولاده. وهذا من أبعد الأقوال.

وقال عكرمة: من أولاد إبليس القعقاع.

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا خارجة بن مصعب/ عن يونس بن عبد، عن الحسن، عن عتى، عن أبي، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «للوضوء شيطان يقال له الولهان، فاتقوه- أو قال: **فاحذروه**» [١] .

قال أبو الحسين بن المنادي: وقد قيل إن أحد الشياطين يجيء في صورة طائر يقال له القرقصية يخفق بجناحه على عين الرجل الذي يقرأ على أهله الفاحشة فلا ينكر بعد ذلك عليها.

---

[١] الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٥/ ١٣٦، والترمذي ١/ ٦١، وابن ماجة ٣٤، والطيالسي ٥٤٧، والحاكم في المستدرك ١/ ١٦٢، والبيهقي في السنن ١/ ١٩٧، وابن خزيمة في صحيحه ١٢٢.

وأورده المصنف في العلل، وقال: «قال الترمذي: حديث أبي غريب وليس إسناده بالقوي عند أهل الحديث، لا يعلم أحد بسنده غير خارجة، وخارجة ليس بالقوي عند أصحابنا، ولا يصح في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء قلت: خارجة ضعفه ابن المبارك والدار الدارقطني، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال أحمد لابنه: لا تكتب عنه، وقال ابن حبان لا يحل الاحتجاج بغيره.

وقال ابن أبي حاتم في العلل ١/ ٥٣: «رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم منكر» .." (١)

"أخبرنا أبو منصور [١] القزاز قال: أخبرنا أبو بكر [٢] بن ثابت قال: حدثني عبد العزيز بن علي الوراق قال: سمعت عبد الله بن أحمد [بن علي] المقرئ [٣] يقول:

سمعت [محمد بن] مخلد العطار يقول: سمعنا [إسحاق بن] [٤] إبراهيم البغوي يقول:

قرأت على قبر أبي العتاهية:

أذن حتى تسمعي ... اسمعي ثم عي وعي

أنا رهن بمضجعي ... **فاحذري** مثل مصرعي

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٧٩/١

عشت تسعين [٥] حجة ... ثم فارقت مجمعي

ليس زاد سوى التقى ... فخذي منه أو دعي.

١١٨٨- أحمد بن أبي خالد، أبو العباس.

[وزير المأمون] [٦] وكان ذا رأي وفطنة، إلا أنه كانت له أخلاق وفظاظة، فقال له رجل: والله لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: والله لئن لم تخرج مما قلت لأعاقبنك، فقال/ قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ٣: ١٥٩ [٧] وأنت فظ غليظ القلب، ولا ينفضون من حولك.

وروى إبراهيم بن العباس قال: كنت أكتب لأحمد بن أبي خالد، فدخلت عليه يوما فرأيته مطرقا مفكرا مغموما، فسألته عن خبره، فأخرج إلي رقعة، فإذا فيها أن حظية من أعز جواريه عليه، [كان] [٨] يختلف [٩] عليها غيره، ويستشهد على ذلك خادمين كانا ثقتين عنده [١٠] ، قال لي: فدعوت الخادمين وسألتهما عن ذلك، فأنكراه، فتهددتهما

---

[١] أبو منصور» ساقطة من ت.

[٢] في ت: «أخبرنا احمد بن ثابت» .

[٣] في الأصل: «المنوي) .

[٤] في ت: «سبعين» .

[٥] انظر الخبر في: تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٠.

[٦] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٧] سورة: آل عمران، الآية: ١٥٩.

[٨] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٩] وفي الأصل: «يخالف» .

[١٠] في ت: «كانا ثفين عندك» .." (١)

"ثم قتل والى مصر في أيام المهتدي، فصار مستبدا بنفسه في أيام المعتمد، وركب يوما إلى الصيد فلما طعن في البرية غاضت [١] يد دابة بعض أصحابه في وسط الرمل، فكشف المكان فرآى مطلبا واسعا،

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢٤٣/١٠

فأمر أن يعمل فيه، فوجد فيه من المال ما قيمته ألف ألف دينار، فأنفق معظم ذلك في البر والصدقة وبناء الجامع [٢] ، وقال له وكيله يوما: ربما امتدت/ إلى الكف المطوقة، والمعصم فيه السوار، والكف [٣] الناعم، أفامنع هذه الطبقة [٤] ؟ فقال له: ويحك، هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، **احذر** أن ترديدا أمتدت إليك.

وحسن له بعض التجار التجارة، فدفع إليه خمسين ألف دينار، فرآى فيما يرى النائم كأنه يمشمش عظما، فدعى المعبر فقص عليه ما رأى، فقال: قد سمت عمة الأمير إلى مكسب لا يشبه خطره. فاستدعى صاحب صدقاته، وقال له: امض إلى التاجر، وخذ [منه] [٥] الخمسين ألف دينار، وتصدق بها.

ولما اشتد مرضه في علة الموت فخرج المسلمون بالمصاحف، واليهود بالتوراة، والنصارى بالأناجيل، والمعلمون بالصبيان، وكثر الدعاء في الصحراء والمساجد، فلما أحسن بالموت رفع يده وقال: يا رب، ارحم من جهل مقدار نفسه وابطره حكمك عنه [٦] . ثم تشهد وقضى في ذي القعدة من هذه السنة، وقيل: في التي قبلها.

وكان عمره خمسين سنة، وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة عشر ذكرا، وترك عشرة آلاف ألف دينار، وكان له من المماليك سبعة آلاف، ومن الخيل على مربطه سبعة آلاف فرس، ومن الجمال والبغال ستة آلاف رأس، ومن المراكب [٧] الخاصة ثلاثمائة، ومن المراكب الحربية مائة مركب، ومن الغلمان أربعة وعشرون ألفا، وكان خراج مصر

---

[١] في الأصل: «جاست» .

[٢] في الأصل: «في البر والصدقات وبنى الجامع» .

[٣] في ك: «والكم الناعم» وكذا في ت.

[٤] في الأصل: «الوظيفة» وكذا في ت.

[٥] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٦] في الأصل: «حلمك» .

[٧] في الأصل: «الدواب» .." (١)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢٣٢/١٢

"تعالى في النوم فقال [لي] [١] . يا فتح! **احذر** لا آخذك على غرة. قال: فتهت في الجبال سبع سنين [٢] .

أخبرنا عبد الرحمن [بن محمد] ، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا الأزهري، حدثنا عبيد الله بن إبراهيم القزاز، حدثنا جعفر بن محمد الخواص، حدثنا أبو محمد الجريري قال: قال لي فتح بن شخرف: من إعجابي بكل شيء [جيد] عندي [٣] قلم كتبت به أربعين سنة، كنت أكتب به [٤] بالنهار وبالليل، وكانت دارنا واسعة فكنت أكتب به [٥] في القمر حتى يرتفع، وأقعد [٦] على سلم في دارنا أرتقي [٧] عليه مرقاة مرقاة، حتى ينتهي السلم، فإذا تشعث رأس القلم قططته وهو عندي. فأخرج إلى أنبوبة صفر وأخرج القلم منها فأرانيه [٨] .

توفي فتح بن شخرف في شوال هذه السنة، وقبره ظاهر في مقبرة أحمد بن حنبل، وصلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة، وأقل قوم كانوا يصلون عليه خمسة وعشرون ألفا.

وكان يقول في حياته: أعرف رجلا على عضو من أعضائه مكتوب «لله وإليه» [٩] ما كتبها كاتب. فلما مات رآها غاسله.

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر بن ثابت، أخبرنا أحمد بن علي التوزي، حدثنا الحسن بن الحسين الفقيه قال [١٠] . سمعت جعفر الخلدي يقول: سمعت أبا محمد

---

[١] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٢] في ك: «تسع سنين» .

انظر الخبر في تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨٧.

[٣] في ك: «من اعجازي بكل شيء عندي» .

وفي الأصل: «من إعجابي بكل شيء عندي» .

[٤] «به» ساقطة من ك.

[٥] «به» ساقطة من ك.

[٦] في ك: «واكتب على سلم» .

[٧] في المطبوعة: «ارتقاء» .

[٨] تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨٥، ٣٨٦.

[٩] في ك: «مكتوب خلقه الله، والله ما كتبها كاتب» . وفي ت كذلك.

[١٠] في الأصل: «الحسن بن الحسين بن الحنفية» .." [1]

"[بالله] [١] فأرجف به، فقال عبد الله بن المعتز:

طار قلبي بجناح الوجيب ... جزعا من حادثات [٢] الخطوب

١٥٥/ ب وحذرا من أن يشاك بسوء [٣] ... أسد الملك وسيف الحروب/

لم يزل أشيب وهو ابن عشر ... بغبار الحروب قبل المشيب

ثم راضته التجارب حتى ... ما عجيب عنده بعجيب

جال شيطان الأراجيف فينا ... بحديث مؤلم للقلوب [٤]

وكأن الناس أغنام راع ... غاب [٥] عنها فأحسست [٦] بذيب

ثم هبت نعمة الله بشرى [٧] ... كشفت عنا غطاء [٨] الكروب

وقعت منا مواقع ماء ... في حريق مشعل ذي لهيب

رب أصحبه سلامة جسم ... وأحبه منك بعمر رحيب

وفي شهر ربيع الآخر: توفي [أمير المؤمنين] [٩] المعتضد بالله [رحمه الله] [١٠] ، واستخلف [ابنه] [١١] المكتفي بالله.

١٥٦/ أوكثرت في هذه السنة/ الزلازل، فكان في رجب زلزلة [١٢] شديدة، وانقضت

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت، والأصل.

[٢] في ك: «حذرا من حادثات» .

[٣] في ت: «وحذار أن يشاك بسوء» .

وفي ك: «وحذارا أن ينال يسوء» .

[٤] في ت، والأصل: «بحديث معلم للقلوب» .

[٥] في ت: «أعنام راع عاب» .

[٦] في الأصل، ص: «وأحسست» .

[٧] في ت: «ثم ثبت نعمة الله تسري» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢٥٧/١٢

[٨] في ت: «عطاء» .

[٩] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت، ص، والأصل.

[١٠] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت، ص، والأصل.

[١١] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت، والأصل.

[١٢] «زلزلة» مكررة في ت.." (١)

"الخلق، وإقامة الحق، فبلغ الرسالة، وهدى من الضلالة والناس حينئذ عن التقوى [١] غافلون، وعن سبيل الحق ضالون، فأنقذهم من عبادة الأوثان، وأمرهم بطاعة الرحمن حتى قامت حجج الله وآياته، وتمت بالتبليغ كلماته صلى الله عليه وعلى أول مستجيب له على أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، أساس الفضل والرحمة، وعماد العلم والحكمة، وأصل الشجرة الكرام البررة النابتة في الأرومة المقدسة المطهرة، وعلى خلفائه الأغصان البواسق من تلك الشجرة، وعلى ما خلص منها وزكا من الثمرة.

أيها الناس اتقوا الله حق تقاته، وارغبوا في ثوابه، **واحذروا** من عقابه فقد ترون ما يتلى عليكم في كتابه، قال الله تعالى:

يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ١٧: ٧١ [٢] . وقال: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ٤: ٥٩ [٣] . فالحذر الحذر أيها الناس، فكأن قد أفضت بكم الدنيا إلى الآخرة، وقد بان أشراطها ولاح سراطها [٤] ومناقشة حسابها والعرض على كتابها: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٩٩: ٧- ٨ [٥] .

اركبوا سفينة نجائكم قبل أن تغرقوا، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ٣: ١٠٣ [٦] ، واعلموا أنه يعلم ما في أنفسكم **فاحذروه**، وأنيبوا إلى الله خير الإنابة، وأجيبوا داعي/ باب الإجابة قبل أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ٣٩: ٥٦ [٧] أو تقول: لو أن الله هداني لكنت من المتقين ٣٩: ٥٧ [٨] أو تقول حين ترى العذاب: لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ٣٩: ٥٨ [٩] .

---

[١] في ص، ل: «من الهوى غافلون» .

[٢] سورة: الإسراء، الآية: ٧١.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٤٢٢/١٢

[٣] سورة: النساء، الآية: ٥٩.

[٤] في ص: «ولاح شواطها» .

[٥] سورة: الزلزلة، الآية: ٧، ٨.

[٦] سورة: آل عمران، الآية: ١٠٣.

[٧] سورة: الزمر، الآية: ٥٦.

[٨] سورة: الزمر، الآية: ٥٧.

[٩] سورة: الزمر، الآية: ٥٨.." (١)

"أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثني الحسن بن غالب المقرئ أن بكر بن شاذان وأبا الفضل التميمي جرى بينهما كلام، فبدر من أبي الفضل كلمة ثقلت على بكر وانصرفا، ثم ندم التميمي فقصد أبا بكر بن يوسف، فقال له: قد كلمت بكرا بشيء جفا عليه وندمت على ذلك، وأريد أن تجمع بيني وبينه، فقال له ابن يوسف: سوف يخرج لصلاة العصر، / فخرج بكر وجاء [١] إلى ابن يوسف والتميمي عنده، فقال له التميمي: أسألك أن تجعلني في حل، فقال: سبحان الله ما فارقتك حتى أحللتك، وانصرف فقال التميمي: قال لي والدي: يا عبد الواحد احذر أن تخاصم من إذا نمت كان منتبها؟ قال ابن غالب وانصرف التميمي [٢] . وكان لبكر ورد من الليل لا يخل به.

توفي في شوال [٣] هذه السنة، وله نيف وثمانون سنة، ولم تفته جمعة قط غير الجمعة التي مات في غدها، لأنه مات في غداة يوم السبت، ودفن في مقبرة أحمد

[٤] .

٣٠٥١- بدر [٥] بن حسنويه بن الحسين، أبو النجم الكردي

[٦] .

من أهل الجبل رتبه عضد الدولة أبو شجاع بعد موت حسنويه، فكانت له الولاية على الجبل وهمذان والدينور وبروجرد ونهاوند وأسداباذ وغير ذلك، وقامت هيبته بالشجاعة والسياسة والعدل وكثرة الصدقة وكناه القادر أبا النجم [٧] ، ولقبه ناصر الدولة، وعقد له لواء وأنفذه إليه، وكانت أعماله آمنة، فإذا وقف حمل في البرية تركه صاحبه ومضى فجاء بما يحمله عليه، ولما عاث قومه في البلاد عمل لهم دعوة، وقدم فيها أنواع الطبائخ، ولم يقدم خبزا فجلسوا ينتظرون الخبز، كلوا، قالوا، أين الخبز؟ قال فإذا كنتم

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٥/٧٥

[١] «وجاء» : ساقطة من ل.

[٢] «وانصرف التميمي» : ساقطة من ص، ل.

[٣] «شوال» : ساقطة من ص.

[٤] في ت: «مقبرة باب حرب» .

[٥] بياض في ت.

[٦] انظر ترجمته في: (الكامل، أحداث سنة ٤٠٥) .

[٧] في الأصل: «أبا لحم» .." (١)

"فللقلوب التي أبهجتها حزن ... وللعيون التي أقررتها سهر

وما لعيش وقد ودعته أرج ... ولا لليل وقد فارقته سحر

[١]

٣١١١- علي [٢] بن عيسى بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أبان، أبو الحسن الفارسي المعروف بالسكري الشاعر

[٣] :

أصله من نفر وهو بلد على النرس من بلاد الفرس، ولد ببغداد في صفر سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، / وكان يحفظ القرآن والقراءات، وكان متفننا في الآداب، وصحب القاضي أبا بكر بن الطيب، وأكثر شعره في مدح الصحابة والرد على الرافضة والنقض على شعرائهم.

توفي في يوم الثلاثاء سلخ شعبان، في هذه السنة، وقيل: يوم الاثنين لثلاث بقين من شعبان، ودفن في مقبرة باب الدير في الموضع المعروف بتل صافي مقابل قبر معروف، وأمر أن يكتب في لوح وينقش [٤] على قبره أبيات قالها، وهي:

نفس يا نفس كم تمادين في الغي ... وتأتين بالفعال المعيب

راقبي الله واحذري موضع العرض ... وخافي يوم الحساب العصيب

لا يغرنك السلامة في العيش ... فإن السليم رهن الخطوب

كل حي فللمنون ولا يدفع ... بأس المنون كيد الأريب

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٠٤/١٥

واعلمي أن للمنية وقتا ... سوف يأتي عجلان غير هيوب

فأعدي لذلك اليوم زادا ... وجوابا لله غير كذوب

إن حب الصديق في موقف الحشر ... أمان للخائف المطلوب

٣١١٢- محمد [٥] بن أحمد بن محمد بن المنصور، أبو جعفر البيع، ويعرف بالعتيقي [٦] :

---

[١] في الأصل: «وقد فارقته سهر» .

[٢] بياض في ت.

[٣] في ص: «علي بن عيسى بن سليمان بن أبان» .

وانظر ترجمته في: (الكامل ٨/ ١٣٨، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥) .

[٤] في الأصل: «في لوح وينصب» .

[٥] بياض في ت.

[٦] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ١٥) .." (١)

"ووردت الأخبار بما كان من الوباء والموت في بلاد الهند وغزنة وكثير من أعمال خراسان وجرجان والري وإصبهان ونواحي الجبل والموصل، وأن ذلك زاد على مجاري العادة، وخرج من إصبهان في مدة قريبة أربعون ألف جنازة، وكان ببغداد من ذلك طرف قوى، ومات من الصبيان والرجال والنساء بالجدري ما زاد علي حد الاحصاء، حتى لم تخل دار من مصاب، واستمر هذا الجدري في حزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الأول والثاني، وكان في الصيف أكثر منه في الخريف، وجاء كتاب من الموصل أنه مات بالجدري أربعة آلاف صبي.

وخرجت هذه السنة ومملكة جلال الدولة مشتملة علي ما بين الحضرة وواسط والبطيحة وليس له من جميع ذلك إلا إقامة الخطبة والوزارة خالية عن ناظر فيها، ورأى رجل من إصبهان في النوم أن شخصا صعد منارة مسجد إصبهان، وكان أهل إصبهان إذ ذلك في خفض من العيش والراحة والأمن، وقال بصوت جهوري رفيع [١] إلى أن اسمع أهل إصبهان: «سكت نطق سكت نطق سكت نطق» ثلاث مرات فانتبه الرجل فزعا وحكى هذا المنام، فما عرف تأويله، فقال رجل: احذروا يا أهل إصبهان فاني قرأت في شعر أبي

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٥/١٥٦

العتاهية:

سكت الدهر زمانا عنهم ... ثم أبكاهم دما حين نطق

فما مر على هذا الحديث الا أيام قلائل حتى جاء مسعود بن محمود بن سبكتكين، فنهب البلد، وقتل عالما لا يحصى حتى قتل جماعة في الجوامع نسأل الله العافية.

ذكر من توفي في هذه السنة [٢] من الأكابر

٣١٧٧- إسماعيل [٣] بن إبراهيم بن علي بن عروة، أبو القاسم البندار

: [٤]

---

[١] في الأصل: «بصوت جوهري رفيع» .

[٢] بياض في ت.

[٣] بياض في ت.

[٤] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ٦/ ٣١٣) .." (١)

"ونقلت من خط أبى الوفاء بن عقيل قال: قدم أبو المعالي الجويني بغداد أول ما دخل الغز، وتكلم في أبي إسحاق، وأبي نصر بن الصباغ، وسمعت كلامه قال: وذكر الجويني في بعض كتبه ما خالف به إجماع الأمة، فقال: إن الله تعالى يعلم المعلومات ١١٩/ أمن طريق الجملة لا من طريق التفصيل. قال: وذكر لي الحاكي عنه وهو من الفضلاء: من مذهبه أنه ذكر على ذلك شبهات سماها حججا برهانية. قال ابن عقيل:

فقلت له: يا هذا، تخالف نص الكتاب، قال الله تعالى: وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ٦: ٥٩ [١] وقال:

يعلم ما في أنفسكم ٢: ٢٣٥ [٢] ويعلم ما في الأرحام ٣١: ٣٤ [٣] ويعلم السر وأخفى ٢٠: ٧ [٤] وهو بكل شيء عليم ٢: ٢٩ [٥] ثم انتقل إلى بيان علم ما لم يكن أن لو كان كيف كان يكون فقال لو ردوا لعادوا ٦: ٢٨ [٦] وهذا من جهة السمع، فأما من جهة العقل فإنه خلق جميع الأشياء الكليات والجزئيات، وهذا غاية الدليل على الإحاطة بتفاصيل أحوالها، ومعلوم أن دقائق حكمته المدفونة في النحل وهو ذباب من سمع وبصر [وتهد] [٧] إلى دقائق الإتقان في عمل البيوت والادخار للأقوات ما يبطل

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٥/٢٣٠

هذا، ولو صح ما قال كانت الجزئيات في حيز الإهمال، ومن نفي عن نفسه الجهل وأثبت لها العلم كيف يقال فيه هذا. وقد عجبت من تهجمه بمثل هذا، وهذه المقالة غاية الضلالة، هذا كله كلام ابن عقيل.

وحكى هبة الله بن المبارك السقطي قال: قال لي محمد بن الخليل البوشنجي:

حدثني محمد بن علي الهريري وكان تلميذ أبي المعالي الجويني قال: دخلت عليه في مرضه الذي مات فيه وأسنانه تتناثر من فيه ويسقط منه الدود لا يستطاع شم فيه [٨] ، فقال:

هذا عقوبة تعرضي بالكلام **فاحذره**.

---

[١] سورة: الأنعام، الآية: ٥٩.

[٢] سورة: البقرة، الآية: ٢٣٥.

[٣] سورة: لقمان، الآية: ٣٤.

[٤] سورة: طه، الآية: ٧.

[٥] سورة: البقرة، الآية: ٢٩.

[٦] سورة: الأنعام، الآية: ٢٨.

[٧] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٨] في الأصل: «فمه»." (١)

"عشرين رجب [١] فأخرج، وحمل إلى داره، واخرجت جنازته من الغد فصلى عليه، ثم حمل إلى مقبرة باب حرب.

٣٦٧٣- المعمر بن محمد بن المعمرين أحمد بن محمد، أبو الغنائم [٢] الحسيني الطاهر، ذو المناقب، نقيب الطالبيين

: [٣]

وكان جميل الصورة، كريم الأخلاق، كثير التعبد، لا يحفظ عنه أنه آذى مخلوقا، ولا شتم حاجبا [٤] ، وسمع الحديث ورواه، وتوفي بداره بالكرخ بنهر البزازين ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الأول، وحمل من الغد إلى الجامع المنصور فصلى عليه، ثم حمل إلى مشهد مقابر قريش فدفن به، ومات عن اثنتين وسبعين سنة، ولي النقابة منها اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، وتولى مكانه ابنه أبو الفتوح حيدرة، ولقب بالرضى ذي

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢٤٦/١٦

الفخرين، ورثاه أبو عبد الله بن عطية بأبيات منها:

هل ينفعن من المنون [٥] حذار ... أم للإمام من الردى أنصار

هيهات ما دون الحمام إذا دنا ... وزر ولا يسطاع منه حذار

نفذ القضاء على الورى من عادل ... في حكمه وجرت به الأقدار

ما لي أرى الآمال تخدع بالمنى ... عدة تطول وتقصر الأعمار

والناس في شغل وقد أفناهم ... ليل يكر عليهم ونهار

ويد المنية شثنة مبسوطة ... في كل أنملة لها أظفار

لو كان يدفع بطشها [٦] عن مهجة ... ويرد حتفا معقل وجدار

لفدت ربيعة ذا المناقب واشترت ... حبا له طول البقاء نزار

خرجت ذرى المجد المنيف وأصبحت ... عرصات ربع المجد وهي قفار

---

[١] في ص: «سادس عشر رجب» .

[٢] في المطبوعة: «أبو القائم» .

[٣] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ١٥٥) .

[٤] في الأصل: «ولا شتم صاحبا» .

[٥] في الأصل: «هل يشفعن من المنون» .

[٦] في الأصل: «لو كان يرفع بطشها» .." (١)

"وفي يده مروحة يتروح بها وليس عنده أحد يقرأ كما تفعل القصاص، وقرأت عليه كثيرا من الحديث والتفسير، وكان نعم المؤدب، يأمر بالإخلاص وحسن القصد، وكان ينشد:

كيف احتيالي وهذا في الهوى حالي ... والشوق أملك بي من عذل عذالي

وكيف أسلو وفي حبي له شغل ... يحول بين مهماتي وأشغالي

وبنى رباطا بقراح ظفر، فاجتمع جماعة من المتزهدين فلما احتضر قال له أصحابه: أوصنا، فقال: أوصيكم بثلاث: بتقوى الله، ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا. ثم قال لبعض أصحابه:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٧/٤١

انظر هل ترى جبيني يعرق؟ قال: نعم فقال: الحمد لله هذه علامة المؤمن. يريد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يموت بعرق الجبين [١] » ثم بسط يده عند الموت، وقال:

ها قد مددت يدي إليك [٢] فردها ... بالفضل لا بشماتة الأعداء

وهذا البيت لأبي نصر القشيري تمثل به شيخنا هذا، وقال: أرى ا لمشايخ بين أيديهم أطباق وهم ينتظرونني، ثم مات ليلة الأربعاء منتصف رمضان هذه السنة، ودفن في رباطه وجاء الغرق في سنة أربع وخمسين فهدم تلك المحلة والرباط وعفي أثر القبر.

٤٠٢٠- محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العباس، أبو عبد الله الصاعدي الفراوي

: [٣]

من أهل نيسابور، وأبوه من أهل ثغر فراوة، سكن نيسابور فولد محمد بها على ١٤٠/ ب سبيل التقدير/ في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، سمع صحيح البخاري من أبي عثمان سعيد بن أبي سعيد العيار، وسمع صحيح مسلم من أبي الحسين عبد الغافر الفارسي،

---

[١] الحديث: أخرجه النسائي في الجنائز، الباب ٥، حديث ٢، والترمذي في الجنائز، الباب ١٠، وقال: حسن، وابن ماجة في الجنائز، الباب ٥، حديث ٢.

[٢] في الأصل: «ها قد بسطت يدي إليك» .

[٣] في الأصل: «محمد بن الفضل بن محمد بن أحمد بن أبي العباس» . وفي ت: «محمد بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن أبي العباس» .

انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ٢١١، والكامل ٩/ ٢٩٥) .." (١)

"لقد رأيتنا ليلة بدر وما منا إنسان إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم/ علي بن أبي طالب/ (٣) ١٠٥ لقد رأيته في المنام عليه ثياب بيض/ عروة/ (٢) ٣٧٣ لقد سألت أبا هريرة، إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، فإذا بكلام فوق رأسي وإذا برجل يقول لرجل: أهو هو؟ / أبو هريرة/ (٢) ٢٩١ لقد شهدت حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به لأجبت/ أبو عبيدة/ (٢) ٣٠٨ لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي أو دوسي// (٣) ٢٩١ لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة ودعاني إلى الإسلام/ عثمان بن طلحة/ (٥) ١٨٩ لك أجر ذلك

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٧/٣١٨

إذ من الله عليك بالإسلام/ صعصعة بن ناجية/ (٥) ٢٦٤ لكأنك يا سعد تكره ما يصنع الناس// (٣) ١٠٩ لكل نبي شفاعة، وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة/ أنس بن مالك/ (١٠) ١٧ لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي/ م حمد بن إسحاق/ (٣) ٢٨٣ للذي عرض علي أصحابك من الفداء/ عمر بن الخطاب/ (٣) ١١٤ للفرس سهمان وللراجل سهم// (٨) ١٣٧ للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه/ أبي بن كعب/ (١) ١٧٩ للوضوء شيطان يقال له الولهان **فاحذروه**/ أبي بن كعب/ (١) ١٧٩ لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك/ كعب بن مالك/ (٣) ٣٦٦ لم تبخبخ؟ / عكرمة/ (٣) ١٤٠، ١٤١ لم تبكي؟ / البراء بن عازب/ (٣) ٥٥ لم تؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم/ كعب بن مالك/ (٣) ٣٨ لم نأت لقتال أحد وإنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قتلناه// (٣) ٢٦٩ لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم قال:
وكان في بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريج/ أبو هريرة/ (٢) ١٥٦ لم يشتك شكوى إلا سأل الله العافية/ أبو الحويرث/ (٤) ٣٩." [1]

"يا فلان زوجني ابنتك/ أبو برزة الأسلمي/ (٣) ٢٤١ يا قوم آمنوا/ الزبير بن بكار/ (٤) ٤ يا لبابة الهميان وادعي فلانة وفلانة/ عبد الله بن عمر/ (١١) ٢٩٢ يا لكره مني ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا/ ابن أبي داود/ (٣) ١٩ يا للأنصار، يا للأنصار/ أنس بن مالك/ (٣) ٣٣٦ يا للمهاجرين، يا للمهاجرين/ أنس بن مالك/ (٣) ٣٣٦ يا معاذ إنك تقدم على قوم أهل كتاب وإنهم سائلوك عن مفاتيح الجنة// (٤) ٦ يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا/ معاذ بن جبل/ (٤) ٧ يا معشر الأنصار، تقولون أما الرجل فقد أدركته الرأفة بقومه والرغبة في قريته/ أبو هريرة/ (٣) ٣٢٩ يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي/ عائشة/ (٣) ٢٢٣ يا معشر المهاجرين أنا عبد الله ورسوله/ أبو عبد الرحمن الفهري/ (٣) ٣٣٥ يا معشر اليهود **احذروا** من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة// (٣) ١٣٦ يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني أرثه ويرثني// (٣) ٣٤٨ يا نفس ما لك تلوذين كل ملاذ/ أبو الحويرث/ (٤) ٣٩ يا يهودي إنما يحل حقك غدا// (٢) ٢٥٦ يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن/ عمر بن الخطاب/ (٤) ٢٥٥ يأتي يوم القيامة أمة وحده// (٢) ٣٣٠ يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه/ عبد الله بن الزبير/ (٤) ١٥٥ يأخذ الدية// (٤) ٢٦٦ يجيء فقراء المهاجرين يزفون كما يزف الحمام/ عمر بن الخطاب/ (٤) ٣٠٢ يخرج منا رجل

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٤٣٢/١٩

في انقطاع من الزمن وظهور من الفتن يسمى السفاح يكون عطاؤه المال حثيا/ أبو سعيد الخدري/ (٧) ٢٩٥ يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول ابنك وأباك وأختك وأخاك وأدناك/ طارق بن عبد الله المحاربي/ (٢) ٣٦٦." (١)

"عذراء بتول، لا ترغب في مال ولا جمال ولها عندك ثأر، والدم لا ينام، وإنما تاركتك وهنة وحذارا من بطشك، والحقد دفين في سويداء القلب، له كمون ككمون النار في الحجر، إن أقدحته أورى، وإن تركته توارى، وللملك في بنات الأكفاء متسع، ولهن فيه مقنع، وقد رفع الله قدرك عن الطمع في من دونك وعظم شأنك، فما أحد فوقك.

فقال جذيمة: يا قصير، الرأي ما رأيته، والحزم فيما قلته، و [لكن] [١] النفس تواقة، وإلى ما تحب وتهوى مشتاقة، ولكل امرئ قدر لا مفر منه ولا وزر.

فوجه إليها خاطبا، وقال: ائت الزباء فاذكر لها ما يرغبها فيه وتصبو إليه. فجاءها خطيبه، فلما سمعت كلامه وعرفت مراده، قالت له: أنعم بك عينا وبما جئت به وله [٢] .

وأظهرت له السرور به، والرغبة فيه، وأكرمت مقدمه ورفعت موضعه، وقالت: [قد كنت] [٣] أضربت عن هذا الأمر خوفا أن لا أجد كفؤا، والملك فوق قدري، وأنا دون قدره، وقد أجبت إلى ما س أ ل، ورغبت فيما قال، ولولا أن السعي في مثل هذا الأمر بالرجال أجمل لسرت إليه، ونزلت عليه [٤] . وأهدت له هدية سنية، فساقت العبيد، والإماء، والكراع، والسلاح، والأموال، والإبل، والغنم، وحملت من الثياب والعين والورق.

فلما رجع إليه [٥] خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب، وأبهجه ما رأى من اللطف، فظن أن ذلك بحصول رغبة، فأعجبته نفسه، وسار من فوره في من يثق به من خاصته وأهل مملكته، وفيهم قصير خازنه.

واستخلف على ملكه [٦] ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي/، وهو أول ملوك الحيرة [من لخم] [٧] ، وكان ملكه عشرين ومائة سنة، وهو الذي اختطفته الجن وهو

---

[١] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتناه من ت.

[٢] «وله» سقطت من ت.

[٣] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتناه من ت.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٩/٤٥٦

[٤] في ت: «ونزلت به» .

[٥] «إليه» سقطت من ت.

[٦] «وفيهم قصير خازنه، واستخلف على ملكه» سقطت من ت.

[٧] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتناه من ت.." (١)

"يكفيه من سكر [الشراب] [١] ، واعلموا أنه ليس للملك أن يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه، وليس له أن يغضب، لأن الغضب والعداوة لقاح الشر والندامة، وليس له أن يلعب، لأن اللعب من عمل الفراغ، وليس له أن يحسد إلا ملوك الأمم على حسن التدبير، واعلموا أنه لكل ملك بطانة، ولكل رجل من بطانته بطانة، ثم لكل امرئ من بطانة البطانة بطانة حتى يجمع في ذلك أهل المملكة، فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب أقام كل آمر منهم بطانته على ذلك، حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية، واعلموا أن الملك قد تهون عليه العيوب لأنه لا/ يستقل بها حتى يرى الناس يتكاتمونها، وهذا من الأبواب الداعية إلى طاعة الهوى، فاحذروا [٢] إفشاء السر عند صغار أهاليكم وخدمكم [٣] ، واعلموا أن الملك ورعيته جميعا يحق عليهم أن لا يكون للفراغ عندهم موضع، فإن التضييع في فراغ الملك، وفساد المملكة في فراغ الرعية.

فصل

فلما هلك أردشير قام بملك فارس بعده ابنه سابور فقسم الأموال، وبان فضل سيرته وغزا البلدان، فكان بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها: الحضر، وبها رجل يقال له: الساطرون، وهو الذي يقول فيه أبو داود الأبادي [٤] :

وأرى الموت قد تدلى من الحضر ... على رب أهله الساطرون

[٥] والعرب تسميه: الضيزن، فرحل سابور، وأقام على ذلك الحضر أربع سنين، وتحصن الضيزن في الحصن، فلم يقدر عليه، فخرجت بنت الضيزن- ويقال لها:

النضيرة- إلى ربض [٦] المدينة، وكانت من أجمل نساء [٧] زمانها، وكان سابور من

---

[١] ما بين المعقوفتين: سقط من الأصل.

[٢] في الأصل: «واحذر» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٦١/٢

[٣] في الأصل: «صغار أهاليك وخدمك» .

[٤] في الأصل زيادة: «حيث يقول» .

[٥] انظر: أخبار ملوك الفرس ٤٠٢. ومعجم البلدان ٣/ ٢٩٠. وتاريخ الطبري ٢/ ٤٧.

[٦] ربض: الربض هو ما حول المدينة من الخارج.

[٧] في ت: «أجمل أهل زمانها» .." (١)

"فقال سيف: نبي يبعث من عقبك، ورسول من فرعك، اسمه محمد وأحمد، وهذا زمانه الذي يولد فيه، ولعله قد ولد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، والله باعثه جهارا، وجاعل له أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه، تخمد عند مولده النيران، ويعبد الواحد الديان، ويزجر الكفر والطغيان، ويكسر اللات والأوثان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

قال عبد المطلب: علا كعبك، ودام فضلك، وطال عمرك، فهل الملك ساري بإفصاح وتفسير وإيضاح؟ فقال سيف: والبيت ذي الحجب، والآيات والكتب إنك يا عبد المطلب لجده بلا كذب [١] . فخر عبد المطلب ساجدا فقال: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وطال عمرك وعلا أمرك، فهل أحسست شيئا مما ذكرت؟ قال عبد المطلب: نعم أيها الملك، كان لي ولد كنت [به] [٢] معجبا فزوجته كريمة من كرائم قومي تسمى: آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سميته: محمدا وأحمد، مات أبوه و أمه، وكفلته أنا وعمه.

قال: [هو] [٣] هو لله أبوك، فاحذر عليه أعداءه، وإن كان الله لم يجعل لهم عليه سبيلا، ولولا علمي بأن الموت مجتاحي قبل ظهوره لسرت بخيلي ورجلي حتى أجعل مدينة يثرب [دار ملكي، فإني أجد في كتب آبائي أن بيثرب] [٤] استتباب [٥] أمره، وهم أهل دعوته ونصرته، وفيها موضع قبره، ولولا ما أجد من بلوغه الغايات، وأن أقيه آلافات، وأن أدفع عنه العاهات، لأظهرت اسمه، وأوطأت العرب عقبه وإن أعش فسأصرف ذلك إليه، قم فانصرف ومن معك من أصحابك. ثم أمر لكل رجل منهم بمائتي بعير وعشرة أعبد من الحبش وعشرة أرطال من الذهب، وحلتين من البرود، وأمر

---

[١] في ت: «غير ذي كذب» . وفي ألوفا: «غير كذب» .

[٢] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٣] ما بين المعقوفتين زيادة من ألوفا.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢/٨١

[٤] ما بين المعقوفتين زيادة من ألوفا.

[٥] في الأصل: «اسحاب» .." (١)

"جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده، فقبل موضع الخاتم.

فقالت قريش: إن لمحمد عند هذا الراهب لقدرا. وجعل أبو طالب لما يرى من [أمر] [١] الراهب يخاف على ابن أخيه.

فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال أبو طالب: ابني [٢] قال: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا [قال: فابن أخي] [٣] قال: فما فعل أبوه؟ قال: هلك وأمه حبلى. قال: فما فعلت أمه؟ قال: توفيت قريبا. قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، **واحذر** عليه اليهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت [٤] ليبغنه عنتا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا، وما روينا عن آبائنا، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعا وكان رجال من يهود [٥] قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرفوا صفته، وأرادوا أن يغتالوه [٦] ، فذهبوا إلى بحيرا، فذاكروه أمره، فنهاهم أشد النهي، وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم، قال: فما لكم إليه سبيل.

فصدقوه وتركوه، ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفرا بعد ذلك خوفا عليه [٧] .

---

[١] ما بين المعقوفتين: سقط من الأصل.

[٢] «ابني» سقطت من ت.

[٣] ما بين المعقوفتين: سقط من الأصل.

[٤] في ت: «ما عرفت» .

[٥] في ت: «وذلك أن رجال من اليهود» .

[٦] في ت: «أن يقاتلوه» .

[٧] ألوفا لابن الجوزي برقم ١٥٠. والطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ١٥٣- ١٥٥.." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢/٢٧٩

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢/٢٩٥

"الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه [وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره،] [١]
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع عن الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى [٢] وفرط، وضل ضلالا بعيدا، وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، **فاحذروا** ما حذركم الله من نفسه، [ولا أفضل من ذلك نصيحة] [٣] ولا أفضل من ذلك ذكرا، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره، وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى/ ما قدم، وما كان من سوى [ذلك] [٤] يود لو أن بينها وبينه [٥] أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول: ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ٥٠: ٢٩ [٦] فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عن سيئاته، ويعظم له أجرا، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما، وإن تقوى الله [يوقي] [٧] مقته، وعقوبته، وسخطه، ويبيض الوجوه [٨] ، ويرضي الرب، ويرفع الدرجة.
[خذوا] بحظكم [٩] ، ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصول، وأوردناه من تاريخ الطبري ٢/ ٣٩٤.

[٢] في الطبري: «ومن يعصهما فقد غوى» .

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصول، وأوردناها م ن الطبري.

[٤] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، وأوردناه من أ، والطبري.

[٥] في الأصل: «لو أن بينه وبينه» . وما أوردناه من الطبري ٢/ ٣٩٥.

[٦] سورة: ق، الآية: ٢٩.

[٧] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، وأوردناه من أ، والطبري.

[٨] في تاريخ الطبري ٢/ ٣٩٥: «يوقي عقوبته ويوقي سخطه وإن تقوى الله ببيض الوجوه» .

[٩] في الأصل: «وبحظكم» ، وما أوردناه من الطبري.." (١)

"عشرين شهرا من الهجرة] [١] . وكان أبو عفك شيخا كبيرا يهوديا قد بلغ مائة وعشرين سنة، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول الشعر. فقتله سالم بن عمير

. [غزوة بني قينقاع]

[٢] ومن الحوادث: غزوة [٣] بني قينقاع، وكأن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد وادع حين قدم المدينة يهودها على أن لا يعينوا عليه أحدا، وأنه إذا دهمه بها عدو نصروه. فلما انصرف من بدر أظهروا له الحسد والبغي، وقالوا: لم يلق محمدا من يحسن القتال، ولو لاقيناه لاقى عندنا قتالا لا يشبهه قتال أحد، ثم أظهروا له نقض العهد.

قال ابن إسحاق [٤] : فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قينقاع، وكانوا [٥] أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: «يا معشر اليهود، **احذروا** من الله عز وجل [مثل [٦] ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل» ، فقالوا:

يا محمد، إنك ترى أنا كقومك، لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، [فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس] [٧] .

فخرج للنصف من شوال، وحمل لواءه يومئذ حمزة، واستخلف على المدينة أبا لبابة، فتحصنوا في حصونهم، فحاصرهم خمسة عشر ليلة، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتفوا وهو يريد قتلهم، فكلمه فيهم عبد الله بن أبي، فقال: يا محمد، أحسن في موالي- وكانوا حلفاء الخزرج- فأعرض عنه فأعاد السؤال، فأعرض عنه فأدخل يده

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، وأوردناه من ابن سعد.

[٢] المغازي للواقدي ١/ ١٧٦، طبقات ابن سعد ١/ ٢/ ١٩، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٧٩، والبداية والنهاية ٤/ ٣، والكامل لابن الأثير ٢/ ٣٣، وابن سيد الناس ١/ ٢٩٤، والاكتفاء ٢/ ٧٩، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٧، والدلائل ٣/ ١٧٣، وابن حزم ١٥٤، والسيرة الحلبية ٢/ ٢٧٢، والسيرة الشامية ٤/ ٥٦٢.

[٣] في الأصل: «غزاة» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٣/٦٦

[٤] تاريخ الطبري ٢/ ٤٧٩، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٧.

[٥] في الأصل: وكان.

[٦] ما بين المعقوفتين: من أ.

[٧] ما بين المعقوفتين: من الطبري.." (١)

"لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لا مال يغنيني ولا عشيرة تحميني.

فأقبل الطائران حتى وقع أحدهما على بطنه فنقر صدره فأخرج قلبه ثم شق قلبه، فقال الطائر الأعلى: أوعى، قال: وعى، قال: أقبل، قال: أبى، قال: فرده ثم طار، فاتبعهما أمية ببصره، فقال:

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لا بريء فأعتذر ولا ذو عشيرة فأنتصر.

فأقبل الطائر فوقع على صدره فنقر نقرة فأخرج قلبه فشقه، فقال الطائر الأعلى:

أوعى، قال: وعى، قال: أفقبل، قال: أبى، فرده ثم طار، فاتبعهما أمية ببصره، فقال:

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما بالنعم محمود وبالذنب محصود.

فأقبل الطائر فوقع على صدره فنقر [١] صدره نقرة شقته ثم أخرج قلبه، فقال الطائر الأعلى: أوعى، قال: وعى، قال: أقبل، قال: أبى، فرده ثم طار، فاتبعهما أمية ببصره، فقال:

لبيكما لبيكما ... ها أنا ذا لديكما

إن تغفر اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك لا ألما

واستوى ال سقف، فاستوى أمية جالسا، فقالت أخته: يا أخي هل تجد شيئا، قال: لا إلا حرا في صدري، وجعل يمسح صدره، وأنشأ يقول:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في قلال الجبال أرعى الوعولا

/ فاجعل الموت بين عينيك واحذر ... غولة الدهر إن للدهر غولا

ثم خرج من عندها حتى إذا كان بين بيتها وبيته أدركه الموت. قال: ففيه نزل قوله تعالى [٢] : واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ٧: ١٧٥ [٣] .

---

[١] في أ: «فوقع على بطنه فنقر» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٣/١٣٦

[٢] في أ: «ففيه أنزل الله عز وجل» .

[٣] سورة: الأعراف، الآية: ١٧٥.." (١)

"ديارهم- يعني بني النضير- فإن بعثوا إليكم يسألونكم رهنا فلا تدفعوا إليهم أحدا واحذروهم، ثم أتى غطفان، فقال لهم مثل ذلك، وكان رجلا منهم فصدقوه، وأرسلت قريظة إلى قريش: إنا والله ما نخرج فنقاتل محمدا صلى الله عليه وسلم حتى تعطونا رهنا منكم [يكونون] عندنا، فإنا نتخوف أن تنكشفوا وتدعونا ومحمدا، فقال أبو سفيان: صدق نعيم.

وأرسلوا إلى غطفان بمثل ما أرسلوا إلى قريش، فقالوا لهم مثل ذلك، وقالوا جميعا: إنا والله ما نعطيكم رهنا ولكن اخرجوا فقاتلوا معنا. فقالت اليهود: نحلف بالتوراة أن الخبر الذي قال نعيم لحق، وجعلت قريش وغطفان يقولون: الخبر ما قال نعيم، ويئس هؤلاء من نصر هؤلاء، وهؤلاء من نصر هؤلاء. واختلف أمرهم وتفرقوا في كل وجه، وكان نعيم يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على سره [١] .

قال علماء السير: فلما استوحش كل فريق من صاحبه، اعتلت قريظة بالسبت، فقالوا: لا نقاتل، وهبت ليلة السبت ريح شديدة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله لستم بدار مقام، لقد هلك الخف والحافر، وأجدب الجناب وأخلفتنا بنو قريظة، و [لقد] لقينا من الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بحضرته أحد من العساكر قد انقشعوا، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة لينظر ما فعل القوم.

فروى/ مسلم في أفراده من حديث إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت [٢] ، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك، لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر [٣] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا ولم يقم قائم، فقال: «قم يا حذيفة» فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي إلا أن أقوم، قال: «اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي» [٤] ، فلما وليت من عنده جعلت

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٣/١٤٧

[١] الخبر في طبقات ابن سعد ٤/ ٢/ ٢٠، ٢١.

[٢] أي: بالغت في نصرته.

[٣] القر: البرد.

[٤] أي لا تحركهم عليك، فإنهم إن أخذوك كان ضررا علي لأنك رسولي وصاحبي.." (١)

"وكان يوم الاثنين بمر الظهران فغربت له الشمس بسرف، ثم أصبح واغتسل ودخل مكة نهارا وهو على راحلته، فدخل من أعلى مكة من كداء حتى انتهى إلى باب بني شيبة، فلما رأى البيت رفع يديه، وقال: «اللهم يزد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة، وزد من عظمه ممن حجه واعتمره تشريفا وتكريما ومهابة وتعظيما وبرا» . ثم بدأ فطاف بالبيت، ورمل ثلاثة أشواط من الحجر إلى الحجر وهو مضطبع بردائه، ثم صلى خلف المقام ركعتين، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته من فوره ذلك.

وخطب بمكة خطبا في أيام حجه.

قال المؤلف:

ومما جرى بعد حجه صلى الله عليه وآله وسلم.

أن باذام والي اليمن مات، ففرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمالها بين شهر بن باذام/ وعامر بن شهر الهمداني، وأبي موسى الأشعري، وخالد بن سعيد بن العاص، ويعلى بن أمية، وعمرو بن حزم، وزياد بن لبيد البياضي على حضرموت، وعكاشة بن ثور على الىسكاسك والسكون.

وبعث معاذ بن جبل معلما لأهل البلدين: اليمن وحضرموت، وقال له: «يا معاذ إنك تقدم على قوم أهل كتاب وإنهم سائلوك عن مفاتح الجنة، فأخبرهم أن مفاتح الجنة لا إله إلا الله، وأنها تخرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل، لا تحجب دونه، من جاء بها يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب» فقال: أرأيت ما سئلت عنه واختصم إلي فيه مما ليس في كتاب الله ولم أسمع منك سنة [١] ؟ فقال: «تواضع لله يرفعك، ولا تقضين إلا بعلم، فإن أشكل عليك أمر فسل ولا تستحي، واستشر ثم اجتهد، فإن الله إن يعلم منك الصدق يوفقك، فإن التبس عليك فقف حتى تتبينه أو تكتب إلي فيه، **واحذر**

---

[١] في الأصل: العبارة مضطربة هكذا: «مما ليس في كتاب ولا أسمع منه» .." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٣/٢٣٦

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٦/٤

"وقد سبق ذكر أحواله في المجاهدات، وكان شجاعا، فكان يقول: لا أدري من أي يومي أفر، من يوم أراد الله أن يهدي لي فيه شهادة، أو من يوم أراد أن يهدي لي فيه كرامة.

[أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور قال:

أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: حدثنا السري بن يحيى قال:

حدثنا شعيب قال: حدثنا سيف، عن مبشر،] [١] عن سالم قال: حج عمر، واشتكى خالد بعده وهو خارج من المدينة زائرا الأمة، فقال لها: **احذروني** إلى مهاجرتي، فقدمت به المدينة ومرضته، فلما ثقل وأطل عمر لقيه لاق على مسيرة ثلاث، صادرا عن حجه، فقال له عمر: مهيم. فقال: خالد بن الوليد. لما به. فطوى ثلاثا في ليلة، فأدركه حين قضى، فرق عليه واسترجع، وجلس ببابه حتى جهز، وبكته البواكي، فقيل لعمر: ألا تسمع؟! ألا تنهاهن؟ فقال: وما على قريش أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة– النقع: الشق. واللقلقة: الصوت] [٢]– فلما أخرج بجنازته رأى عمر امرأة محترمة تبكيه وتقول:

أنت خير من ألف ألف من الناس ... إذا ما كبت [٣] وجوه الرجال

أشجاع فأنت أشجع من ليث ... عرين جهم أبي أشبال

أجواد فأنت أجود من سيل ... دياس يسيل بين الجبال

فقال عمر: من هذه؟ فقيل: أمه. فقال: أمه والهالة [٤]– ثلاثا– هل قامت النساء عن مثل خالد.

وكان عمر يتمثل في طيه تلك الثلاث في ليلة وبعد ما قدم:

تبكي ما وصلت به الندامى ... ولا تبكي فوارس كالجبال

---

[١] في الأصل: «روى المؤلف بإسناده عن سالم» .

[٢] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٣] في ت: «ما دنت» .

[٤] في ت: «ايه والإله» .

في الأصل: «والى له» .." (١)

"الحضرمي، فإن فرق جمعه فهو ما نريد، وإن ترقت إليهم الأمور فانهض إليهم وجاهدهم، وإن رأيت ممن قبلك تثاقلا، فدارهم وطاولهم، وكأنك بجنود الله قد أظلتك.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٤/٣١٥

فقدم أعين فأتى زيادا فنزل عنده، ثم أتى قومه فجمع رجالا ونهض إلى ابن الحضرمي، فدعاهم فشتموه وناوشوه وانصرف عنهم، فدخل عليه قوم فقتلوه، فلما قتل أعين، أراد زياد قتالهم، فأرسل بنو تميم إلى الأزد: إنا لم نعرض لجاركم ولا لأحد من أصحابه، فماذا تريدون من جارنا، وكرهت الأزد القتال، وقالوا: إن عرضوا لجارنا منعناه، وإن كفوا عنا كففنا عن جارهم، فأمسكوا. وكتب زياد إلى علي بقتل أعين، وأخبره أنه لم يخف معه ممن تقوى به على قتالهم، فكتب إليه علي يصوب رأيه، وبعث إليه حارثة بن قدامة في خمسين من بني تميم، وشريك بن الأعور في خمسمائة، فقدم حارثة البصرة، فقال له زياد: **احذر** أن يصيبك ما أصاب صاحبك فسار حارثة إلى قومه فقرأ عليهم كتاب علي رضي الله عنه، فأجابه أكثرهم، فسار إلى ابن الحضرمي فحصره في داره ثم أحرق عليه الدار وعلى من معه، وكانوا سبعين رجلا، وقيل: أربعين، وتفرق الناس، ورجع زياد إلى دار الإمارة.

وكان من الحوادث في هذه السنة إظهار الخريت [١] بن راشد في بني ناجية الخلاف على علي رضي الله عنه [٢] .

وذلك أنه كان مع الخريت من بني ناجية ثلاثمائة، وكانوا قدموا على علي من البصرة، فأقاموا معه بالكوفة، وخرجوا إليه يوم الجمل، وشهدوا معه صفين، فلما حكم علي جاءه الخريت فقال: والله يا علي لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك، وإني لمفارق لك. فقال علي: ثكلتك أمك، إذا تعصي ربك، وتنكث عهدك، ولا تضر إلا نفسك، لم تفعل ذلك؟ قال: لأنك حكمت في الكتاب، / وضعفت عن الحق. ثم أنه فارقه ٦٢/ ب وخرج بأصحابه، فقال زياد بن حفصة: يا أمير المؤمنين، إنا نخاف أن يفسد علينا جماعة كبيرة فأذن لي في اتباعهم أردهم عليك إن شاء الله، قال: فاخرج في آثارهم

---

[١] في الأصل: «الحريث» .

[٢] تاريخ الطبري ٥/ ١١٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي حديد ٣/ ١٢٨- ١٤٨.." (١)

"صاحبا فأذني، فقال: من؟ قلت: عمرو بن أمية، فقال: إذا هبطت إلى بلاد قومه **فاحذره**، فإنه قد قال القائل: أخوك البكري فلا تأمنه.

قال: فخرجنا حتى جئت الأبواء، قال: إني أريد حاجة إلى قومي بودان فتلبث لي، قال: قلت راشدا، فلما ولى ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشددت على بعيري ثم خرجت أوضعه حتى إذا كنت

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٥٣/٥

بالأصافر إذا هو يعارضني في رهط. قال: فأوضعت فسبقته، فلما رآني قد فته انصرفوا، وجاءني فقال: كانت لي إلى قومي حاجة، قلت:

أجل. ومضينا حتى قدمنا مكة، فدفعت المال إلى أبي سفيان.

٣٤٩- عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه [١] :

وأمه فاطمة بنت أسد، وكان أسن ولد أبي طالب بعد طالب، وكان بينه وبين ٩٥/ أطالب عشر سنين، ثم بينه وبين جعفر عشر سنين، ثم بين جعفر وبين علي/ عشر سنين، وكان علي رضي الله عنه أصغرهم سنا وأقدمهم إسلاما.

وأخرج عقيل يوم بدر مع المشركين مكرها، فشهدها وأسر، ففداه العباس. ومات عقيل بعد ما عمي بصره [في خلافة معاوية] [٢] .

٣٥٠-[عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان [٣] :

شهد بدرا وأحدا والخندق وذهب بصره] .

٣٥١- أم شريك، واسمها غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية [٤] :

وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم. واختلفوا هل قبلها أم لا؟ على قولين، أحدهما أنه قبلها ودخل عليها، والثاني أنه لم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت.

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال:

أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني [٥] ، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد، قال: حدثنا أحمد بن

---

[١] طبقات ابن سعد ٤/ ١/ ٢٨.

[٢] ما بين المعقوفتين. ساقط من الأصل.

[٣] طبقات ابن سعد ٣/ ٢/ ٩٦، والترجمة كلها ساقطة من الأصل.

[٤] طبقات ابن سعد ٨/ ١١٠.

[٥] في الأصل: «إبراهيم الأصفهاني» .." (١)

"فخفت عليك [ولا] [١] ولد لي سواك، وهذه المرأة ليست بولود فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يرزقك ولدا تقر به عينك وأعيننا، فقال قيس: لست متزوجا غيرها أبدا، قال أبوه، فتسر بالإماء، قال:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢٣٦/٥

ولا أسوءها بشيء والله أبدا، قال أبوه: فإني أقسم عليك إلا طلقتها، فأبى وقال: الموت عندي والله أسهل من ذلك، ولكني أخيرك خصلة من [ثلاث] [٢] خصال، قال: وما هي؟ قال: تتزوج/ أنت فلعل الله أن يرزقك ولدا غيري، قال: ما في فضلة لذلك، قال: فدعني أترحل عنك بأهلي واصنع ما كنت صانعا لو مت في علتي هذه، قال: ولا هذه، قال: فأدع لبنى عندك وارتحل عنك فلعلي أسلوها فإني ما أحب [٣] بعد أن تكون نفسي طيبة فإنها في خيالي، قال: لا أرضى أو تطلقها، وحلف لا يكنه سقف أبدا حتى يطلق لبنى. وكان يخرج فيقف في حر الشمس، فيجيء قيس فيقف إلى جانبه فيظله بردائه ويصطلي هو بحر الشمس ثم يدخل إلى لبنى فيعانقها ويبكي وتبكي هي معه، وتقول له: يا قيس، لا تطع أباك فتهلك وتهلكني، فيقول: ما كنت لأطيع فيك أحدا أبدا.

فيقال: إنه مكث لذلك سنة، وقيل: عشرين سنة، وهجره أبواه لا يكلمانه، فطلقها، فلما طلقها استطير عقله، ولحقه مثل الجنون، وجعل يبكي، فبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، فأقبل أبوها بهودج وإبل، فقال قيس: ما هذا؟ فقالوا: لبنى ترحل الليلة أو غدا، فسقط مغشيا عليه ثم أفاق، وجعل يقول [٤] :

وإني لمفن دمع عيني بالبكا ... حذار الذي قد كان أو هو كائن

وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة ... فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي ... بكفيك إلا أن ما حان حائن

وقال:

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها ... بخير فلا تندم عليها وطلق

---

[١] ما بين المعقوفتين: من هامش الأصل.

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصول، أوردناها من الأغاني.

[٣] في ت: «فآتي ما تحب» .

[٤] الأبيات في الأغاني ٩/ ١٦٢.." (١)

"المؤمنين، قال: ومن أنت؟ قال [١] : أنا الحجاج بن يوسف، معدن العفو والبوار. قال: اجلس فلست هناك، ثم أطرق مليا فقال: من العراق، فقد قوي الضعيف، وخضع الشديد، فقام الحجاج فقال: أنا للعراق يا أمير المؤمنين.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٨٢/٦

فقال: يا ابن يوسف، لكل أمر آلة وقلائد، فما آلتك وقلائدك؟ قال: القتل والعفو، والمكاشفة والمداراة، والحرق [٢] والرفق، والعجلة والريث، والإبراق والتبسم، والإرعاد والتنفس، والإبعاد والدنو، [والرفق] [٣] والجفا طورا والزيارة والصلة آونة، والتجبر والتقمص أحيانا، والحرمان، والترهيب والترغيب ألوانا، ألبس جلد النمر، وسيفا منيعا، وتوضعا في/ تجبر وخوض غمرات الفنيق، ضحضاح الثمد عند الورود، فمن رمقني حددته، ومن لوى شدقه خدعته، ومن نازعني جذبته [٤] ، ومن عض منقبة بددته، ومن تغير لونه قتلته، ومن دنا أكرمته، ومن نأى طلبته، ومن ما حكني [٥] غلبته، ومن أدركته كسعته، فهذه آلتي وقدادتي، ولا عليك يا أمير المؤمنين أن تجربني، فإن كنت للأعناق قطاعا، وللأوصال جزاعا، وللأرواح نزاعا، وللخراج جماعا، ولك في [هذه] [٦] الأشياء نفاعا، وإلا فاستبدل بي غيري، فإن الناس كثير، ومن يسد بهم الثلم قليل.

فقال عبد الملك: أنت لها لله أبوك فتناولها كيف شئت ثم التفت إلى كاتبه، فقال: اكتب له عهدا على العراق جميعا، وأطلق يده في السلاح والكراع والرجال والأموال، ولا تجعل له علة، وقد كتب عهده يوم الاثنين وهو خارج يوم السبت، فالزموا طاعته يا أهل الكوفة، واحذروا صولته.

فبينا نحن جلوس في المسجد الأعظم بالكوفة إذ أتانا آت، فقال: الحجاج بن يوسف قد قدم أميرا على العراق، فاشرأب الناس نحوه ينظرون إليه، ثم أفرجوا له

---

[١] قال: اجلس فلست هناك ... قال: ومن أنت؟ قال: «ساقط من ت» .

[٢] في الأصل: «الخوف» ، وما أوردناه من ت.

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، أوردناه من ت.

[٤] «نازعني جذبته» . ساقط من ت.

[٥] في الأصل: «ومن ضاحكني» .

[٦] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، أوردناه من ت.." (١)

"استوثقوا واستقيموا، وتابعوا وبايعوا، وجانبوا واحذروا واتقوا، واعلموا أنه ليس مني الإكثار ولا الإهذار، ولا مع ذلك الفرار ولا النفار، وإنما هو انتضاء السيف، ثم لا يغمد الشتاء ولا الصيف حتى تفيئوا إلى أمر الله، وتجتمعوا [١] إلى طاعته وطاعة أمير المؤمنين حتى يذل الله له صعبكم، ويقيم أودكم، ويلوي به

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٥٧/٦

صغيركم.
ألا وإني وجدت الصدق مع البر، والبر في الجنة، وألفيت الكذب مع الفجور، والفجور في النار. وقد وجهني أمير المؤمنين إليكم وأمرني بإعطائكم عطاياكم، وإشخاصكم إلى مجاهدة عدوكم، وقد أمرت بذلك لكم، وأجلتكم ثلاثا، وأعطي الله عهدا يأخذه مني ويستوفيه/ علي، لئن بلغني أن رجلا تخلف منكم بعد قبض عطائه يوما واحدا لأضربن عنقه، ولأنهبن ماله. اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين يا غلام، فقال الكاتب: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم» . فلم يقل أحد شيئا، فغضب الحجاج وقال: يا أهل الفتن الداحية، والأهواء الراتية، والألباب الماجنة، أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام، والله لأؤدبنكم غير أدب ابن أذينة- وكان ابن أذينة صاحب شرطة بالكوفة- ولأجعلن لكل امرئ منكم في جسده شغلا، أعد القراءة يا غلام، فأعاد الكاتب، فلما بلغ قوله: سلام عليكم، قال جميع من في المسجد، وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته، ثم نزل فدخل الدار.
فلما كان اليوم الرابع أتاه عمير بن ضابىء البرجمي ومعه ابنان له وقد ركب معه جماعة من البراجمة ألفا فارس وقالوا له: إن رأيت من الأمير ريب فدماؤنا دون دمك، فقال: أيها الأمير، إني شيخ كبير، وقد خرج اسمي في هذا البعث، وابني هذا أقوى مني على السفر، وأجلد في الحرب، فإن رأى الأمير أن يمن علي بلزوم منزلي، ويقبل ابني بديلا فعل ذلك موفقا. فقال: نعم ذلك لك يا شيخ انطلق راشدا وابعث ابنك بديلا. فلما ولي قال له عنبسة بن سعيد بن العاص: أيها الأمير، أتعرف هذا الشيخ الذي

---

[١] في ت: «وتجنحوا» .." (١)

"أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسين بن عمر بن برهان قال: حدثنا عبد الباقي بن قانع قال: حدثنا بشر بن موسى قال: حدثنا عمرو بن علي قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما عاشرت في الناس رجلا أرق من سفيان الثوري، وكنت أرمقه في الليلة بعد الليلة ينهض مرعوبا ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات [١] .
أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي/ قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد قال: أخبرنا الوليد بن بكر الأندلسي قال: حدثنا علي بن أحمد بن زكريا الهاشمي قال: حدثنا صالح بن أحمد العجلي

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٦١/٦

قال: حدثني أبي قال:

دخل سفيان على المهدي فقال السلام عليكم، كيف أنتم. ثم جلس فقال: حج عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] فأنفق في حجته ستة عشر دينارا، وأنت حججت، فأنفقت في حجتك بيوت الأموال قال: فأي شيء تريد، أكون مثلك؟ قال: فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه. فقال وزيره أبو عبيد الله: يا أبا عبد الله، قد كانت كتبك تأتينا فننفذها.

قال: من هذا؟ قال: أبو عبيد الله وزيري. قال: احذره، فإنه كذاب، أنا كتبت إليك. ثم قام فقال له المهدي: إلى أين يا أبا عبد الله؟ قال: أعود، وكان قد ترك نعله حين قام، فعاد فأخذها ثم مضى، فانتظره المهدي فلم يعد، قال: وعدنا أن يعود فلم يعد، قيل:

إنه عاد لأخذ نعله فغضب. وقال: قد آمن الناس إلا سفيان الثوري، ويونس بن فروة الزنديق، فإنه لبطلب وإنه لفي المسجد الحرام، فذهب فألقى نفسه بين النساء فجللنه، قيل له: لم فعلت؟ قال: إنهن أرحم ثم خرج إلى البصرة، فلم يزل بها حتى مات. فلما احتضر قال: ما أشد الغربة انظروا إلي هاهنا أحدا من أهل بلادي؟ فنظروا فإذا أفضل رجلين من أهل الكوفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر، والحسن بن عياش أخو أبي بكر، فأوصى إلى الحسن في تركته، وأوصى إلى عبد الرحمن بالصلاة عليه [٢] .

توفي بالبصرة في هذه السنة.

قال مؤلف الكتاب وقد أوردت أخبار سفيان الثوري [٣] في كتاب كبير، فلهذا اقتصرت هاهنا على هذا المقدار.

---

[١] هذا الخبر ساقط من ت.

انظر الخبر في: تاريخ بغداد ٩/ ١٥٧.

[٢] انظر: تاريخ بغداد ٩/ ١٦٠.

[٣] في ت: «وقد أفردت لأخبار سفيان في كتاب كبير» .." (١)

"٩٥- أخبرنا المبارك بن علي قال: أخبرنا أبو الحسن بن العلاف قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن الصواف قال: حدثنا بشر بن موسى قال: ثنا عبد الله -[٩٥]- قال: حدثنا يحيى بن عبد الملك قال:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٨/٢٥٤

كتب الأوزاعي إلى أخ له: (أما بعد فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة، **فاحذر** الله، والقيام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به والسلام) .." [١]

"٩٩- قرأت على ابن ناصر عن أبي القاسم بن البسري عن أبي عبد الله ابن بطة قال: ثنا أبو الحسين الحربي قال: ثنا أحمد بن مسروق قال: ثنا محمد بن الحسين قال: (قال رجل لرجل نحيف عليل: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: الفرق من الموت. قال: **فاحذر** أن تدخل دارا تمنى فيها الموت فلا تجده) .." [٢]

"يس ﴿وضرب لنا مثلا﴾ وفي الزمر ﴿ضرب الله مثلا رجلا﴾ وفي سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿نظر المغشي عليه من الموت﴾ ﴿مثل الجنة﴾ وفي الفتح ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾ وفي الحشر ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ ﴿كمثل الشيطان﴾ وفي الجمعة ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ وفي التحريم ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا﴾ ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا﴾

وكم من كلمة تدور على الألسن مثلا جاء القرآن بالخص منها وأحسن فمن ذلك قولهم القتل أنفى للقتل مذكور في قوله ﴿ولكم في القصاص حياة﴾

وقولهم ليس المخبر كالمعاين مذكور في قوله تعالى ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾

وقولهم ما تزرع تحصد مذكور في قوله تعالى ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾

وقولهم للحيطان آذان مذكور في قوله تعالى ﴿وفيكم سماعون لهم﴾

وقولهم الحمية رأس الدواء مذكور في قوله تعالى ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾

وقولهم **احذر** شر من أحسنت إليه مذكور في قوله تعالى ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾

وقولهم من جهل شيئا عاداه مذكور في قوله تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾." [٣]

"الفصل الرابع

إخواني قد نمى إليكم أمر من نما وسامي وصال الوسام وسما وافتخر بالنسب والنشب وانتمى كيف بارزه من أبرزه عن الحمى فبات بعد الري يشكو الظما وقد رأيتم ما جرى فانتظروا مثل ما

---

(١) المقلق لابن الجوزي ص/٩٤

(٢) المقلق لابن الجوزي ص/٩٧

(٣) المدهش ص/١٧

لابن المعتز

(يا نفس ويحك طال ما ... أبصرت موعظة وما)

(نفعتك فاخشى وانتهى ... وعليك بالتقوى كما)

(فعل الأناس الصالحون ... وبادري فلربما)

(سلم المبادر **واحذري** ... يا نفس من سوف فما)

(خدع الشقي بمثلها ... إياك منها كلما)

(ناجت مكايدها ضميرك ... إنما هي إنما)

(خطرت وكم قتلت ... وأهلكت النفوس وقلما)

(تغني أمانيها إذا ... حضر الردى فكأنما)

(لم يحيي من لاقى منيته ... فيا عجبا أما)

(في ذاك معتبر ولا ... شاف يبصر من عمى)

(يا ذا المنى يا ذا المنى ... عش ما بدا لك ثم ما)

يا سكران الهوى أما آن الصحو يا ساطرا قبح الخلاف أما حان المحو

أين الراحلون كانوا بالأمس صحت حجة الموت فبطلت حجة النفس واءتقلهم حاكم البلى على دين الرمس وكف أكف الحس بعد تصرف آلة الخمس واستوعر عليهم الحصر واستطال الحبس." (١)

"الفصل السادس

أخواني إنتبهوا من رقدات الأغمار وانتهبوا لحظات الأعمار وقاطعوا الكسل فقد قطع الأعذار واسمعوا زواجر الزمن فما داجى الدجى ولقد بهر النهار وخذوا بالحزم فقد شقي تلف من رضي بشفا جرف هار

للشريف الرضى

(تفوز بنا المنون وتستبد ... ويأخذنا الزمان ولا يرد)

(وانظر ماضيا في أثر ماض ... لقد أيقنت أن الأمر جد)

(رويدا بالفرار من المنايا ... فليس يفوتها الساري المجد)

(فأين ملوكنا الماضون قدما ... اعدوا للنوائب واستعدوا)

---

(١) المدهش ص/١٥٠

(أعارهم الزمان نعيم عيش ... فيا سرعان ما استلبوا وردوا)

(هم فرط لنا في كل يوم ... نمدهم وإن لم يستمدوا)

العمر يسير وهو يسير فاقصروا عن التقصير في القصير أما دراك دراك قبل امتناع الفكاك حذار حذار قبل قدوم القرار أما يحرك سوق الرهب سوق الهرب أما يحث التعليم على الدأب الأدب أليس الزمان يعير ثم يغير وهب إنه وهب أما ضرب الدهر فاستحال الضرب مر العمر والغمر مشغول عما ذهب بالذهب كم فارق من رافق فسلا من سلا بالسلب أين الفهم فقد المعنى المعنى وعج العجب أين الثمرة أيتها في الغرب حالت غمايم الهوى بينكم وبين." (١)

"البخاتي ميلا إلى كثرة العلف وقع ببختها الذبح سابق الطير مكرم والديك الحاذق بالصياح مطلق إذا صب في القنديل ماء ثم صب عليه زيت صعد الزيت فوق الماء فيقول الماء أنا ربيت شجرتك فأين الأدب لم ترتفع على فيقول الزيت أنت في رضراض الأنهار تجري على طريق السلامة وأنا صبرت على العصر وطحن الرحا وبالصبر يرتفع القدر فيقول الماء ألا أني أنا الأصل فيقول الزيت إستر عيبك فإنك لو قارنت المصباح انطفأ

يا بعيدا عن المجاهدة قد اقتسم الرعيل الأول النفل أما ترى اسلاب الهوى كيف يبيعها أربابها في سوق الإفتخار بالنض ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾

يا من قد انحرف عن جادتهم كم أحركك بسوط الشوق في شوط السوق سهم عزمك بلا ريش إنما يقع وقت الرمى بين يديك يا مخنث العزيمة أقل ما أبقى في الرقعة البيذق فلما نهض تفرزن رأى بعض الحكماء برذونا يستقي عليه فقال لو هملج هذا لركب متى همت أقدام العز بالسلوك إندفع من بين يديها ما يسد القواطع ومتى هاب الغايص موج البحر لم يطمح له في نيل الدر يا من عقد عزمه بأنشوطة والهوى يمدها للحل إن عزفت من عزيمتك الثبوت في صف المجاهدة وإلا فاحذر هتكة الهزيمة

كان ذو البجادين يتيما فلما عمه الفقر كفله عمه فنازعته النفس إلى الإسلام فهم بالنهوض فإذا بقية المرض مانعة فقعد على انتظار العم فانتهى المرض فصارت الهمة عزيمة فنفذ الصبر فناداه صدق الوجد." (٢)

"الفصل الحادي عشر

---

(١) المدهش ص/١٥٩

(٢) المدهش ص/١٧٦

أيتها النفس إقلعي عن الجناح وتوبي وراجعي إلى الصلاح وأوبي أيتها النفس قد شان شاني عيوبي أيتها الجاهلة تكفيني ذنوبي

(يا ويح نفسي من تتابع حوبتي ... لو قد دعاني للحساب حسيبي)

(فاستيقظي يا نفس ويحك **واحذري** ... حذرا يهيج عبرتي ونحيبي)

(واستدركي ما فات منك وسأبقى ... سطوات موت للنفوس طلوب)

(وابكي بكاء المستغيث واعولي ... أعوال عان في الوثاق غريب)

(هذا الشباب قد اعتللت بلهوه ... أفليس ذا يا نفس حين مشيبي)

(هذا النهار يكر ويحك دائبا ... يجري بصرف حوادث وخطوب)

(هذا رقيب ليس عني غافلا ... يحصي علي ولو غفلت ذنوبي)

(أوليس من جهل بأني نائم ... نوم السفيه وما ينام رقيبي)

آه لنفسي تركت يقينها وتبعت آمالها ما لها جهلت ما عليها وما لها أما ضربت العبر بأخذ أمثالها من لها إذا نازلها الموت فغالها وأخذ منها ما نالها وقد أنى لها ليتها تفقدت أمورها أو شہدت أحوالها تحضر المجلس بنية فإذا قامت بدا لها ويحها لو ترى اجزآءا من مالها لهالها

لأبن المعتز

(وكم دهى المرء من نفسه ... فلا تؤكلن بأنيابها)

(وإن مكنت فرصة في العدو ... فلا تبدو فعلك إلا بها)." (١)

"سمعك الأصوات فهل تسمع إلا فلانا مات أجل بصرك في الفلوات فهل ترى إلا القبور الدارسات

(قوض الموت طود عزهم الشامخ ... قسرا والدهر ذو حدثان)

(واسترد الذي أعار وللايام ... ظهرا خشونة وليان)

(واذا صاح صايح الموت في قوم ... غدوا كل واحد في مكان)

يا ساكنا مسكن من قد أزعج يا شاربا فضلة من شرق تصحو في المجلس ساعة من خمار الهوى ثم تسليك حميا الكاس هيهات ليس في البرق اللامع مستمتع لمن يخوض الظلمة كم أعطف عطفك بلجام العظة إلى عطفة اليقظة فإذا انقضى المجلس عاد الطبع ثاني عطفه وتأبى الطباع على الناقل يا من قد لجج في لجة الهوى قارب الساحل في قارب دنا رحيل الرفقة وما اشتريت للمير قوت ليلة كلما جد اللعب فتر

---

(١) المدهش ص/١٧٨

النشاط في الجد صحح نقدة عملك فقد انقرضت أيام الأسبوع جود غزل عزمك فلربما لم تسامح وقت الوزن صابر غبش العيش فقد دنا فجر الأجر

إنتبه الإغتنام عمرك فكم يعيش الحيوان مد بحر القدرة فجرى بمراكب الصور فرست على ساحل إقليم الدنيا فعاملت في موسم الحياة مدة الجزر ثم عاد المد فرد الى برزخ الترب فقذف محاسن الأبنية في حفر اللحود وسيأتي طوفان البعث عن قرب **فاحذر** أن تدفع دونك سفينة النجاة فتستغيث وقت الفوت ولا عاصم كأنك بك في قبرك على فراش الندم وأنه والله لأخشن من الجندل

فازرع في ربيع حياتك قبل جدوبة أرض شخصك وادخر من وقت قدرتك لزمان عجزك واعتبر رحلك قل رحيلك مخالفة الفقر في القبر إلى لازم الأخذ أن تقول نفس يا حسرتا

يا هذا مثل لنفسك صرعة الموت وما قد عزمت أن تفعل حينئذ وقت الأسر فافعله وقت الإطلاق." (١)

"إخواني كيف الأمن وهذا الفاروق يقول لو أن لي طلاع الأرض ذهبا وفضة لافتديت بها كيف الأمن من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر لما طعن عمر قال لابنه ضع خدي على التراب فوضعه فبكا حتى لصق الطين بعينيه وجعل يقول ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي ودخل عليه كعب وكان قد قال له أنك ميت إلى ثلاثة أيام فلما رآه أنشد

(وواعدني كعب ثلاثا يعدها ... ولا شك أن القول ما قاله كعب)

(وما بي **حذار** الموت أني لميت ... ولكن **حذار** الذنب يتبعه الذنب)

واعجبا من خوف عمر مع كماله وأمنك مع نقصانك قيل لابن عباس أي رجل كان عمر فقال كان الطائر الحذر الذي كان له بكل طريق شركا

يا مسدود الفهم بكثرة الشواغل احضر قلبك لحظة للعظة يا جامدا على وضع طبعه تحرك إلى قطر التذكرة يا عبد الطمع طالع ديار الأحرار ما أطول غشية غفلتك فلمن نحدث قلبك في غلاف غفلة وفطنتك في غشاوة غباوة وحبل عزمك الجديد حديد لو خرج عقرك من سلطان هواك عادت الدولة عادلة لو صح مزاج فطرتك حلا طعم النصح في فمك المفروض عندك مرفوض وكلام النصيح صوت الريح

يا تلميذ الهوى اخرج من وصف التبعية يا مقيد الوجود في فناء الفناء قامت قيامة الملامة وما تسمع لقد ضحل صوت النصيح ولكن صلخ صماخ السمع مانع

---

(١) المدهش ص/١٨٤

يا هذا لو وقف مرضك رجونا لك البرء ولكن المرض يزيد وقوة العزم تضعف

(متى يلتقي الآلاف والعيس كلما ... تصعد من واد هبطن إلى واد)." [١]

"الفصل السابع عشر

الدنيا دار المحن ودائرة الفتن ساكنها بلا وطن واللبيب قد فطن

للمصنف

(من مال إلى الدنيا وصبا ... قد أمعن في الفاني طلبا)

(خذ ما يبقى كيلا تشقى ... واتبع حقا ودع اللعبا)

(وذر الدنيا فلكم قتلت ... مكرا بسهام هوى وصبا)

(برت ورعت فإذا اجتمعت ... خدعت حتى قطعب إربا)

(يا عاشقها كم قد نصبت ... لهلاكك **فاحذرها** سببا)

(يا آمنها كم قد سلبت ... ولدا برا أما وأبا)

(أفأين الجار أما قد جار ... فجارته حتى ذهبا)

(أم أين التراب أما تربت ... خداه أما سكن التربا)

(كم خدت خدا في الأخدود ... وقدت قدا منتصبا)

(كم ثغر ملتثم ثلمت ... قد كان لراشفه ضربا)

(فسقته المر لدى جدث ... وكذاك الدهر إذا ضربا)

(وأتت قصرا يحوي نصرا ... فغدا وقصاراه خربا)

(ومليكا في صولة دولته ... اضحى في الحفرة مغتربا)

(عرج بامدار على الآثار ... وسل طللا أمسى شجبا)

(ينبيك بأنهم رحلوا ... وثوى من بعدهم الغربا)

(بينا الإنسان يرى رأسا ... فهوى رأسا فغدا ذنبا)

(فتأمل عاقبة الدنيا ... فلعلك تصبح مجتنبا)." [٢]

---

(١) المدهش ص/١٩١

(٢) المدهش ص/٢٠٢

"الفصل الثامن عشر

أيها المشغول باللذات الفانيات متى تستعد لملمات الممات متى تستدرك هفوات الفوات أتطمع مع حب الوسادات في لحاق السادات وأنى تجعلك مثلهم أنى وهيهات

(يا مدمن اللذات ناس غدرها ... اذكر تهجم هادم اللذات)

(احذر مكايده فهن كوامن ... في كرك الأنفاس واللحظات)

(تمضي حلاوة ما احتقبت وبعده ... تبقى عليك مرارة التبعات)

(يا حسرة العاصين يوم معادهم ... ولو أنهم سيقوا إلى الجنات)

(لو لم يكن إلا الحياء من الذي ... ستر الذنوب لأكثروا الحسرات)

يا عظيم الجرأة يا كثير الإنبساط ما تخاف عواقب هذا الإفراط يا مؤثر الفاني على الباقي غلطة لا كالأغلاط ألك صبر يقاوم ألم السياط ألك قدم يصلح للمشي على الصراط أيعجبك لباس الصحة كلا وثوب البلا يخاط داء المتون داء أعيى على بقراط كم رحل الموت على غارب اغتراب كم ألحق تربا بالأتراب في سفر التراب إنما الموت مخرنبق ليقول ومجرمز ليءول

(وكم من فتى يمسي ويصبح آمنا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري)

يا شدة الوجل عند حضور الأجل يا حسرة الفوت عند حضور الموت يا خجلة العاصين يا أسف المقصرين للحجاج." (١)

"(ولو نجا الهائب الجبان من ... الموت نجا في أقدامه البطل)

(ما أسلموا هذه النفوس إلى ... الأجداث إلا إذ ضاقت الحيل)

(ضرورة ذلت القروم لها ... وقد تقود المصاعب الجدل)

(ومن حذار تبوأ الكدية الضب ... وأوفى الشواهق الوعل)

(يقاد في عزه الخبعثنة الضاري ... ويدهي في ذله الجعل)

(وهل يرد الأحباب إن ظعنوا ... على محب أن يندب الطلل)

أخواني مر الأقران على مدرجة وخيول الرحيل للباقين مسرجة سار القوم إلى القبور هملجة وباتت أرواح من الأشباح مستخرجة إلى كم هذا التسويف والمجمجة بضائعكم كلها بهرجة وطريقكم صعبة عوسجة

---

(١) المدهش ص/٢٠٦

وستعرفون الخبر وقت الحشرجة

يا من قد ساخ في أوساخ إلى كم تملى تعبت النساخ يا من ضيع الشباب وما يسمع العتاب وقد شاخ بادر صبابة القوى فاستدرك باقي الطباخ وتأهب للرحيل فما هذه الدنيا بمناخ كم بات مزمار في بيت فأصبح فيه الصراخ أين من حصن الحصون واحترس وعمر الحدائق واحترس ونصب سرير الكبر وجلس وظن بقاء للنفس فخاب الظن في نفس نازله الموت فلما أنزله عن ظهر الفرس فرس ووجه وجهه إلى ديار البلى فانطمس وتركه في ظلام ظلمة بين العيب والدنس فالعاقل من بادر الندامة فإن السلامة خلس

لابن المعتز

(إلا من لقب في الهوى غير منته ... وفي الغي مطواع وفي الرشد مكره)

(أشاوره في توبة فيقول لا ... فإن قلت تأتي فتنة قال أين هي)." (١)

"سابقة القدر قضت لقوم بدليل ﴿سبقت لهم﴾ وعلى قوم بدليل ﴿غلبت علينا﴾ تلقيح ﴿سبقت﴾ نور قلوب الجن ﴿فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ وخذلان ﴿غلبت﴾ أعمى بصائر قريش ﴿قالوا أساطير الأولين﴾ إذا هزت صوارم القدر تقلقلت رقاب المقربين غضب على قوم فلم تنفعهم الحسنات ورضي عن قوم فلم تضرهم السيئات ما نفعت عبادة إبليس ولا ضر عناد السحرة

هبت عواصف الأقدار في بيداء الأكوان فنقلت الوجود وعم الخبر فلما ركدت الريح إذا أبو طالب غريق في لجة الهلاك وسلمان على ساحل السلامة والوليد بن المغيرة يقدم قومه في التيه وصهيب قد قدم بقافلة الروم وأبو جهل في رقدة المخالفة وبلال ينادي الصلاة خير من النوم لما قضيت في القدم سلامة سلمان أقبل يناظر أباه في دين قد أباه فلم يعرف أبوه جوابا إلا القيد وهذا الجواب المرذول قديم من يوم ﴿حرقوه﴾ فنزل به ضيف ﴿ولنبلونكم﴾ فنال بإكرامه مرتبة سلمان منا سمع أن ركبا عزى نية السفر فسرق نفسه من حرز أبيه ولا قطع فوقف نفسه على خدمة الأدلاء وقرف الأذلاء فلما أحس الرهبان بانقطاع دولتهم سلموا إليه أعلام الأعلام على علامات نبينا وقالوا أن زمنه قد أظل فاحذر أن تضل وأنه يخرج بأرض العرب ثم يهاجر إلى أرض بين حرتين فلو رأيتموه قد فلى الفلا والدليل شوقه وخلى الوطن خلاء يزعجه توقه

لأبي العلاء المعري

---

(١) المدهش ص/٢١٢

(وأبغضت فيك النخل والنخل يانع ... واعجبني من حبك الطلح والضال)

(وأهوى لجراك السماوة والغضا ... ولو أن ضيفيه وشاة وعذال)." (١)

"(عجبت لما رأتني ... أندب الربع المحيلا)

(واقفا في الدار أبكي ... لا أرى إلا الطلولا)

(كيف نبكي لأناس ... لا يملون الذميلا)

(كلما قلت إطمأنت ... دارهم صاحوا الرحيلا)

كان بعض الصالحين يتستر بإظهار الجنون فتبعه مريد فقال له والله ما أبرح حتى تكلمني بشيء ينفعني فإني قد عرفت تسترك فسجد وجعل يقول في سجوده اللهم سترك فمات

(أسميك سعدى في نسيبي تارة ... وآونة اسما وآونة لبنى)

(حذارا من الواشين أن يسمعوا بنا ... وإلا فمن سعدى لديك ومن لبنا)." (٢)

"فمك بقفل صمتك واطو طيلسان لسانك عن بذلة نطقك واغمض عينك عن عيبك حفظا لدينك واكفف كفك مكتفيا بما كفك وابن منبر التذكير لواعظ القلب في ساحة الصدر وناد في شجعان العزائم ورهبان الفكر هلموا إلى عقد مجلس الذكر واحذر عين العدو أن يوقع تشتيت الهم في جمع العزم فإن رماك القدر بسهم الفتور عن قوس الحكمة من يد لكل عامل فترة فاتق بجنة الإعتذار فإن ألقى كرة قلبك إلى صولجان التقليب في بيداء المؤمن مفتن فجل في ميدان الدل فإن دب ذئب الهوى فعاث في مزرعة التقى فأقم ناطور القلق فإن أفلت دجال الطبع فأقام صليب الزلل واطلق خنزير الشره فالجأ إلى حرم التوبة واستغث بعيسى العون لعله ينزل من سماء الألطاف فيهلك الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب إجلس ليلة على مائدة السحر وذق طعام المناجاة تنسيك كل لذة أرواح الأسحار لا يستنشقها من كوم غفلة إنها لتأتي بألطاف الحبيب ثم تعود فيحاء تطلب رسالة فمن لم يكتب كتابا فماذا يبعث لو وقفت على جادة التهجد ليلة لرأيت ركب الأحباب لو سرت في أعراض القوم لحرك قلبك صوت الحداة أقبلت رياح الأسحار فاحتشمت تقبيل أقدامهم وذكت أذيال أثوابهم

للشريف الرضى

(وامست الريح كالغيرى تجاذبنا ... على الكثيب فضول الريط واللمم)

---

(١) المدهش ص/٢١٣

(٢) المدهش ص/٢٣٩

(يشي بنا الطيب أحيانا وآونة ... يضيئنا البرق مجتازا على أضم)

(يولع الطل بردينا وقد نسمت ... رويحة الفجر بين الضال والسلم)." (١)

"شبه الحباحب وفي تبذير العمر رفيق حاتم تمشي في الأمل على طريق أشعب وستندم ندامة الكسعي يا عذري الهوى في حب الدنيا يا كوفي الفقه في تحصيلها يا بصري الزهد في طلب الآخرة إنما يتعب في تعليم البازي ليصيد ماله قدر ولما تعلم بازي فكرك أرسلته على الجيف

ويحك تفكر قبل سلوك طريق الهوى في كثرة المعاثر والصدمات أوما المكروهات في طي المحبوبات كوامن يا مطلقا نفسه في محظور شهواتها أذكر الغمس في الرمس يا ذا البال الناعم فوق الأرض أذكر الناعم البالي تحتها أتلفق والزمان يفرق أتؤلف والحدثان يمزق أتصفي والدهر يرنق أتؤمل والموت معوق ويحك إن القاصد قاصم وما للعاصي عاصم أنت في أرباب الذنوب غريق وفي روم الهوى بطريق **فاحذر** عقاب الأكابر يا قليل الخبرة بالطريق أطلب رفقة إذا لم تعرف القبلة بالعلامات ففي المساجد محاريب إذا رأيت قطار التائبين متصلا فعلق عليه

(أهل الغرام تجمعوا ... فاليوم يوم عتابنا)

(نعق الغراب ببيننا ... فغرابنا اغرى بنا)

(إن الذين نحبهم ... قد وكلوا بعذابنا)

(قوموا بنا بحياتكم ... نمضي إلى أحبابنا)

(قوم إذا ظفروا بنا ... جادوا بعتق رقابنا)

من مشى إلي هرولت إليه دعوناك بالوسائط فلم تحضر فأتى المرسل ينزل إلى السماء النظر متشابه والذوق محكم

(ولما رأيت الحب قد جسره ... ونودي بالعشاق قوموا بنا فاسروا)

(خرجت مع الأحباب كيما احوزه ... فصادفني الحرمان وانقطع الجسر)

(ومالت بنا الأمواج من كل جانب ... ونادى مناد الحب قد غرق الصبر)." (٢)

"(لما أتونا والشيب شافعهم ... وقد توالى عليهم الخجل)

(قلنا لتلك الصحائف انقلبي ... بيضا فإن الشيوخ قد عقلوا)

---

(١) المدهش ص/٢٤٩

(٢) المدهش ص/٢٦١

يا معاشر الشباب إنتبهوا القوى في التقوى فلو قد حل المشيب حل التركيب إذا هلك أمير الشباب وقع الشتات في العسكر الشباب رياض والشيب قاع قفر فاستصحبوا الزاد قبل دخول الفلاة

يا قومنا الفوائد فوايت كف من تبذير يوذي فكيف ببيذر من رعونة إذا كانت القلوب عقما عن الفكر واتفقت عنة الفهم فلا وجه لنسل الفضائل الخوف ذكر والرجاء أنثى ومخنث البطالة إلى الأناث أميل من زرع بذر العمل في أرجاء الرجا ولم تقع عليه شمس الحذر جاءت ثماره فجة الجاهل ينام على فراش الأمن فيثقل نومه فتكثر أحلام أمانيه والعالم يضطجع على مهاد الخوف وحارس اليقظة يوقظه من فهم معنى الوجود علم عزة النجاة النفس طائر قد أرسل من عبادان التعبد محملا كتاب الأمانة إلى دار الملك والعدو قد نصب له صنوف الإشراك يروح في ضمنها الحب المحبوب فإن تم كيده فهو صيده وإن خبر الخبر عبر يا أطيار الفهوم **احذري** مراعي الهموم فثم عقبان التلف ومن نجا منها بعد المحاربة أفلت مكسور الجناح واعجبا لبلبل الفطنة كيف اغتر بفخ الفتنة للشريف الرضى

(يا قلب كيف علقت في اشراكهم ... ولقد عهدتك تفلت الاشراكا)

(لا تشكون إلى وجدا بعدها ... هذا الذي جرت عليك يداكا)

من حدق بصره إلى طرف الدنيا طرفت عينه من أصغى إلى حديث الهوى أورثه الصمم عن النصائح خست همة فرعون فاستعظم الحقير ﴿أليس لي ملك مصر﴾ يا دني النفس حمارك ينهق." (١)

"الفصل الثامن والثلاثون

ألا يعتبر المقيم منكم بمن رحل ألا يندم من يعلم عواقب الكسل أه لغافل كلما جد الموت هزل ولعاقل كلما صعد العمر نزل

(أعد على فكرك أسلاف الأمم ... وقف على ما في القبور من رمم)

(وناديهم أين القوي منكم ... القاهر أم أين الضعيف المهتضم)

(تفاصلت أوصالهم فوق الثرى ... ثم تساوت تحته كل قدم)

(قبر البخيل والكريم واحد ... ما نفع البخل ولا ضر الكرم)

(واعجبا لغافل أمامه ... هجوم ما لا يتقي إذا هجم)

(إذا تخطاه على عهد الصبي ... أو الشباب لم يفته في الهرم)

---

(١) المدهش ص/٢٧٢

(أما كفى الإنسان موت بعضه ... وهو المشيب المستطير في اللمم)

(أي خليلين أقاما أبدا ... ما افترقا وأي حبل ما انصرم)

(إن النجوم الدائرات أبدا ... تضحك من مبتسم إذا ابتسم)

أخواني بادروا آجالكم وحاذروا آمالكم آمالكم عبرة فيمن مضى آمالكم ما هذا الغرور الذي قد أمالكم ستتركون على رغم آمالكم مالكم

أخواني صدقتم الأمل فكذبكم وأطعتم الهوى فعذبكم أما أنذركم السقم بعد الصحة والترحة بعد الفرحة في كل يوم يموت من أشباحكم ما يكفي في نعي أرواحكم ويحل بعقوقكم وفنائكم ما يخبركم عن شتاتكم وفنائكم فخذوا حذركم قبل النوائب فقد أتيتم من كل جانب وتذكروا سهر أهل النار في النار **واحذروا** فوت." (١)

"الفصل التاسع والأربعون

عجبا لراحل عن قليل غافل عن زاد الرحيل لا يعتبر بأخذ الجيل وإنما هو تأخير وتعجيل أين النزيل أزيل أين القويم أميل أين المطمئن اغتيل

(إن الليالي لا تبقى على حال ... والناس ما بين آمال وآجال)

(كيف السرور باقبال وآخره ... إذا تأملته مقلوب إقبال)

تيقظوا فالأيام دائبة وتحفظوا فالسهام صائبة **واحذروا** دنياكم فما هي مواتية واذكروا اخراكم فها هي آتية أما رأيتم الدنيا فقد أبانت خدعها ومكرها إذا بانت من جمعها مكرها أين الارتياد للسلامة غدا أين الاستعداد قبل الندامة أبدا كأنكم بالمسير عن الربع قد أزف وبالكثير من الدمع قد نزف وبالمقيم قد أبين مما ألف وبالكريم قد أهين لما تلف

(يا طالب الدنيا دنا فراقها ... تزويجها أسرع أم إطلااقها)

(ودين من يخطها صداقها ...)

عباد الله من تعلق قلبه بالجنة لا يصلح لنا فكيف بمن يهوى الدنيا

---

(١) المدهش ص/٢٨٥

(أردناكم صرفا فلما مزجتم ... بعدتم بمقدار التفاتكم عنا)

(وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا ... فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا)." (١)

"الفصل الثالث والخمسون

يا طويل الأمل في قصير الأجل يا كثير الزلل في يسير العمل خلا لك الزمان وما سددت الخلل أفما عندك وجل من هجوم الأجل

(تجهز إلى الأجداث ويحك والرمس ... جهازا من التقوى لا طول ما حبس)

(فإنك ما تدري إذا كنت مصبحا ... بأحسن ما ترجو لعلك لا تمسى)

(سأتعب نفسي أو أصادف راحة ... فإن هوان النفس أكرم للنفس)

(وازهد في الدنيا فإن مقيمها ... كظاعنها ما أشبه اليوم بالأمس)

يا معاشر الأصحاء اغتنموا نعمتي السلامة والإمهال **واحذروا** خديعتي المنى والآمال قد جربتم على النفس تبذيرها في بضاعة العمر فانتبهوا لانتهاب الباقي ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ الدنيا حلم يقظة ويوم الحساب تفسير الأضغاث أيام معدودة وسيفنى العدد وطريق صعبة على قلة العدد وقد سار الركب ولاح الجدد أترى تظن أن تبقى على الأبد أما يعتبر بالوالد الولد أين المتحرك في الهواء همد أين اضطرام تلك النار خمد أين ماء الأعراض الجاري جمد تساوي في الممات الثعلب والأسد وشارك الوهى بين الحديد والمسد وجمع التلف عنقاء مغرب والصرد واستقام قياس النقض للكل وأطرد أفلا ينتبه من رقدته من قد رقد يا شاربين من منهل أبوى شرب الهيم يا جاعلين نهار الهدى." (٢)

"الفصل الخامس والستون

أخواني اعرفوا الدنيا وقد سلمتم ثم اعملوا فيها بما عملتم لا يغرنكم منها الوفر فإنكم فيها سفر أما بعد توطئة المهاد الحفر أتتوطن مني وتنسى النفر

(أرى الدنيا وما وصفت ببر ... متى أغنت فقيرا أرهقته)

(إذا خشيت لشر عجلته ... وإن رجيت لخير عوقته)

---

(١) المدهش ص/٣٢٦

(٢) المدهش ص/٣٤٢

(تعلقها ابن جهل في صباه ... فهام بفارك ما علقته)

(سقته زمانه مقرا وصابا ... وكأس الموت آخر ما سقته)

(أبادت قصر قيصر ثم جازت ... بإيوان ابن هرمز فارتقته)

(أما افتتحت له في الأرض بيتا ... فآوته النزيل وأطبقته)

(إذا انفلت إبنها عنها بزهد ... ثنته بزخرف قد نمقته)

أترى لم تنفع التجارب أما ترون الدنيا كيف تحارب ألا تلقون حبلها على الغارب أما سيف الهلاك في يد الضارب تالله لقد جلا صبح اليقين ظلام الغياهب الأعزم زاهد يتوكأ على عصا راهب

(ودنياك إن وهبت باليمين ... يسار الفتى سلبت باليسار)

أخواني **احذروا** الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ذانك يفرقان بين المرء وزوجه وهذه تفرق بين العبد وربه وكيف لا وهي التي سحرت سحرة بابل إن أقبلت شغلت وإن أدبرت قتلت." (١)

"العقوبة فدع الدعة تمضي في غير الدعة والله ما تساوي لذة سنة غم ساعة فكيف والأمر بالعكس كم في يم الغرور من تمساح **فاحذر** يا غائض يا من قد أمكنه الزمان من حركات التصرف في العدل فما يؤمن من الزمن الزمن

(ومنى بلغت إلى الرئاسة فاستلب ... كرة العلى بصوالج المعروف)

كان عمر يخاف مع العدل يا من يأمن مع العدول رؤى بعد موته بإثنتي عشرة سنة فقال الآن تخلصت من حسابي واعجبا أقيم أكثر من سنى الولاية أفينتبه بهذا راقد الهوى أحسن شعائر الشرائع العدل الظلم ظلمة في نهار الولاية وجدب يرعى لحوم الرعية والعدل صوت في صور الحيوة يبعث به موتى الجور أيها الظالم تذكر عند جورك عدل الحاكم تفكر حين تصرفك في سرفك عجبا لك تدعي الظرف وتأخذ المظروف والظرف كلا أو في الظرافة رأفة ستعلم أيها الغريم قدر غرامك إذا يلتقي كل ذي دين وماطله من لم يتبع بمنقاش العدل شوك الظلم من أيدي التصرف أثر ما لا يؤمن تعديه إلى القلب

يا أرباب الدول لا تعربدوا في سكر القدرة فصاحب الشرطة بالمرصاد سليمان الحكم قد حبس آصف العقوبة في حصن ﴿فلا تعجل عليهم﴾ وأجرى رخاء الرجاء ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾ فلو قد هبت سموم الجزاء من مهب ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ قلعت سكر ﴿أنما نملي لهم﴾ فإذا طوفان التلف ينادي فيه نوح ﴿لا عاصم﴾ فالحذر الحذر قبل ﴿أن تقول نفس يا حسرتى﴾ ﴿ولات حين مناص﴾ وأنت

---

(١) المدهش ص/٣٨٦

أيها المظلوم فتذكر من أين أتيت فإنك لا تلقى كدرا إلا من طريق جناية ﴿لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾." (١)

"إنتبه للرحيل ثم أشدد الرحل واستبدل خصب المراب عن قحل المحل وتأمر على نفسك فللنخلل فحل

(أترك الشر ولا تأمن بشر ... وتواضع إنما أنت بشر)

(هذه الأجسام ترب هامد ... فمن الجهل افتخار واشر)

(جسد من أربع يلحظها سبعة ... من فوقها في إثني عشر)

(في حياة كخيال طارق ... شغل الفكر وخلاك ومر)

تالله لقد كشفت الغير ما انسدل فلم يبق مرآء ولا جدل هذا حمام الحمام قد هدل فكم صرخ صوته وكم جدل يا جائرين احذروا ممن إذا قضى عدل واعلموا أن الآخرة ليس منها بدل هذا هو الصواب لو أن المزاج اعتدل يا من عمره كزمان الورد إلتقط واعتصر لا في زور يا شمس العصر على القصر قد بلغ مركبك ساحل الأجل ووقف بعيرك على ثنية الوداع وقاربت شمس عمرك الطفل وبقي من ضوء الأجل شفق فاستدرك باقي الشعاع قبل غروب الشمس

(أينفق العمر في الدنيا مجازفة ... والمال ينفق فيها بالموازين)

البدار البدار قبل الفوت الحذار الحذار قبل الموت ما في المقابر من دفين إلا وهو متألم من سوف يا هذا متى تبت بلسانك وما حللت عقد الإصرار من قلبك لم تصح التوبة كما لو سكنت الأمراض بغتة من غير استفراغ فإن المرض على حاله

يا هذا إذا لم يتحقق قصد القلب لم يؤثر النطق باللفظ إن المكره على اليمين لا تنعقد يمينه إنما الأعمال بالنيات وقلبك كله مع الهوى إن في البدن مضغة إذا صلحت صلح البدن." (٢)

"واعجبا لنفس ما تنتبه وقد زلت كلما عقدنا عقدة تنفعها حلت كم مستيقظ وقد فات الوقت ينظر إلى نفسه بعين المقت ويصيح بنصيحه لقد ضدقت وينادي الكسل أنت الذي عوقت فيجيبه أنت من سكرك ما أفقت كم قدم إلى القبور قادم كلهم على فراش الندم نادم

(أطاعوا ذا الخداع وصدقوه ... وكم نصح النصيح فكذبوه)

---

(١) المدهش ص/٣٨٨

(٢) المدهش ص/٤٧٨

(ولم يرضوا بما سكنوا مشيدا ... إلى أن فضضوه وأذهبوه)

(ألظوا بالقبيح وتابعوه ... ولو أمروا به لتجنبوه)

(نهاهم عن طلاب المال زهد ... ونادى الحرص ويلكم اطلبوه)

(فألقاها إلى أسماع غشر ... إذا عرفوا الطريق تنكبوه)

(وحبل العيش منتكث ضعيف ... ونعم الرأى أن لا تجذبوه)

(حسبتم يا بني حواء شيئا ... فجائكم الذي لم تحسبوه)

(أديل الشر منكم **فاحذروه** ... ومات لخير فيكم فاندبوه)

إلى كم بالهوى تغري وتلهج أنسيت أنك عن محبوبك تزعج تفكر في حلة من البلى لك تنسج يا من بضاعته كلها بهرج ضيقت على نفسك فلا م خرج إنتبه سريعا فالخيول تسرج

(ولم يبق من أيام جمع إلى منى ... إلى موقف التجمير غير أماني)

يا عبيد فلسه يا عدو نفسه تعانق الدنيا بيد الحرص عناق اللام للألف وتنزل الدرهم من القلب منزلة البرء من الدنف ترش ماء العيش حول الحانوت وتنظر إلى الدرهم لا فيه وتنصب ميزان البخس ومكيال التطفيف والغدر ثالثة الأثافي ويحك أتبحث عن حتفك بظلفك وتجدع بسيفك مارن أنفك ما أكرم نفسه قط من لم يهنها **فاحذرها** فكل ما يجري عليك منها حاسبها قبل يوم الحساب وزنها وخف شين شينها إن شئت عزها وزنها واحفر لها زبية العزلة وإن أبت فادفنها." (١)

"سلامي عليكم كيف حالكم ... وهل عندكم من وحشة البين ما عندي

سبق العلم بنبوة " موسى " و " إيمان " آسية " فسيق تابوته إلى بيتها، فيه طفل منفرد عن أم إلى امرأة خالية عن زوج.

قرينان مرتعنا واحد

لما قضيت في القدم سلامة " سلمان " حملته صبا الصبا نحو الدين، كان أبوه على اعتقاد المجوس، فعرج به دليل التوفيق إلى دير النصارى، فأقبل يناظر أباه فلم يكن لأبيه جواب القيد، وهذا الجواب المرذول قديم من يوم (أنا أحيي وأميت) ، (ثم نكسوا) (قالوا حرقوه) فنزل في البداية ضيف (ولنبلونكم) ولولا مكابدة البلاء ما نيلت مرتبة (رب أشعث أغبر، لو أقسم على الله لأبره) فسمع أن ركبا على نية السفر، فسرق نفسه من حرز أبيه ولا قطع، فركب راحلة العزم يرجو إدراك مطلب الغنى، وغاص في مقر بحر البعث ليقع على

---

(١) المدهش ص/٥٣٠

بدرة الوجود، فصاح به الهوى: إلى أين؟ فقال (إني ذاهب إلى ربي) وقف نفسه على خدمة الأدلاء، وقوف الأذلاء.

فلما أحس الرهبان بانقراض دولتهم، زوده سفره إلى طلب علم الأعلام على علامات نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، وقالوا: قد آن زمانه وأظل، **فاحذر** أن تضل، فإنه يخرج بأرض العرب، ثم يهاجر إلى أرض بين حرتين، فلو رأيته قد فلى الفلاة، والدليل شوقه، والحنين يزعجه، والتلهف يقلقه

وأبغضت فيك النخل والنخل يانع ... وأعجبني من حبك الطلح والضال

وأهوى لجرال السماوة والفضى ... ولو أن صنفية وشاة وعذال

رحل مع رفقة لم يرفقوا به (فشروه بثمن بخس) فاشتراه يهودي بالمدينة، فانجبر انكسار رقه بإنعام " سلمان منا " وتوقد شوقه برؤية الحرتين، وما علم المنزل بوجد النازل.

أيدري الربع أي دم أراقا ... وأي قلوب هذا الركب ساقا؟

لنا ولأهله أبدا قلوب ... تلاقى في جسوم ما تلاقى!!

فبينما هو يكابد ساعات الانتظار جاء البشير بقدوم الرسول، و " سلمان " في رأس نخلة، فكاد القلق يلقيه لولا أن الحزم أمسكه، كما جرى يوم (إن كادت لتبدي به) ثم عجل النزول ليلقي ركب البشارة، وأي ثبات بقي ليعقوب في حال (إني لأجد) .

خليلي م، نجد قفاني على الربافقد هب م، تلك الرسوم نسيم طف صالح به المالك: مالك وهذا؟ انصرف إلى شغلك.

كيف انصرافي ولي في داركم شغل ثم أخذ يضربه، فأخذ لسان حال المشوق يترنم، لو سمع الأطروش؟

خليلي لا والله ما أنا منكما ... إذا علم من آل ليلى بدا ليا

الفصل السادس

تتجافى جنوبهم عن المضاجع

سفر الليل لا يطيقه إلى مضمر المجاعة، تجتمع جنود الكسل فتتشبث بذيل التواني، فتزين حب النوم، وتزخرف طيب الفراش، وتخوف برد الماء، فإذا ثارت شعلة من نار الحزم، أضاءت بها طريق القصد، فسمعت أذن اليقين هاتف: هل من سائل؟

فقمت أفرش خدي في الطريق له ... ذلا وأسحب أجفاني على الأثر

نفس المحب في الليل على آخر نفس، وفي " المتعبدين قوة " وهم يستغفرون صراخ الأطفال غير بكاء

الرجال، سهر الليل هودج الأحباب، يوقظ نسيم الأسحار أعين ذوق الأخطار، فلو رأيتهم

وقد لاحت الجوزاء وأنحدر النسر

قد افترشوا بساط " قيس " وباتوا بليل " النابغة " إن ناموا توسدوا أذرع الهمم، وإن قاموا فعلى أقدام القلق، كأن النوم حلف على جفاء أجفانهم

هذا رضاك نفى نومي فأرقني ... فكيف يا أملي إن كنت غضبانا

مازالوا على مطايا الأقدام إلى أن نم النسيم بالسحر، وقام الصارخ ينعي الظلام، فلما تمخض الدجى بحمل السحر، تساندوا إلى رواحل الإستغفار.

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

رياح الأسحار أقوات الأرواح، رقت، فراقت، فبردت حر الوجد، وبلغت رسائل الحب.

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... لقد زادني مسراك وجدا على وجد

مكروب الوجدن يرتاح إلى النسيم، وإن قلقل الواجد.." (١)

"إذا كان " بنيامين " نسب إلى السرقة، فأي وجه لخلاص يرجى.

رؤي " عمر " بعد موته باثنتي عشرة سنة فقال: الآن تخلصت من حسابي واعجبا أقيم للحساب أكثر من سني الولاية، أفينتبه بهذا راقد الهوى؟.

يا متلطخا بأقذار الظلم، بادر الغسل من مد العوافي قبل أن يجزرك، لا يغرنك عيش أحلى من العسل، فالمحاسبة أمر من العلقم، ستعلم أيها الغريم قدر عزيمك.

إذ يلتقي كل ذي دين وماطله الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب، ليت الحلال سلم، فكيف الحرام؟ كان لبان يخلط اللبن بالماء، فجاء سيل فأهلك الغنم، فجعل يبكي ويقول: اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا.

ولسان الجزاء يناديه " يداك أوكتا وفوك نفخ ".

كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة، واحترقت كبد يتيم؟ (ولتعلمن نبأه بعد حين) واعجبا من الظلمة كيف ينسون طي الأيام سالف الجبابرة، وما بلغوا معشار ما آتيناهم، أما شاهدوا مآلهم؟ (فكلا أخذنا بذنبه) أما رحلوا عن أكوار الندم؟ (فما بكت عليهم السماء والأرض) أما صاح هاتف الإنذار؟ (كما تركوا من جنات وعيون) واعجبا للمغترين (وقد خلت من قبلهم المثلات) أما يكفيهم من الزواجر (وتبين لكم كيف فعلنا

---

(١) اللطائف ص/٤

بهم) من لهم إذا طلبوا وقت العود؟ (فحيل بينهم وبين ما يشتهون) كم دار بنعم النعم دارت عليها دوائر النقم؟ (فجعلناها حصيدا) ؟ يا معاشر الظلمة: " سليمان " الحكم قد حبس " آصف " العقوبة في سجن (فلا تعجل عليهم) وأجرى الرجاء (لئلا يكون للناس على الله حجة) فلو ذهبت سموم الجزاء من مهب (ولئن مستهم نفحة) لقلعت سكر (إنما نملي لهم) (فلا يستطيعون توصية) .

فالحذر الحذر (أن تقول نفس يا حسرتى) (ولات حين مناص) أبقي في قوس الزجر منزع (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) .

سفينة التقى تحتاج إلى إحكام تام، ولليم منافذ صغار في الدسر، فاحكم تلك البقاع بقار الورع، هيهات قد خرقتها بالكبائر، وما تتنبه لما صنعت حتى يصيح " نوح " الأسى (لا عاصم) يا هؤلاء: فتعاش العدل إذا لم ينتزع شوك الظلم أثر ما لم يؤمن تعديه إلى القلب، لا تعربوا في سكر القدرة، فصاحب الشرطة بالمرصا.

ويحكم، لا تحتقروا دعاء المظلوم، فشرار نار قلبه محمول بريح دعائه إلى سقف بيت الظالم، نباله تصيب، نبله غريب، قوسه حرقه، وتره قلهه، مرماته هدف، (لأنصرنك ولو بعد حين) سهم سهمه الإصابة.

وقد رأيت وفي الأيام تجريب

الفصل العاشر

العمل للآخرة

إخواني ارفضوا الدنيا فقد رفضت من كان أشغف بها منكم، اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، الدنيا خمر ساعدها تغريد طائر الطبع فاشتد سكر الشاربن ففات موسم الريح، ثم بعد الإفاقة يقام الحد، فيقيم قائم الحزن، ويكفي في الضرب فوت الخير فإذا ماتوا انتبهوا.

ويحك، إن الموت سحاب، والشيب وبله، ومن بلغ السبعين اشتكى من غير علة، والعاقل من أصبح على وجل من قرب الأجل، يا هذا: الدنيا وراءك، والأخرى أمامك، والطلب لما وراء هزيمة، وإنما العزيمة في الإقدام، جاء طوفان الموت فاركب سفن التقى، ولا ترافق "كنعان " الأمل، ويحك، انتبه لإغتنام عمرك، فكم يعيش الحيوان حيران؟.

الأسقام تزعج الأبدان فلا بد من النحول ضرورة، كأنك بك في لحدك على فراش الندم، وإنه والله لأخشن من الجندل، فازرع في ربيع حياتك قبل جدوبة أرض شخصك، وادخر من وقت قدرتك قبل زمان عجزك، وأعتد رحلك قبل رحيلك مخافة الفقر في القفر إلى الأزم، **الحذار الحذار** (أن تقول نفس يا حسرتى) .

الحازم يتزود لما به، قبل أن يصير لمآبه، شجرة الحزم أصلها إحكام النظر، وفروعها المشاورة في المشكل، وثمرتها انتهاز الفرص، وكفى بذهاب الفرصة ندما.

وكم فرصة فاتت فأصبح ربها ... يعض عليها الكف أو يقرع السنا

واعجبا؟ لمضيع العمر في التواني، فإذا جاء متقاضي الروح قال (إني تبت الآن) (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) .." [١]

"يا جيرة الحي هبوا من رقادكم ... فلي حديث له مع سمعكم شغل

طريق الفضائل مشحونة بالبلاء، ليرجع عنها محنث العزم، إذا نزلت بالحازم بلية فوجد مذاقها مرا، أدار في الفكر حلو العواقب، فنسخ وسخ ما رسخ. العاقل صابر للشدائد لعلمه بقرب الفرج، والجاهل على الضد، كما أن النار إذا اشتعلت في حطب الزيتون لم يدخن، بخلاف السوس، ألا إن الطبع طفل، والعقل بالغ.

وعاقبة الصبر الجميل جميلة ... فلا تسأمن الصبر واصبر لعلها؟؟.

الفصل السابع والعشرون

الدنيا لا تصلح للتوطن

إخواني: الدنيا ملتقى الوداع، فاصبروا لما مر منها فكأن قد مر، **واحذروا** شرها فقد سحرت سحرة بابل، مكارهها في غصون المحبوب وأعقابه، ما أمسى أحد منها في جناح آمن، إلا أصبح على قوادم خوف.

وكم سلبتك حبيبا ... وأنت على حبها أفيق

أفق قد أفاق الوامقون وقد أني ... لدائك أن يلقى طبيبا يلائمه

أفنيت عمرك في طلبها، وما حصل بيدك إلا ما ح‍صل بيد " المجنون " من " ليلى ".

صحا كل عذري الغرام من الهوى ... وأنت على حكم الصبابة نازل

تصحو في المجلس من خمار الدنيا ساعة ثم تستبيك حميا الكاس، وليس في البرق اللامع من مستمتع، لمن يخوض الظلمة، كما أعطف عطفك بلجام اليقظة، فإذا انقضى المجلس عاد الطبع ثاني عطفه.

وتأبى الطباع على الناقل جسمك عندنا، وقلبك غائب عنا، عزمك في طلب الدنيا، وتشتهي نيل الآخرة.

هواها ورواها والسرى من أمامها ... فهن صيحات النواظر حول

الدنيان مفازة لا تصلح للتوطن، إن البيدر إذا صفي حمل إلى دار الإقامة.

واعجبا لمن أطال الوقوف على القنطرة حتى نسي اسم البلد، ويحك. كسب الدنيا لذيذ غير أن الحساب

---

(١) اللطائف ص/٧

عليها شديد، ساعة الحمل لعب، والجد في الولادة. نثار السكر في مبدأ العقد. مزاج لمرارة الوضع. الدنيا كامرأة فاجرة لا تثبت مع زوج فلذلك عيب طلابها.

ميزت بين جمالها وفعالها ... فإذا الملاحة بالخيانة لا تفي

حلفت لنا أن لا تخون عهودها ... فكأنما حلفت لنا أن لا تفي

الدنيا قنطرة على بحر الهلاك، فخذوا بالحزم في تعلم السباحة قبل الجواز، فما تأمن عثور قدم ولا عاصف قاصف، **احذرها** آمن ما تكون منها، وانتظر حزنها أسر ما تكون منها.

إذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن أن الليث يبتسم

الدنيا دار ابتلاء تشبه قصر مصر، استبق لاباب فيها " يوسف " الصبر، و " زليخا " الهوى، وقمص الأعمال تعرض على " يعقوب " الشفاعة، فمن رأى قميصه قد قد من قبل قال: سحقا سحقا، ومن رأه قد قد من دبر قال: ادخرت شفاعتي.

فيامن قد ألقاه الهوى في جب حب الدنيا، سيارة القدر تبعث كل ليلة وارد: (هل من سائل؟ " فكن متيقظا للوارد إذا أدلى دلو التخليص، وقم على قدم (تتجافى) وامدد أنامل (يدعون ربهم) وألق ما في يمينك لتتعجل الخروج، ولا تتشبث بأرجاء بئر الهوى، فإنها رمل تنهار عليك، فإذا تخلصت بعزائمب الإنابة **فاحذر** من الطريق المسبعة، وسر في مصباح اليقين خلف دليل الهوى: فعند الصباح يحمد القوم السرى.

الفصل الثامن والعشرون

اقترب للناس حسابهم

صاح بالصحابة واعظ (اقترب للناس حسابهم) فجزعت للخوف قلوب، فجرت للحزن عيون (فسالت أودية بقدرها) .

رمى " الصديق " ماله حتى ثوبه على " المدكر " وتخلل بالعبا، وقال " عمر ": ليتني كنت نبة؟؟ وقال عثمان: ليتني إذا مت لا أبعث.

صاح " علي " بالدنيا: طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، وقد كانت تكفي واحدة، لكنه كيلا يتصور الهوى جواز المراجعة، وطبعه الكريم يأنف من المحلل.

وقال: " أبو الدرداء ": ليتني كنت شجرة تعضد.

وقال " عمران بن حصين " ليتني كنت رمادا.

أنت تسمع القرآن لكن لا كما سمعوه.

لو يسمعون كما سمعت كلامها ... خروا لعزة ركعا وسجودا." (١)

"يا هذا: لنا بك لطف يزيد على كل لطف، إذا تبت من الذنب أنسينا الملك ما كتب وإذا حاسبناك سترناك كيلا يرى الخلق اصفرار لونك بالخجل، يا طاهر الفطرة: لا تتدنس بأنجاس الزلل، شمر أذيال التقى عن مزبلة الهوى، واحذر رشاش الخطأ أن ينتضح أثواب النظافة.

وحل التكليف يحتاج إلى قوة التحرز، فانظر بين يديك (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات) فعيون العيون تغسل أدران القلوب.

كان أول أمرك سليما يوم (وأشهدهم على أنفسهم) فأصلح آخر أمرك تسامح في الوسط. يا طويل الغيبة عن وطن (ألست) أين حنين شوقك.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ماالحب إلا للحبيب الأول

يا معرضا عنا: بمن تعوضت؟ يا ملتفتا عنا: لماذا فوضت؟؟ قف على الدرب وأنشد ظعائن الغاديني.

ألا خبرونا أين زمت ركابكم ... وأين استقرت هوجكم ومطاكم

أنين المذنبين أحب إلي من زجل المسبحين.

المطيع يدل بالعمل، والمذنب ذليل بالزلل، والمخطىء يحرك أوتار الوجل، وينشد بتطريب الخجل.

من معيد ذي الأأثل أوما ... قل منها دينا علي وفرضا

سامحا بالقليل من أرض نجد ... ربما أقنع القليل وأرضى

واعجبا؟؟ يستقرض المالك قطرة من الدمع، وقد خلق سبعة أبحر (له ملك السموات والأرض) وقد بعث رسالة (من ذا الذي يقرض الله) الكبرياء ردائه، وهو يقول: جعت فلم تطعمني قطع أعناق الألسن أن تعترض بحسام (لا يسأل) ثم أقبل بإنعام؟ هل من سائل.

ما يسعه مسكسن، ويسعه قلب من تمسكن، غاب عن الأبصار، وبدا للبصائر.

واعجبا يتحبب إليك وهو عنك غني، وتتمقت إليه فقير، إن تأخرت قربك، وإن توانيت عاتبك، ما آثر عليك من المخلوقات شيئا، وأنت تؤثر عليه كل شيء، فنكس رأس الندم، قبل العتاب، فمالك عن هذا جواب.

صحائف عندي للعتاب طويتها ... ستنشر يوما والحساب يطول

---

(١) اللطائف ص/١٧

الفصل الحادي والثلاثون

تضرع الصالحين

لما رأى الصالحون سطوة الدنيا بأهلها، وتملك الشيطان قياد النفوس، لجأوا إلى حرم التضرع، كما يأوي الصيد المذعور إلى الحرم.

فلو رأيتهم يمشون في ثياب التجمل، عليهم قناع القناعة (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) ينامون ولا نوم الغرقى، ويأكلون ولا أكل الثكلى تأكل كل يوم المصيبة، ولكن هدم الحزن أكثر من بناء العزاء.

لو كانت لك عين بصيرة عرفت القوم، وخط الولاية على وجه الولي قلم هندي، لا يعرفه إلا عالم به، تلمح القوم بأعين البصائر العواقب، ولم يروا عائقا عن المطلوب سوى النفس، فتلطفوا لقهرها بحيلة لا يعرفها " ابن هند " ولا يعلمها " ابن العاص " فلما أسروها فتكوا فيها، ولا فتك ابن طملجم " قلوب أسود في صدور رجال

إنك لو رأيت ذا العزم منهم رأيت ليثا قد حورب

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه

هبت زعازع الفكر، فقلبت أرض القلوب، فألقى فيها بذر العزائم، فسقته مزن الجد، فدبت الأرواح في أغصان المعاملة، فظهرت أزهارها، إذا رأوا ذكر الله ففاح عبير النور، أطيب عرفا من مسك، فقويت بريحه نفوس المريدين.

لا يحصل خطير إلا بخطر، فاخنس في خيسك، يا مخنث العزم، الربح في ركوب البحر، الدر في قعر اليم، العلم في ترك النوم، الفخر في هجر النفس.

من يحب العز يدأب إليه، فكذا من طلب الدر غاص عليه، لولا التخلل بالعبا ما جاءت مدحة " أنا عنك راض " لأبي بكر " ولولا إرسال البراءة إلى الضرة: طلقتك ثلاثا، ما اشتاقت الجنة إلى " علي ".

لو قرب الدر على جلابه ... ما لج الغائص في طلابه

ولو أقام لازما أصدافه ... لم تكنن التيجان في حسابه

من يعشق العلياء يلق عندها ... ما لقي المحب من أحبابه

الفصل الثاني والثلاثون

الإيمان بالقدر." (١)

---

(١) اللطائف ص/١٩

"فيا " يوسف " الطلب: ذق مرارة الجب، وكمد الغيابة، وصابر رق البيع، ودار السجن، لعلك تخرج إلى مملكة (اجعلني على خزائن الأرض) دافع ليل البلى، فما أسرع فجر الأجر (أليس على خزائن الأربض) الفقر من الدنيا عدم كله وجود، والغنى فيها وجود كله عدم.

عرضت على نبينا " صلى الله عليه وسلم " بطحاء مكة ذهبا فأبى.

يا " محمد " ممن تعلمت القناعة؟ قال لسان حاله: من عجلة أبي.

كان الرجل من الصحابة يدعى إلى المال حلالا فيقول: لا، لا.

يا معاشر الفقراء: زينوا حلة الفقر بحلية الكتمان، فالفقراء الصبر جلساء الله، اصبروا على عطش الفاقة، فالحرة تجوع ولا تأكل بثدينها، إن سألتم فاسألوا مولاكم، فإن سؤال العبد غير سيده تشنيع على السيد.

يا معاشر الغافلين والواقفين مع الأسباب، إنما المعطي والمانع واحد (فلا تجعلوا لله أندادا) إذا عرضت حاجة فتعرضوا بالمحراب، واكتفوا من السؤال بالخدمة أتشتغلون بنا وننساكم؟ كلا " من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ".

وإذا طلبت إلى كريم حاجة ... فلقاؤه يغنيك والتسليم

ويحك: إن الفقير الصادق يترك الدنيا أنفة، رآها مقاطعة فقاطع، جاز على جيفة مستحيلة فسد منخر الظرف وأسرع، سلك سبيل القناعة فوقع على كنز ما وجده " الإسكندر " فقلبه أغنى من " قارون " وبيته أفرغ من فؤاد أم " موسى ".

ومن كان في ثوب القناعة رافلا ... أصاب الغنى في الفقر والخصب في المحل

إذا حشر الفقراء يوم القيامة بادورا باب الجنة فتقول لهم الملائكة: قفوا فهذا يوم الحساب، فينفضون أكمام الإدلال من يد المعوق، ويقولون: هل أعطيتمونا شيئا تحاسبونا عليه؟؟

الصبر مثل اسمه في كل نائبة ... لكن عواقبه أحلى من العسل

؟ الفصل الأربعون؟ ذم الحرص على المال يا مشغولا بالعمل للدنيا، والدنيا تعمل فيه، تجمع ما يفرقك، وتوصل ما يمزقك، ويحك: أتبني قصرا وتهدم مصرا؟ إن لم تعرف عيوبها " فاخبر تقهل ".

داء الآدمي الهوى، وعلاجه الحسم، متى استعجل الداء، فالكي أنفع، وما يفيدك من جار السوء التوقي. المال ماء كلما زاد غرق. قنعت العنكبوت بزاوية البيت فسبق الحريص إليها وهو الذباب، فصار قوتا لها، وصوت بك نذير العبر: رب ساع لقاعد.

ويحك: طلق كواذب آمالك، لتكون وارث مالك. أعظم المغبونين حسرة من نفع كده لغيره. أفضل أعمال

البخيل الصدقة لأنه يحارب شيطانين أصغرهما إبليس، وأعظمهما النفس وجنودها، ومن يقوى بأسد الحرص، وكلب الهوى، وخنزير الشره؟؟!.

امدد يديك بالصدقة فإن لم تطق فاكففهما عن الظلم، أطلق لسانك بالذكر، فإن لم تطق فاحبسه عن الغيبة.

كم يقف السائل سائل الدمع على باب الذل لديك فتقول: هذا هذاء.

كلام الجائع عند الشبعان كله هذيان. ويحك: إن الدقة صداق الجنة، فدع جمع الأكياس (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) .

انظر في أخلاق الفقير لا في إخلاقه ... وما ضر نصل السيف إخلاق غمده

إن أعطيت فاحذر منا يتأذى به المعروف. ويحك: كلما عاش أملك مات الفقراء.

كأنني كلما أصبحت أعتبه ... أخط حرفا على صفح من الماء

واعجبا! لمن يجمع الأموال جمع الثريا نفسها، كيف تأتي الأقدار فتفرقه تفريق بنات نعش، يا كدر القلب: آثار كدر باطنك ما تخفى على ناظرك، إن أسرار القلوب تبين ما في وجوده الوجنات.

لو سمعت كلامي بقلبك كان طول الأسبوع نصب عينيك، وإنما تسمعه بأذنك، وفرق بين السامعين: كثر المال على " الصديق " و " ثعلبة " ووقه التفاوت بين " البخل والتخلل ".

وليس كل ذوات المخلب السبع أما حب الدنيا عندك فراسخ، وأما قلبك من الموعظة فعلى فراسخ، وإذا غلب الهوى فمن ينتبه؟ وإذا غاب القلب فمن يحدث؟

إذا كان قلبي موثقا بحبالكم ... وجسمي لديكم كيف أفهم عنكم؟

فإن شئتم أن تعذلوا فتوصلوا ... إلى أن تعيدوا القلب ثم تكلموا

الفصل الحادي والأربعون

إحياء القلوب بالعبرات." (١)

"يا قوام الليل اشفعوا في راقد، يا أحياء القلوب ترحموا على ميت، سا سفراء الطلب احملوا رسالة محصر.

خذوا نظرة مني فلاقوا بها الحمى

أيا رفقة من أرض بصرى تحملت ... تؤم الحمى لقيت من رفقة رشدا

---

(١) اللطائف ص/٢٤

إذا ما بلغتم سالمين فبلغوا ... تحية من قد ظن أن لا يرى نجدا

الفصل السابع والأربعون

في ذم إبليس

إخواني: العناية غنى الأبد، لما سبق الإختيار في القدم للطين المنهبط صعد على النار المرتفعة، فعلمت جهنم أن المخلوقات منها، لما قاوم التراب كانت الغلبة للتراب، وكفاها ما جرى عبرة، والسعيد من وعظ بغيره، فإذا مر المؤمن عليها أسلمت من غير جدال، وقالت: " جز فقد أطفأ نورك لهبي ".

مصابيح القلوب الطاهرة في أصل الفطرة منيرة قبل الشرائع، كقلب " قس " (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) لاح مصباح الهوى من سجف دار الخيزران، فإذا " عمر " على الباب.

ولما عميت بصيرة إبليس صار نهار الهدى عنده ليلا، كان في عين بصيرته سبل، فما نفعه اتضاح السبل، رجع الخفاش إلى عشه فقال لأهله: أوكروا، فقد جن الليل، فقالوا: الآن طلعت الشمس، وأنت تقول: جن الليل، فقال: ارحموا من طلوع الشمس عنده ليل.

لما أضاءت أنوار النبوة رأتها عين " بلال الحبشي " وعميت عنها عين " أبي طالب " القرشي. إخواني: احذروا نبال القدرة، وهيهات لا ينفع الحذر، فإن صلح شيء من باب الكسب فاللحاء أعوذ بك منك، أين القلق " والقلوب بين أصبعين ".

إن القضاة إذا ما خوصموا غلبوا كان إبليس كالبلدة العامرة بالعبادة، فوقعت فيها صاعقة الشتاء، فهلك أهلها (فتلك بيوتهم خاوية بما كسبوا) .

ومن لم يكن للوصال أهل ... فكل إحسانه ذنوب

أخذ كساء ترهبه، فجعل جلال كلب أهل الكهف، فأخذ المسكين في عداوة الآدمي فكم بالغ واجتهد، وأبى الله إلا أن لا يقع في البئر إلا من حفر.

ويحك: ما ذنب الآدمي وأنت جنيت على نفسك؟ ولكنه غيظ الأسير على القد. إنما هلك إبليس بكبر (أنا خير منه) وسلم " آدم " بذل (ظلمنا أنفسنا) ومقام العبودية لا يحتمل إلا الذل.

كلما راعني بعز الموالي ... جئته خاضعا بذل العبيد

المسكين إبليس ظن أنه قد حاز بامتناعه عن السجود عزا، فوقع في ذل (وأن عليه لعنتي) فكأنه فر من المطر إلى الميزاب، كانت خلعة العبادة لا تليق به فنزعت عنه.

إلا رب جيد لا يليق به العقد

كان أعجمي الفهم فما لاقت به حلية التعبد، وكان " آدم " عربيا فما حسنت عليه قلنسوة الخلاف، أخرجهما قسر القدر لبيان ملك التصرف، ثم رد كل إلى معدنه.

إن الأصول عليها تنبت الشجر

لقي إبليس " عمر بن الخطاب " فصرعه " عمر " فقال بلسان الحال: يا عمر أنا المقتول بسيف الخذلان قبلك.

بي الناس أدواء الهيام شربته ... فإياك عني لا يكن بك ما بيا

يا عمر: أنت الذي كنت في زمن الخطاب لا تعرف طريق الباب، وأنا الذي كنت في سدة السيادة، وأتباعي الملائكة، فوصل منشور (لا يسأل) فعزلني وولاك، فكن على حذر من تغير الحال، فإن الحسام الصقيل الذي قتلت به في يد القاتل، فلما لعبت أيدي القلق " بعمر " بادر طريق باب البريد بالعزل والولاية: يا حذيفة يا حذيفة.

؟ الفصل الثامن والأربعون

؟ في العزلة

المؤمن على طهارة التوحيد من يوم (ألست بربكم) غير أنه لما خالط أوساخ الهوى تدنست ثياب معاملته، وليس لها تنظف إلا بماء العلم في بيت العزلة.

العزلة رأس الحمية من الدنيا، تخيط عين بازي الهوى فيألف الفطام على الطيران، والعزلة صحراء خالية عن بقاع يا سرعة إبصار الهلاك فيها لذي بصر، قل غرس خلوة إلا وعليها ثمرة الأنس.." (١)

"بتقوى الله عز وجل ومراقبته في الخلوة واحذروا مصرعي هذا فقد عشت إحدى وستين سنة وما كأني رأيت الدنيا ثم قال لبعض إخوانه انظر هل ترى جبيني يعرق فقال نعم فقال الحمد لله هذه علامة المؤمن يريد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن يموت بعرق الجبين ثم بسط يده عند الموت وقال ... ها قد مددت يدي إليك فردها ... بالفضل لا بشماتة الأعداء ...

عبد الوهاب الأنماطي شيخنا رحمة الله عليه ٤٦٢ ٥٣٨ هـ

دخلت عليه في مرضه وقد ضني جسمه وهو ساكن صابر فقال لي إن الله لا يتهم في قضائه." (٢)

---

(١) اللطائف ص/٢٩

(٢) الثبات عند الممات ص/١٨٠

"ورأوا نعيم الخلد حظ نفوسهم والحظ لا يخلو من الاعلال كنز متى ظفرت به كف امرىء لم يخطر الاملاق منها ببال

يا طلاب الجنة اقبلوا

ان جناب الجنة رفيع وملكها كبير ولكن الله ارفع واكبر وسلمنا ان بهجة الفردوس بهية باهرة ولكن بهجة حضرة الله ابهى وأبهر ما سميت همم العارفين عن طلب الجنة جهلا بما فيها من نعيم النفوس والقلوب ولكن رأوا ان نعيم الحضرة احب اليهم من كل محبوب يا طالب الخير **احذر** ان يشغلك قلبك عن كبيرة يا خائف الشر لا يلهك صغيرة عن كبيرة اسم بهمتك الى المعالي ونافس في كل نفيس غالي ولكن **احذر** ان تقول انا لا ارغب في جنة النعيم ولا ارهب من عذاب الجحيم وانت ممن اذا اقبلت عليه الدنيا ظل فرحا مسرورا واذا ادبرت عنه اسف ودعا هنا ثبورا ما اقبح الدعوى من المدعى يعرف هذا كل قلب يعي اليس يكفي المدعي انه في نسب الصدق زنيم دعي." (١)

"فهو محرور وان وصلته فهو مسرور قد خدعته اباطيل المنى وغره بالله الغرور ايها الرافل في ثوب الغرور ايها الغافل عن يوم النشور اين ما قدمت للقبر الذى سوف فيه تثوى ما بين القبور اين ما قدمت للحشر الذى فيه تدعو بثبور وحبور اين ما قدمت للمولى الذى هو عدل في قضاء لا يجور **احذر** الغفلة عنه فهي من اقتل الداء ومن شر الشرور اللهم لا تجعلنا عن ذكرك غافلين ولا عن امرك زائفين وادخلنا في عبادك الذين اصطفيتهم لوراثة كتابك وانظمنا في سلك من اهلته لولائك واغفر لنا بفضلك مغفرة عزما لا نخاف بعدها ظلما ولا هضما اللهم يا من افاض خلع الايمان على المؤمنين ويا من ملأ من عطائه اكف السائلين ارزقنا ايمانا تخالط بشاشته القلوب وهب لنا عطاء غير ممنون ولا محسوب اللهم يا جواد يا كريم يا عزيز يا وهاب اهد الى حضرة الحبيب محمد صلاتنا وسلامنا افضل ما هداه المحبوب الى حضرة الاحباب." (٢)

"فتوبوا الى الله مما انتم عليه من العصيان تبصروا فانكم عما قريب اليه صائرون فهل انتم على عذابه صابرون او على رفع بأسه قادرون فاتقوا الله بفعل ما امركم به وترك ما نهاكم عنه وادامة الذكر له واستشعار الخشية منه ولا تكونوا ممن ينام تحت الضرب ويظهر الجلد فإنه الله اذا عاقب لم يقم لعقابه احد غضب بعض الملوك على بعض من هو تحت يده فلم يحبسه في دار سجنه واجرى عليه رزقا واسعا ثم سأل عنه

---

(١) التذكرة في الوعظ ص/٤٢

(٢) التذكرة في ال وعظ ص/٤٩

فقيل انه متجلد غير مكترث فأمر بنقله الى ما هو اضيق منه واشد ثم لم يزل كذلك كلما اخبروه عنه بقلة مبالاته بعقوبة الملك نقله الى ما هو اضيق منه واشد حتى امر بقتله فكذلك العبد اذا عصى ربه وجه اليه اخف عقابه فإن هو استقال واستغاث بربه اقاله وأغاثه وان هو اصر على ذنبه واستهان بعقوبته شدد الله عليه وزاده مما يوجهه اليه من العذاب كذلك ابدا حتى يكون احد امرين إما أن يتوب الى الله من معاصيه واما ان يتمادى في طغيانه ويصر على كفره وعصيانه ففي الأول يعافيه الله ويصطفيه وفي الثاني يخلده الله في دار نقمته ولا يؤنسه في رحمته العذاب مصبوب على اهل سخط الله والسخط حال على اهل معصية الله والمعصية لازمة لمن الشيطان له ملازم وإنما يلازم الشيطان من غشى عن ذكر الله **فاحذر** الغفلة عن ذكر الله فإنها اصل كل بلية وجالبة كل رزية احبه قلبي لا تخيب الامل وهذا اوان اقتراب الاجل فوا اسفا وواحسرتا لقب ح اقترافي وفرط الذلل." (١)

"ووراء السور سجف ستور مسبلات على قصور عوالي فوق تلك القصور وادي التجلي والكراسي منصوبة للرجالي هم رجال لم يلههم عن مجالس الذكر شيء من هذه الأشغال فانفضوا عن قلوبكم كل هم من هموم الأولاد والأموال واحملوا حملة الهزبر إذا حامى **حذار** الردى عن الأشبال

من لوازم الذكر

أول ما يحتاج إليه العازم على ذكر الله التفرغ من الشواغل الظاهرة ثم تسكين جوارح البدن عن الحركات الشاغلة ثم قطع الفكر عن قلبه ثم إشعار نفسه عظمة ما قد عزم عليه من ذكر ربه ثم استفراغ الوسع في تجويد الذكر ثم إطالة المجلس ما أمكنه إطالته ثم التحفظ بالحالة التي استفادها قلبه من الرقة باجتناب الملهيات من حين يقوم عن الذكر إلى أن يعود إليه فهذه الشرائط السبع من راعاها حق الرعاية بلغ من مراد الذاكرين أقصى الغاية من أحب شيئا أكثر ذكره ومن أجل أمرا أعظم قدره ولا حبيب أحب من الله إلى أهل ولايته ولا جليل أجل عند الله من أهل معرفته فاذكروا الله ذكر المحبين وأجلوه إجلال العارفين لتشربوا كؤوسا من رحيق شرابه رحيقا مختوما ثم تلحقوا بمن رفعهم عن الرحيق حتى صار كل شرابهم تسنيما لعلك تشتهي صرفا حلالا لا صداع ولا خمارا شراب المسلمين فلا يهود حوتها في الدنان ولا نصارى." (٢)

"سبعون ألف ملك يجرونها وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال يؤتى بجهنم يوم القيامة وهي تمايل على الخزنة حتى توقف عن يمين العرش ويلقى عليها الذل فيوحي الله إليها ما هذا الذل فتقول يا رب إني

---

(١) التذكرة في الوعظ ص/٦٦

(٢) التذكرة في الوعظ ص/١١٩

أخاف أن يكون لك في نقمة فيوحي الله إليها إنما خلقتك نقما وليس لي فيك نقمة فتزفر زفرة لا تبقى دمعة في عين إلا جرت ثم تزفر أخرى فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا صعق إلا نبيكم نبي الرحمة يقول يا رب أمتي أمتي عباد الله فاستجيروا بالله من شر هذه النار التي لا يرحم ولا يغاث باكيها واسألوه الإقالة من ذنوبكم قبل ان لا يقال غيره وتوبوا إلى الله من قريب واستحيوا ممن هو عليكم رقيب واحذروا أن يأتيكم الموت وأنتم على المعصية مصرون ولا تخلدوا إلى الدنيا فإنكم عنها منقلبون وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون وأكثروا من ذكر الله تعالى واستغفاره واسألوه أن يرزقكم الفوز بالجنة والنجاة من ناره واغتنموا العمل الصالح في نهار العمر وليله وتمسكوا بما في أيديكم من حواشي ذيله وتزودوا ما أطقتم من البر فستجدونه يوم توفيه الأجر واستحيوا من الله حق الحياء فهو رقيب عليكم في كل ما أنتم له عاملون فإنكم على بساط كرمه قاعدون وفي بحار نعمه عائمون وإلى دار جزائه صائرون ولكريم عفوه وجميل صفحه آملون فاذكروه يذكركم واشكروه يزدكم واتقوا الله لعلكم تفلحون اتقوه حق." (١)

"وأما الراكعون الساجدون فقال الحسن هم المصلون الصلوات المكتوبات وأما الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فقال ابن جرير الذين يأمرون الناس بالحق ونهوهم عن كل قول او فعل نهى الله عنه والناهون عن المنكر عن الشرك وعنه الآمرون بالمعروف قال إما انهم لم يأمروا الناس بحسنة حتى كانوا من أهلها والناهون عن المنكر قال إما انهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه وقال أبو العلية كل ما في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي من عبادة الأوثان والشياطين وقال عطاء الأمرون بالمعروف بفرائض الله وحده وتوحيده والناهون عن المنكر ترك فرائض الله وحدوده وعن الشرك به وأما الحافظون لحدود الله فقال إبن عباس يعني القائمين على طاعة الله وهو شرط شرطه الله على أهل الجهاد إذ وفوا له بشرطه وفى لهم بشرطهم أي أن بعض المجاهدين يرتكبون المحرمات من زنا وشرب خمر وغير ذلك فإذا أنكر عليهم قالوا نحن مجاهدون والجهاد يطهرنا فردت الآية عليهم أي كونوا مع الجهاد في سبيل الله حافظين لحدود الله ثم قال تعالى وبشر المؤمنين أي المصدقين بوعد الله لهم وقيل معناه وبشر من فعل التوبة وسائر هذه الأفعال وإن لم يكن من المجاهدين عباد الله فصححوا الأعمال تلحقوا بالرجال واحذروا الرجاء الكاذب فإنه محال أترجو أن تكون من الرجال بقول او بفعل أو بحال." (٢)

---

(١) التذكرة في الوعظ ص/١٢٦

(٢) التذكرة في الوعظ ص/١٣٤

"احذر أن تكون ثناء منشورا وعيبا مستورا أمس أجل واليوم عمل وغدا أمل حرام على قلب محب الدنيا ان يسكنه الورع وحرام على عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذوه المتقون إماما إليك أشكو بدنا غذي بنعمك ثم توثب على معاصيك المؤمن إذا زاد سخاؤه وإذا زاد عمره زاد اجتهاده اجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يهنأ بعيشه معاشر الفقراء إنما عرفتم بالله وإنما مكرمون لله فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه الطريق إلى الله مسدود على الخلق إلا على المتقين أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه إذا نزل بك أمر من الله فاستعمل الرضا فإن لم تجد إلى الرضا سبيل فاستعمل الصبر فإن لم تجد فعليك بالتحمل من علم أن الله هو الضار النافع أسقط مخاوف المخلوقين اتقوا الناجد من العلماء والجاهل من العباد فإنهما فتنة لكل مفتون يا عجبا لمن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل بكليتيه إليه إذا بكت عين الخائفين فقد بايعوا الله بدموعهم إنما حملا كلام السلف في مذاق الأسماع وعظمت فيه البركة وحسن به." (١)

"حصين وامتسك بحبل القرآن في الشدائد كلها فكل حبل سوى هذا الحبل فهو غير متين لله أهلون وهم جملة أهله وكل من لا يكرم أهل القرآن فهو مهين احذر تهين فقيرا لأجل رثه هيئة أكثر ملوك الجنة في هيئة المسكين متى أردت أن يعلو قدرك وتعلو في الرتب في حضر الله معظم أهل التقا والدين ولا يغرك ذل الفقير في دار الفناء دار البقى هي داره في العز والتمكين ترى الفقير في الدنيا كأنه طير حذر وفي القيامة وافي قرير عين أمين خذ لك أيادي معهم غدا ترى الدولة لهم مقبل أحدهم وجاهه عند الملك متين لا فخر كالفقر هذا الرسول بالفقراء مفخر وهو الذي دفين في الطين ومع جلالة قدره دعا بأن يحيا هنا مسكين ويقبر ويحشر مع المسكين اللهم ارزقنا ما رزقت أولياءك وفقراءك ومساكنك من الاستغناء بك والافتقار إليك وأكرمنا بما تكرمنا به من كرامة أوليائك يوم القدوم عليك يا كريم." (٢)

"مطعمه طال جوعه احذر أن تخاصم من إذا نمت كان منتبها معناه لا تعادي أولياء الله فإنك تنام وهم مستيقظون فربما دعوا عليك فاستجيب فيك وأنت لا تشعر إحذر سهام الله حين تنام والمظلوم ساهر يدعو عليك وأنت في غمض ورب العرش ناظر لو بت في حضن سما في الجو لا يعلوه طائر من حوله الأبطال في أيديهم البيض البواتر وعليك أدرعة الحديد وحولك الأسد الكواسر ودعا عليك مظلوم لم يلق غير الله ناصر لأصاب سهم دعائه منك الفؤاد وأنت صاغر

(١) التذكرة في الوعظ ص/١٤٨

(٢) التذكرة في الوعظ ص/٥١٥

دعوة المظلوم

كثيرا ما يستهين الناس بالظالم وينسون يوما يأخذ فيه الله من المظلوم للظالم لاسيما الغيبة فإنها من الربا وأغث المطاعم هل فينا من تحلل خصماه هل فينا من أرض غرماءه ما قدرنا الله حق قدره ولا فرقنا بين حلو العيش ومره كأنك بالزارع وقد حصد زرعه فطوبى لأهل العبادة والتقى والورع لم يزل للزارع مزدرع إلا التقى والزهد والورع." (١)

"لا تبيعوا الدر بالخزف ليس هذا فعل معترف واركبوا الأخطار في طلب المجد والعياء والشرف فاطلبوا الثأر الذي لكم عند أهل الجور والخيف أو فكوا حرمة قنعت بلزوم البيت والعلف من كان مع الله كان الله معه ومن تكبر على الله وضعه ومن تواضع لله رفعه ومن استودع الله دينه ونفسه حفظه عليه حتى يؤدي إلى الله ما استودعه فكونوا بالله في ضمانه واثقين وإلى الله فيما عنده راغبينوقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين قل للذين آمنوا بزلهم كونوا مع الإيمان عاملينا إذا أتاكم مناد من ربكم فلا تكونوا عنه معرضينا قولوا سمعنا وأطعنا **واحذروا** أن تصبحوا لله مسخطينا من خالف الله فقد أسخطه فلا تكونن مسخطينا وجاهدوا أعداءكم فإنهم قد أصبحوا لكم معاندينا إياكم والظلم فيما بينكم فقل ما ينصر ظالمونا واخلصوا نياتكم فالإخلاص أقوى ما به في الحرب تنصرونا ووطنوا النفس على الصبر ولو قتلتم بالصبر أجمعونا فموتنا ولا نرى عدونا يستأثر البنات والبنينا كم استباحوا حرما ممتنعا كم هتكوا محجبا مصونا." (٢)

"كم غربوا مستوطنا عن داره وكم أخافوا بلدا أمينا كم أفقروا ذا ثروة من ماله حتى غدا مستعطيا مسكينا نستغفر الله ذنوبا سلطت أعداءنا وطمعتهم فينا عسى الذي أعلى العدو فوقنا عليهم من بعدها يعلينا اللهم يا خير الغافرين اغفر لنا ذنوبنا اللهم يا خير الراحمين ارحمنا في كل شيء من نعمك علينا اللهم يا خير الرازقين ارزقنا رضاك عنا ولطفك بنا اللهم يا خير الفاتحين افتح بيننا وبين القوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اللهم يا خير الناصرين انصرنا على من عادانا واردد لنا الكرة عليهم وكن لنا عليهم ظهيرا وامدد لنا بأموال وبنين واجعلنا أكثر نفيرا من كان مع الله بالإخلاص والصدق كان الله معه بالتأييد والنصر ومن اعتقد أن لا حول ولا قوة إلا بالله أنزل الله عليه السكينة والصبر ومن علم ان لا ناصر إلا الله لم يكله إلى احد في شيء من الأمر وطنوا أنفسكم على الصبر والثبات فضل ساعة وابذلوا في مصابرة العدو ما في

---

(١) التذكرة في الوعظ ص/١٧٠

(٢) التذكرة في الوعظ ص/٢٠٣

وسعكم من الاستطاعة **واحذروا** ان تقدموا على ربكم وأنتم لفرائضه مضيعون وفي أداء أمانته عندكم مفرطونيا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وأنتم تعلمون نقض العهود على الكرام حرام قوم عليهم للوفاء ذمام فإذا لقوا صدقوا العدو وكيف لهم أصول في اللقاء كرام." (١)

"وفساد الطباع وأداء من أهدى إليه النصح قبله وانفتح به حق الانتفاع هل من أخ وجد أطارحه ما لم أزل لغفيه من بعدي ما زلت اكتم ما بليت به حتى عجزت فقلت ما عندي أنا من ملوك كان ملكهم يعلو ملوك الصين والهند كان العدو يخاف غائلتي ويفر من ظلي على بعد فقلت عن تحصين مملكتي تباعد الأمراء والجند فغزاني الأعداء فانتزعوا مني البلاد وأخربوا مجدي أمرني ربي بما فيه إصلاح شأني ونهاني عما فيه هواني وخسراني فعصيت ربي وأطعت شيطاني **فاحذروا** ان يصيبكم ما أصابني ويدهاكم ما دهاني كنت في قربهم بكل نعيم لا أبالي طوارق الحدثان فسقاني العدو كأس اغترار ليتني مت من قبل ان سقاني غرني باستمالة النفس للشهوة حتى بحبها أغراني شد وسطي منه بحبل غرور ثم في حفرة الردى دلاني والحسيب الرقيب ينظر ما أصنع حيث لا أراه ولا يراني حين مددت يدي إلى شهوة النفس التي قبل ذاك عنها نهاني طار تاج الملك الذي كنت تـوجت وأخرجت من قصور الجنان فاندبوا مصرعي ونوحوا عليه **واحذروا** بأن يدهاكم ما دهاني." (٢)

"وكم من نائم قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله تعالى للعابدين غدا.

أخبرنا عمر بن ظفر، قال أنبأنا جعفر بن أحمد، قال حدثنا عبد العزيز بن علي، قال حدثنا علي بن عبد الله الصوفي، قال حدثني علي بن العباس، قال حدثني علي ابن سلمان، قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم فسمعته يقول:

(لولا اللذين لهم ورد يقومونا ... وآخرون لهم سرد يصومونا)

(لدكدكت أرضكم من تحتكم سحرا ... لأنكم قوم سوء ما تطيعونا)

يا من أعماله كلها إذا تؤملت سقط، كم أثبت له عمل فلما عدم الإخلاص سقط، يا حاضر الذهن في الدنيا فإذا جاء الدين خلط، يجعل همه في الحساب فإذا صلى اختلط يا ساكتا عن الصواب فإذا تكلم لغط، يا قريب الأجل وهو يجري من الزلل على نمط، يا متكاثف الدرن لم يغسل ولم يمط، يا من لا يعظه وهن العظم ولا كلام الشمط أما خط الشيب يضحك في مفرق الرأس إذا وخط، أما المقام للرحيل وءدى

---

(١) التذكرة في الوعظ ص/٢٠٤

(٢) التذكرة في الوعظ ص/٢٠٦

هذا شرط، يا من لا يرعوي ولا ينتهي بل على منهاج الخطيئة فقط، يا مثبتا قبيح المعاصي لو تاب لا نكشط، أما تميل إلى الصواب أما تترك الغلط، يا من إذا قيل له ويحك أقسط قسط، إلى كم جور وظلم إلى كم جهل وشطط، ويحك بادر هذا الزمان [الخالي] الملتقط، فالصحة غنيمة والعافية لقط، فكأنك بالموت قد سل سيفه عليك واخترط، أين العزيز في الدنيا أين الغني المغتبط، خيم بين القبور، وضرب فسطاطه

في الوسط، وبات في اللحد محبوسا كالأسير المرتبط، واستلبت ذخائره ففرغ الصندوق والسفط، وتمزق الجلد المستحسن وتمعط الشعر القطط، فكأنه ما رجله قط وكأنه ما امتشط، وبعد [عنه من يحبه إي والله وسخط] ورضي وراثه بما أصابوه وجعلوا نصبه السخط، وفرقوا ما كان يجمعه بكف البخل والقنط، ووقع في قفر لا ماء فيه ولا حنط، وكم حذر من وقوعه وكم أوقف على النقط، وكم حدث أن سعد بن معاذ في القبر انضغط، ويحك اقبل نصحي ولا تعرض للسخط، واحذر من." (١)

"عنان لهوه في ميدان زهوه إرسالا؛ كألك بحفنيك حين عرض الكتاب عليك قد سالا.

أين المعترف بما جناه ، أين المعتذر إلى مولاه ، أين التائب من خطاياه ، أين الآيب من سفر هواه ، نيران الاعتراف تأكل خطايا الاقتراف ، مجانيق الزفرات تهدم حصون السيئات ، مياه الحسرات تغسل أنجاس الخطيئات.

يا طالب النجاة دم على قرع الباب ، وزاحم أهل التقى أولي الألباب ، ولا تبرح وإن لم يفتح فرب نجاح بعد اليأس ، ورب غنى بعد الإفلاس.

(صبرا فما يظفر إلا من صبر ... إن الليالي واعدات بالظفر)

(وربما ينهض جد من عثر ... ورب عظم هيض حينا وانجبر)

إذا تبت من ذنوبك فاندم على عيوبك ، وامح بدموعك قبيح مكتوبك ، والبس جلباب الفرق ، وتضرع على باب القلق ، وقل بلسان المحترق:

(قد فعلت القبيح وهو شبيهي ... خطأ فافعل الجميل بعفوك)

(وفدت رغبتي إليك وما زلت ... تحيي بالنجح أوجه وفدك)

قف وقوف المنكسرين ، وتبتل تبتل المعتذرين ، واستشعر الخضوع ، واستجلب الدموع ، واحتل واحذر سهم الغضب أن يصيب المقتل.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٣٢/١

(يا سيدي ما هفوتي بغريبة ... مني ولا غفرانها بطريف)

(فإن تقبل العبد الضعيف تطولا ... فإن رجائي فيك غير ضعيف)

كم أتيت ذنبا فسترت ، وكم جنيت جناية فنظرت ، فبالحلم والكرم إلا غفرت.

(فقد طالما أنقذتني يداك ... وقد قلقلتني حبال الردى)

(فوالله لا شمت غيثا سواك ... فإما نداك وإما الصدى)

إخواني: إنما مرض القلوب من الذنوب ، وأصل العافية أن تتوب ، دوام التخليط بوقع في صعاب العلل ، أسمعت يا مربض الشره، كم رأيت صريعا للهوى!." (١)

"ثم يجدده فيمر عليه مائة سنة فيخرب ، فأضجرهم ذلك ، فاتخذوا من الجبال بيوتا.

قال علماء السير: لم يلتفتوا إلى قول صالح واحتالوا على قتله ، فذلك قوله تعالى: ﴿لنبيتنه وأهله﴾ وقعدوا في أصل جبل ينتظرونه ، فوقع الجبل عليهم فهلكوا ، ثم أقبل قوم منهم يريدون قتل الناقة فقال لهم صالح: ﴿ناقة الله وسقياها﴾ أي **احذروا** ناقة الله وشربها من الماء. فكمن لها قاتلها وهو قدار بن سالف في [أصل] شجرة فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ، ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها ، ثم نحرها. وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب. فقال لهم صالح: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام.

قال [المفسرون] : لما عقروها صعد فصيلها إلى الجبل فرغا ثلاث مرات ، فقال صالح: لكل رغوة أجل يوم ، ألا إن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة ، واليوم الثاني محمرة ، واليوم الثالث مسودة. فلما أصبحوا في اليوم الأول إذا وجوههم مصفرة ، فصاحوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب. فلما أصبحوا في اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة ، فضجوا وبكوا. فلما أصبحوا في اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة ، كأنما طليت بالقار ، فصاحوا بأجمعهم: ألا قد حضركم الموت. فتكفنوا وألقوا أنفسهم بالأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب. فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم. وقال مقاتل: حفروا لأنفسهم قبورا. فلما ارتفعت الشمس من اليوم الرابع [ولم يأتهم العذاب] ظنوا أن الله قد رحمهم ، فخرجوا من قبورهم يدعو بعضهم بعضا. فقام جبريل عليه السلام فوق المدينة فسد ضوء الشمس ، فرجعوا إلى قبورهم ، فصاح [بهم] صيحة عظيمة: موتوا عليكم اللعنة. فماتوا وزلزلت." (٢)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٧٨/١

(٢) التبصرة لابن الجوزي ١٠٢/١

"(سيقطع ريب الدهر بين الفريقين ... لكل اجتماع فرقة من يد البين)
(وكل يقضي ساعة بعد ساعة ... تخاتله عن نفسه ساعة الحين)
(وما العيش إلا يوم موت له غد ... وما الموت إلا رقدة بين يومين)
(وما الحشر إلا كالصباح إذا انجلى ... يقوم له اليقظان من رقدة العين)
(فيا عجبا مني ويا طول غفلتي ... أؤمل أن أبقى وأنى ومن أين)

يا من يبارز مولاه بما يكره ، ويخالفه في أمره آمنا مكره ، وينعم عليه وهو ينسى شكره ، والرحيل قد دنا وماله فيه فكرة ، يا من قبائحه ترفع عشيا وبكرة ، يا قليل الزاد ما أطول السفرة ، والنقلة قد دنت والمصير الحفرة ، متى تعمل في قلبك المواعظ ، متى تراقب العواقب وتلاحظ ، أما تحذر من أوعد وهدد ، أما تخاف من أنذر وشدد ، متى تضطرم نار الخوف في قلبك وتتوقد ، إلى متى بين القصور والتواني تتردد ، متى تحذر يوما فيه الجلود تشهد ، متى تترك ما يفنى رغبة فيما لا ينفد ، متى تهب بك ريح الخوف كأنك غصن يتأود ، البدار البدار إلى الفضائل ، والحذار الحذار من الرذائل ، فإنما هي أيام قلائل:

(اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغتة)
(كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه السليمة فلتة)

حج مسروق فما نام إلا ساجدا ، وكان مجير بن الربيع يصلي حتى ما يأتي فراشه إلا حبوا.

(اغتنم ركعتين زلفى إلى الله ... إذا كنت فارغا مستريحا)
(وإذا ما هممت أن تفعل الباطل ... فاجعل مكانه تسبيحا)

يا سكران الهوى وإلى الآن ما صحا ، يا مفنيا زمانه الشريف لهوا ومرحا ، يا معرضا عن لوم من لام وعتب من لحا ، متى يعود هذا الفاسد مصلحا ، متى يرجع هذا الهالك مفلحا.

لقد أتعبت النصحاء الفصحاء ، أما وعظمت بما يكفي ، أما رأيت من العبرة ما يشفي ، فانظر لنفسك قبل أن يعمى الناظر ، وتفكر في أمرك بالقلب." (١)

"ربح القوم وخسرت ، وساروا إلى المحبوب وما سرت ، وأجيروا من اللوم وما أجرت ، واستزيدوا إلى القرب وما استزدت ، ذنوبك طردتك عنهم ، وخطاياك أبعدتك منهم ، قم في الليل ترى تلك الرفقة ، واسلك طريقتهم وإن بعدت الشقة ، وابك على تأخرك واحذر الفرقة.

(شمر عسى أن ينفع التشمير ... وانظر بفكرك ما إليه تصير)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١/١٠٤

(طولت آمالا تكنفها الهوى ... ونسيت أن العمر منك قصير)

(قد أفصحت دنياك عن غدراتها ... وأتى مشيبك والمشيب نذير)

(دار لهوت بزهوها متمتعا ... ترجو المقام بها وأنت تسير)

(واعلم بأنك راحل عنها ولو ... عمرت فيها ما أقام ثبير)

(ليس الغنى في العيش إلا بلغة ... ويسير ما يكفيك منه كثير)

(لا يشغلنك عاجل عن آجل ... أبدا فملتمس الحقير حقير)

(ولقد تساوى بين أطباق الثرى ... في الأرض مأمور بها وأمير)

الكلام على قوله تعالى

﴿قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ لما كسر الخليل الأصنام حملوه إلى نمرود ، فعزم على إهلاكه ، فقال رجل: حرقوه. قال شعيب الجبائي: خسفت الأرض بالذي قال حرقوه ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

وألقي الخليل في النار وهو ابن ست عشرة سنة. قال علماء السير: حبسه نمرود ، ثم بنوا له حوالي سفح جبل منيف طول جداره ستون ذراعا ، ونادى منادي نمرود: أيها الناس احتطبوا لإبراهيم ، ولا يتخلفن عن ذلك صغير ولا كبير ، فمن تخلف ألقي في تلك النار.

ففعلوا ذلك أربعين ليلة حتى إن كانت المرأة لتقول: إن ظفرت بكذا." (١)

"﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ قال الكسائي والفراء: لا يكون الإهراع إلا إسراعا مع رعدة. قال ابن الأنباري: الإهراع فعل واقع بالقوم ، وهو لهم في المعنى ،

كما قالت العرب: قد أولع الرجل بالأمر فجعلوه مفعولا وهو صاحب الفعل ، ومثله: " أرعد زيد " و " سهى عمرو " من السهو. كل واحد من هذه الأفاعيل خرج الاسم معه مقدرا تقدير المفعول ، وهو صاحب الفعل لا يعرف له فاعل غيره.

قوله تعالى: ﴿ومن قبل﴾ أي مجيء الأضياف ﴿كانوا يعملون السيئات﴾ فقال لوط: ﴿هؤلاء بناتي﴾ يعني النساء ولكونهن من أمته صار كالأب لهن ﴿أطهر لكم﴾ أي أحل ﴿فاتقوا الله﴾ أي **احذروا** عقوبته ﴿ولا تخزون في ضيفي﴾ أي لا تفعلوا بهم فعلا يوجب حيائي ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ فيأمر بالمعروف وينهى

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١٢٠/١

عن المنكر ﴿قالوا: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ أي من حاجة ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ أي إنما نريد الرجال لا النساء. قال: ﴿لو أن لي بكم قوة﴾ أي جماعة أقوى بهم عليكم ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ أي إلى عشيرة منيعة. وإنما قال هذا لأنه كان قد أغلق بابه وهم يعالجون الباب ويرومون تسور الجدار فلما رأت الملائكة ما يلقى من الكرب ﴿قالوا: يا لوط إنا رسل ربك﴾ فافتح الباب ودعنا وإياهم. ففتح الباب ودخلوا. واستأذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن [لهم] فضرب بجناحه وجوههم فأعماهم فانصرفوا يقولون النجاء النجاء إن في دار لوط أسحر قوم في الأرض. وجعلوا يقولون: يا لوط كما أنت حتى تصبح. [يوعدونه] . فقال لهم لوط: متى موعد هلاكهم؟ قالوا: لصبح. قال لو أهلكتموهم الآن؟ فقالوا: أليس الصبح بقريب!

ثم قالت له الملائكة: " فأسر بأهلك ". فخرج بامرأته وابنتيه وأهله وبقره وغنمه ﴿بقطع من الليل﴾ أي ببقية تبقى من آخره.." (١)

"إخواني: تدبروا الأمور تدبر ناظر ، وأصغوا إلى ناصحكم والقلب حاضر ، **واحذروا** غضب الحليم وهتك الساتر ، وتأهبوا للحمام فسيوفه بواتر ، وهاجروا إلى دار الإنابة بهجران الجرائر ، وصابروا عدوكم مصابرة صابر ، وتهيأوا للرحيل إلى عسكر المقابر ، قبل أن يبل وابل الدموع ثرى المحاجر ، ويندم العاصي ويخسر الفاجر ، ويتكاثف العرق وتقوى الهواجر ، وتصعد القلوب إلى أعلى الحناجر ، ويعز الأمن ويعرض الناصر ، ويفرح الكامل ويحزن القاصر ، ويفوت اكتساب الفضائل وتحصيل المفاخر ، فتأملوا عواقب مصيركم فاللبيب يرى الآخر.

(وقائلة لو كنت تلتمس الغنى ... رشدت ، وما أوصت بما كان راشدا)

(أبى الناس إلا حب دنيا ذميمة ... تقضى ويأبى الموت إلا التزودا)

(فقلت سلي عن ذي الثراء تخبري ... وذي الملك بعد الملك ماذا توسدا)

(يمرون أرسالا ونضحى كأننا ... لما نالهم بالأمس لم نك شهدا)

(فهل ينفعنا ما نرى أو يروعنا ... وهل نذكرن اليوم منزلنا غدا)

أخبرنا يحيى بن علي ، حدثنا القاضي أبو الحسين السمناني ، حدثنا أبو الحسن ابن الصامت ، حدثنا القاضي أبو عبد الله المحاملي ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا الجنيد بن أبي العلاء ، عن محمد بن سعيد ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن أم الدرداء ، عن علي الدقاق ، عن أبي

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١/١٥٦

الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تفرغوا من الدنيا ما استطعتم ، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه أفشى الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله له أموره وجعل غناه في قلبه ، وما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا جعل الله قلوب المؤمنين تقبل إليه بالود والرحمة ، وكان الله عز وجل إليه بكل خير أسرع ".

أخبرنا إسماعيل بن أحمد ، أنبأنا رزق الله ، أنبأنا ابن شاذان ، أنبأنا أبو جعفر

ابن يزيد ، أنبأنا أبو بكر القرشي ، أنبأنا يعقوب بن عبيد الله ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا سفيان الثوري ، عن زيد الشامي ، عن مهاجر العامري ، قال قال." (١)

"الدنيا دار الآفات والفتن ، كم غرت غرا وما فطن ، أرته ظاهرها والظاهر حسن ،

فلما فتح عين الفكر من الوسن قال رب ارجعون ولن ، ويح المقتولين بسيف اغترارهم ، والشرع ينهاهم عن أوزارهم ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ .

أين أرباب الهوى والشهوات ، ذهبت والله اللذات دون التبعات ، وندموا إذ قدموا على ما فات وتمنوا بعد يبس العود العود وهيهات ، فتلمح في الآثار سوء أذكارهم ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ .

نازلهم الموت على الذنوب ، فأسروا في قيود الجهل والعيوب ، فرحلت لذات خلت عن الأفواه والقلوب ، وحزنوا على الفائت ولا حزن يعقوب ، حين خرجوا من ديارهم في ثياب إدبارهم [وعصي التوبيخ في أدبارهم] ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ .

قل للناظرين إلى المشتهى في ديارهم ، هذا أنموذج من دار قرارهم ، فإن استعجل أطفال الهوى فدارهم ، وعدهم قرب الرحيل إلى دارهم ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴿ .

احذروا نظرة تفسد القلوب ، وتجني عليكم الذم والعيوب ، تسخط مولاكم عالم الغيوب ، لقد وصف الطبيب حمية للمطبوب ، فلو استعملوا الحمية لم تتعرض الحمى بأبشارهم ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ .

وفقنا الله وإياكم للهدى ، وعصمنا من أسباب الجهل والردى ، وسلمنا من شر النفوس فإنها شر العدى ، وجعلنا من المنتفعين بوعظ أخيارهم ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.." (٢)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١٥٩/١

(٢) التبصرة لابن الجوزي ١٦٧/١

"إذا جاءتهم ذكراهم﴾ .]
نزل بهم المرض فألقاهم كالحرض ، فانفك أملهم وانقبض ، وانعكس عليهم الغرض ، ورحمهم في صرعتهم من عاداهم ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ .
يتمنون عند الموت راحة ، ويشتهون من الكرب استراحة ، ويناقشون على الخطايا ولا سماحة ، فهم كطائر قصر الصائد جناحه ، في حبس النزع والكرب يغشاهم ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ .
يتأسفون وأسفهم أشد ما في العلة ، ويتحسرون وتحسرهم على ما مضى من زلة ، وجبل ندمهم قد شق كأنه ظلة ، فلو رأيتهم بعد الكبر قد صاروا أذلة ، وتملك أموالهم بعدهم سواهم ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ .
ما نفعهم ما تعبوا لتحصيله وجالوا ، ولا رد عنهم ما جمعوا واحتالوا ، جاء المرض فأذلهم بعد أن صالوا ، فإذا قال العائد لأهليهم: كيف باتوا؟ قالوا: إن السقم قد وهاهم وها هم ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ .
نزلوا بطون الفلا فلا يقبل عذرهم ، ولا ذو ود ينفعهم ، قد أضناهم بلاء البلى ، فلو رأيتهم في بلاهم وهم في بلاهم ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ .
فالبدار البدار قبل الفوات ، والحذار الحذار من يوم الغفلات ، قبل أن يقول المذنب رب ارجعون فيقال فات ، ويح الغافلين عن عقباهم ما أعماهم ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ .
نبهنا الله وإياكم من هذه الرقدة وذكرنا وإياكم الموت وما بعده إنه قريب مجيب.." (١)
"الكلام على البسملة
(إلى أي حين أنت في صبوة لاهي ... أمالك من شيء وعظت به ناهي)
(ويا مذنبا يرجو من الله عفوه ... أترضى بسبق المتقين إلى الله)
يا مبارزا بالعظائم كيف أمنت فنمت ، يا مصرا على الجرائم عجبا إن سلمت ، يا مبذرا منذرا كأنه ما يسمع ، إن فاجأك العذاب فماذا تصنع ، تدبر عقبى أبي الآباء إلى ما آب ، وتفكر في حال المذنبين فبئس المآب ، بيناهم في أمن قد فرق بينهم ونعق بينهم للبين غراب ، فتراكم ركام الهوام عليهم في الهواء واللعاب ، ومر مرير الريق فمشى في المشارع العذاب ، وامتد ساعد البلاء إلى إغلاق باب العتاب ، وسئلوا عن جورهم فقوي قلق الجوى في الجواب ، وذاقوا بعد حلاوة الخلاف من أخلاف الأوصاب الصاب ، وانتقى الانتقام نقي لذاتهم فخلت مما لذ أو طاب ، ونشبت في شيبهم وشبابهم شبا سيوف الذم وعتا العتاب ،

---
(١) التبصرة لابن الجوزي ١/١٨٠

ودخلوا إلى نار تهاب أوصافها قبل أن ينتهي إلى الالتهاب ، فلما سالت العيون دما قرعوا بالأنامل ندما لما ناب الناب وحط من ربا منهم على الربا فاستبدل صوت الأسى عن الرباب ، **فاحذروا** أن يصيبكم من نصيبكم مثل حصصهم ، فلقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب.

(ولقد رأيت معاشرا جمحت بهم ... تلك الطبيعة نحو كل تيار)

(تهوى نفوسهم هوى أجسامهم ... شغلا بكل دناءة وصغار)

(تبعوا الهوى فهوى بهم وكذا الهوى ... منه الهوان بأهله **فحذار**)

(فانظر بعين الحق لا عين الهوى ... فالحق للعين الجلية عار)

(قاد الهوى الفجار فانقادوا له ... وأبت عليه مقادة الأبرار)

إخواني: من فعل ما يحب لقي ما يكره ، ومن صبر على ما يكره نال ما يحب ، لا تقطع مشاورة العقل قبل مشاورة الهوى ، فإن المستبد برأيه واقف على مداحض الزلل ، لم تزل أكف العقل ضابطة أعنة النفوس غير أن العزم ينقلب ،." (١)

"(يؤشب الحافظ أقفاله ... وتفتح الآفات ما أشبا)

لقد هلكت في الزمان جديسه وطسمه ، ولقد ذهب من كان وكان اسمه ، فلا عينه ترى ولا رسمه ، ولا جوهره يحس ولا جسمه ، تبدد والله بالممات نظمه ، ولحق بالرفات عظمه.

كم طوفوا بالبلاد وجولوا ، كم أوعدوا أعداءهم وهولوا ، كم جمعوا وكم تخولوا ، كم اقتنوا وكم تمولوا ، كم طالوا وما تطولوا ، والمحنة أنهم على الأمل عولوا ، فما كان إلا القليل وتغولوا ، وجملة الأمر أنهم تحولوا ، واستطالت على الورى عصب ما تطولوا ، ظهروا في البلاد عصرا وطافوا وجولوا ، خولوا نعمة فلم يشكروا ما تخولوا ، فانظر الآن فيهم أي غول تغولوا ، وأقاموا فما قيل فازوا ولكن تحولوا.

كم ملأوا سهلا وجبلا شاء وإبلا ، فلما سلكوا إلى الموت سبلا ، وعاينوه يوم الرحيل قبلا ، وتهيأوا للنزول في دار البلى علموا أن ما كانوا فيه عين البلا.

(أطاعوا ذا الخداع وصدقوه ... وكم نصح النصيح فكذبوه)

(ولم يرضوا بما سكنوا مشيد ... إلى أن فضضوه وذهبوه)

(أظلوا بالقبيح فتابعوه ... ولو أمروا به لتجنبوه)

(نهاهم عن طلاب المال زهد ... فنادى الحرص ويلكم اطلبوه)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١/١٨٦

(فألقاها إلى أسماع غثر ... إذا عرفوا الطريق تنكبوه)
(وحبل العيس منتكث ضعيف ... ونعم الرأي أن لا يجذبوه)
(حسبتم يا بني حوا شقاء ... نجاؤكم الذي لم تحسبوه)
(أدين الشر منكم **فاحذروه** ... ومات الخير فيكم فاندبوه)
كان الحسن يقول: أسمع أصواتا ولا أرى أنيسا ، إنما دين أحدهم لعقة على لسانه ، ولو سألته: أتعرف يوم الحساب؟ قال: نعم. وكذب ومالك يوم الدين.." [١]

"طائفة ، فإذا رأى سليمان ما قد كثر من الموت ناداه: يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الرهبان ومن الوحوش. فيقطع النياحة ويأخذ في الدعاء ويغشى عليه ، فيحمل على سرير فإذا أفاق قال سليمان: ما فعل فلان وفلان؟ فيقول: ماتوا. فيقوم فيدخل بيت عبادته ويغلق عليه بابه وينادي: أغضبان أنت على داود إله داود؟ أم كيف قصرت به أن يموت خوفا منك!

قال علماء السير: كان داود عليه السلام قد اتخذ سبع حشايا من شعر وحشاهن بالرماد ، ثم بكى حتى أنفذها دموعا ، ولم يشرب شرابا إلا ممزوجا بدموع عينيه ، وكان
له جاريتان قد أعدهما فكان إذا أتاه الخوف سقط واضطرب فقعدتا على صدره ورجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ، وكان قد نقش خطيئته في كفه لئلا ينساها ، وكان إذا رآها اضطربت يداه.

ويقال: لو وزنت دموعه عدلت دموع الخلائق ، ولم يرفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء.

إخواني: تأملوا عواقب الذنوب ، تفنى اللذة وتبقى العيوب ، **احذروا** المعاصي فبئس المطلوب ، ما أقبح آثارها في الوجوه والقلوب.

الكلام على البسملة

(ابك من جرمك خوفا ... فحقيق بك تبكي)
(كم ركبت الذنب مغرورا ... وكم أسرعت في الفتك)
(وتبرجت بعصيانك قد غرك إمهالي وتركي ...)
(من إذا ألبستك الذل ... يراعيك ويشكي)
(من ترى يسترك اليوم ... إذا عمك هتكي)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢٦١/١

(كم تجردت لعصياني ... وكم خالفت نسكي)

(أترى تجهل عزي ... أم ترى تصغر ملكي)." (١)

"يترك سدى﴾ .

يا من تكتب لحظاته ، وتجمع لفظاته ، وتعلم عزماته ، وتحسب عليه حركاته إن راح أو غدا ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ .

ويحك إن الرقيب حاضر ، يرعى عليك اللسان والناظر ، وهو إلى جميع أفعالك ناظر ، إنما الدنيا مراحل إلى المقابر ، وسينقضي هذا المدى ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ .

مالي أراك في الذنوب تعجل ، وإذا زجرت عنها لا تقبل ، ويحك انتبه لقبح ما تفعل ، لأن الأيام في الآجال تعمل مثل عمل المدى ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ .

سترحل عن دنياك فقيرا ، لا تملك مما جمعت نقيرا ، بلى قد صرت بالذنوب عقيرا بعد أن رداك التلف رداء الردى ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ .

كأنك بالموت قد قطع وبت ، وبدد الشمل المجتمع وأشت ، وأثر فيك الندم حينئذ وفت ، انتبه لنفسك فقد أشمت والله العدا ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ .

كأنك ببساط العمر قد انطوى ، وبعود الصحة قد ذوى ، وبسلك الإمهال قد قطع فهوى ، اسمع يا من قتله الهوى وما ودى ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ .

تالله ما تقال وما تعذر ، فإن كنت عاقلا فانتبه **واحذر** ، كم وعظك أخذ غيرك وكم أعذر ، ومن أنذر قبل مجيئه فما اعتدى ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ .

فبادر نفسك **واحذر** قبل الفوت ، وأصخ للزواجر فقد رفعت الصوت ، وتنبه فطال ما قد سهوت ، واعلم قطعا ويقينا أن الموت لا يقبل الفدا." (٢)

"ببابك ، وقل أن يعيق بريح الثواب شيء من أثوابك ، والشيطان يجري منك مجرى الدم من آرابك ، فهو متمكن منك إذا قمت في محرابك إلى حين قولك الله أكبر.

تقوم إلى صلاتك وأنت متكاسل ، وتدخل في الصلاة بقلب غافل ، وتستعجل في الصلاة لأجل العاجل ، وإذا نظرت بعد الصلاة إلى الحاصل: فالجسد أقبل والقلب أدبر.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢٨٦/١

(٢) التبصرة لابن الجوزي ٢٩٣/١

يا من ذل المعاصي يعلوه ، يا مظلم القلب متى تجلوه ، هذا القرآن يتلى عليك وتتلوه ولكن ما تتدبر.
يا مغترا بالزخارف والتمويه ، تعجب بما تجمعه من الدنيا وتحويه ، هلك والله ذو عجب أو كبر أو تيه ، ونجا والله أشعث أغبر؛ أنت في دار انزعاج فاحذر منها لا تركن
إليها ولا تأمنها ، إنما أسكنتها لتخرج عنها ، فتأهب للنقلة فما يستوطن معبر ، أين من كان يتنعم في قصورها قد فسح لنفسه في توانيها وقصورها ، خدعته والله بغرير غرورها بعد أن ساس الرعايا ودبر ، نقلته والله صريعا سريعا وسلبته والله ما جمعه جميعا ، وبزته كبرا كبيرا وعزا منيعا ، أتراه يفتخر في قبره أو يتكبر ، خلا بعمله في ظلام لحده لم ينفعه غير اجتهاده وجده ، لو قضي برجوعه إلى الدنيا ورده لحدثنا بهذا أو أخبر.
فتنبه أنت من رقداتك ، وكن وصي نفسك في حياتك ، فلقد بالغت الزواجر في عظاتك ، كم تسمع موعظة وكم تجلس تحت منبر ، يا لها من نصيحة لو وجدت نفاذا ، هي حجة عليك إذا لم تكن ملاذا ، والشيء إذا لم ينفع فربما آذى ، وأنت يا هذا بعد هذا بنفسك أخبر.." (١)

"والأطيار ، ونضبت البحار والأنهار ، وبست الجبال فصارت كالغبار ، قال الملك العظيم الجبار ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ .
[قوله تعالى] : ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ .

سجع
قامت الأقدام حتى تعبت ونصبت ، وكلما سعت تعثرت في الطريق وكبت ، وسقطت الجبال ولطالما انتصبت ، وظهر المخبآت التي كانت قد احتجبت ، والحوض غزير الماء وكم نفس ما شربت ، فجيء بالنيران فزفرت وغضبت ، ونهضت مسرعة إلى أربابها ووثبت ، فانزعجت القلوب ورهبت وهربت ، وكيف لا تجزع وهي تدري أنها قد طلبت ، وموازين الأعمال على العدل قد نصبت ، ونادى المنادي فبكت العيون وانتحبت: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ . قوله تعالى: ﴿لا ظلم اليوم﴾ ميزان العدل تبين فيه الذرة فاحذروا ، الظلم ظلمات يوم القيامة فاذكروا ، إن الله سريع الحساب قد بقي القليل لإتيانه.
﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ يعني يوم القيامة. وسميت آزفة لقربها , يقال أزف شخوص فلان أي قرب.
﴿إذا القلوب لدى الحناجر﴾ وذلك أنها ترتقي إلى الحناجر فلا تخرج ولا تعود ﴿كاظمين﴾ أي مغمومين

(١) التبصرة لابن الجوزي ٣٢٢/١

ممتلئين خوفا وحزنا ﴿ما للظالمين من حميم﴾ أي قريب ينفعهم ﴿ولا شفيع يطاع﴾ فيهم فتقبل شفاعته.." (١)

"(المشيدات التي رفعت ... أربع من أهلها درس)

(أقام للأيام في أذني ... واعظ من شأنه الخرس)

(مهجتي ضد تحاربني ... أنا مني كيف أحترس)

(إنما دنياك غانية ... لم يهنأ زوجها العرش)

(فالقها بالزهد مدرعا ... في يديك السيف والترس)

(ليس يبقى فرع نائبة ... أصلها في الموت مفترس)

إخواني: حاسبوا أنفسكم قبل الحساب وأعدوا للسؤال صحيح الجواب ، واحفظوا بالتقوى هذه الأيام ، واغسلوا عن الإجرام هذه الأجرام ، قبل ندم النفوس في حين سياقها ، قبل طمس شمس الحياة بعد إشراقها قبل ذوق كأس مرة في مذاقها ، قبل أن تدور السلامة في أفلاك محاقها ، قبل أن تجذب النفوس إلى القبور بأطواقها ، وتفترش في اللحود أخلاق أخلاقها ، وتنفصل المفاصل بعد حسن اتساقها ، وتشتد شدائد الحسرة حاسرة عن ساقها ، وتظهر مخبآت الدموع بسرعة اندفاقها ، وتتقلب القلوب في ضنك ضيق خناقها ، ويطول جوع من كان في الدنيا فاكها ، وتبكي النفوس في أسرها على زمان إطلاقها.

إخواني: الأيام مطايا بيدها أزمة ركبانها ، تنزل بهم حيث شاءت ، فبينا هم على غواربها ألقتهم فوطئتهم بمناسمها.

قال الحسن: يعرض على العبد يوم القيامة ساعات عمره ، فكل ساعة لم يحدث فيها خيرا تتقطع نفسه عليها حسرات.

وكان يونس بن عبيد جالسا مع أصحابه يحدثهم فنظر في وجوههم وقال: لقد ذهب من أجلي وأجلكم ساعة.

وكتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد فقد أحيط بك من كل جانب ، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة مرحلة ، **فاحذر** الله تعالى والمقام بين يديه وأن يكون آخر عهدك به والسلام.." (٢)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١/٣٣١

(٢) التبصرة لابن الجوزي ١/٣٤٠

"اليد ، يا من إذا دعوناه لم يسدد ، كيف يختار الضلال من يعرف الطريق الأرشد ، كيف يؤثر النزول من يقال له اصعد ، إن اللبيب ليرى بعين الفكر ما في غد ، لو سمعت الحجارة وعظنا لانفطر الجلمد ، كم نصبنا لك شركا وإلى الآن لم نصطد.

(حتى متى لا تزال معتذرا ... من زلة منك لا تزال راكبها)

(تعقبها مثلها وتعقبك الحسرة ... من مثلها عواقبها)

(لتركك الذنب لا تقاربه ... أيسر من توبة تطالبها)

أيها المعرض عن شكر الإفضال والنعم ، زاحمت على حوض الغفلة النعم ، تمد يد الجهل بالإنعام إلى أخذه واقتباسه ، وتنسى عقوبة ما قد جنيته في وقت باسه ، أين الهرب بخطاك ، عجبا منك وعيني تراك ، تراك تستحي من غيري ومني لا تراك ، من الذي ستر على القبيح فيما مضى ، من الذي لطف بك في دين دينه إذا اقتضى ، يا هذا إن وجدت من يصلح لك غيرنا فاذهب ، وإن رأيت مشربا يلذ غير حلمنا فاشرب ، لو أعلمت أباك ما نعلم منك أباك ، ولو أريت أخاك ما أريتنا جفاك ، نعمنا عليك قديمة كم نبعث لك ديمة لطف بعد ديمة ، أتراك تحن إلى ودنا ، أو تراعي عهد عهدنا.

يا هذا: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، فواعجبا ممن لم ير محسنا سوى الله عز وجل كيف لا يميل بكليته إليه ، يا منعما عليه بالعافية بئس ما أنفقت فيه رأس المال ، كم ذنب لك فعله غيرك فهتك ذاك وسترت.

ويحك! احذر نفار النعم فما كل شارد بمردود! إذا وصلت إليك أطرافها فلا تنفر أقصاها بقلة الشكر!

(لك نفس يسرها ... كل شيء يضرها)

(هي تفنى على الزمان ... ويزداد شرها)." (١)

"الباني على هدمه ، يا محمولا إلى البلى لتمزيق لحمه ، أما يكفيه منذرا وهن عظمه ، كم نقربك وأنت متباعد ، كم ننهضك إلى العلا يا قاعد ، كم نحرضك وما تساعد ساعد ، كم نوقظك وأنت في اللهو راقد ، يا أعمى البصيرة وما له قائد ، يا قتيل الأمل لست بخالد ، يا مفرق الهموم والمقصود واحد ، إن لاحت الدنيا فشيطان مارد ، تقاتل عليها فتكر وتطارد ، فإذا جاءت الصلاة فقلب غائب وجسم شاهد ، وتقول قد صليت أتبهرج على الناقد ، ما تعرفنا إلا في أوقات الشدائد ، أما ذنوبك كثيرة فما للطرف جامد ، ملكك الهوى ونحن نضرب في حديد بارد.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٣٥٤/١

(وربما غوفص ذو غفلة ... أصح ما كان ولم يستقم)

(يا واضع الميت في قبره ... خاطبك القبر فلم تفهم)

كم ليلة سهرتها في الذنوب ، كم خطيئة أمليتها في المكتوب ، كم صلاة تركتها مهملا للوجوب ، كم أسبلت سترا على عتبة عيوب ، يا أعمى القلب بين القلوب ، ستدري دمع من يجري ويذوب، ستعرف خبرك عند الحساب والمحسوب ، أين الفرار وفي كف الطالب المطلوب ، تنبه للخلاص أيها المسكين ، أعتق نفسك من الرق يا رهين ، اقلع أصل الهوى فعرق الهوى مكين ، **احذر** غرور الدنيا فما للدنيا يمين ، يا دائم المعاصي سجن الغفلة سجين ، تثب على الخطايا ولا وثبة تنين ، كأنك بالموت قد برز من كمين ، وآن الأمر فوقعت في الأنين ، واستبنت أنك في أحوال عنين ، كيف ترى حالك إذا عبثت الشمال باليمين ، ثم نقلت ولقبت بالميت الدفين ، وا أسفا لعظم حيرتك ساعة التلقين ، يا مستورا على الذنوب غدا تنجلى وتبين ، متى هذا القلب القاسي يرعوي ويلين ، عجبا لقسوته وهو مخلوق من طين.

(وقبل شخوص المرء يجمع زاده ... وتملأ من قبل الرماء الكنائن)

(حصادك يوما ما زرعت وإنما ... يدان المرء يوما بما هو دائن)

ساعات السلامة بين يديك مبذولة ، سابق سيوف الآفات فإنها مسلولة ،." (١)

"جميعا فأقبل على المال يلعنه ويسبه ويقول: لعنت من مال! أنت الذي أنسيتني ربي تبارك وتعالى وأغفلتني عن العمل وأخرتني حتى بلغني أجلي. فتكلم المال وقال: لا تسبني ، ألم تكن وضيعا في أعين الناس فرفعتك؟ ألم ير عليك من أثري؟ وكنت تحضر سوق الملوك فتدخل ويحضر عباد الله الصالحون فلا يدخلون؟ ألم تكن تخطب بنات الملوك والسادات فتنكح ، ويخطب عباد الله الصالحون فلا ينكحون ألم تكن تنفقني في سبيل الخبيث فلا أتعاصى ولو أنفقتني في سبيل الله لم أتعاص عليك؟ فأنت اليوم ألوم مني ، إنما خلقت أنا وأنتم يا بني آدم من تراب ، فمنطلق ببر ومنطلق بإثم.

فهكذا يقول المال **فاحذروا**.

كان ملك الموت يأتي الناس في صورة البشر ، فركب بعض الجبارين في جنده يوما فلقيه ملك الموت فقال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. فقال: دعني آتي أرضي التي خرجت إليها ثم أرجع من موكبي. فقال: لا والله لا ترى أرضك أبدا ولا ترج ع من موكبك أبدا. قال: فدعني أرجع إلى أهلي. فقال: لا والله لا ترى أهلك أبدا. فقبض روحه.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١/٣٥٨

وبينا رجل ينظر في أصناف ماله طلع ملك الموت فقال: والذي خولك ما ترى ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك. قال: فالمهلة حتى أفرقه. قال: هيهات! انقطعت عنك المهلة.

ولاح ملك الموت لرجل فقال لأهله: ايتوني بصحيفة. فقال ملك الموت: الأمر أعجل من ذلك. فقبض روحه قبل أن يؤتى بالصحيفة.

إخواني: استدركوا قبل الفوت وانتهوا قبل الموت ، وأصيخوا فقد أسمع الصوت.." (١)

"المجلس التاسع والعشرون

في فضل عمر بن الخطاب

الحمد لله خالق كل مخلوق ، ورازق كل مرزوق ، سابق الأشياء ، فما دونه مسبوق ، موجد المنظور والملبوس والمذوق ، أنشأ الآدمي بالقدرة من ماء مدفوق ، وركب فيه العقل يدعو إلى مراعاة الحقوق ، والهوى يحث على ما يوجب العقوق ، **فاحذر** وفاق المشتهى فإنه يرمي لا من فوق فوق ، فسح داود لنفسه في نظرة فاتسعت الخروق ، وغفل ابنه سليمان عن طاعته " ﴿فطفق مسحا بالسوق﴾ ".

أحمده على ما يقضي ويسوق مما يغم وما يشوق ، وأقر له بالتوحيد هاجرا يغوث ويعوق ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله وقد ازدحمت سوق الباطل في أروج سوق ، فدمغ بحقه أهل الزيغ وأرباب الفسوق ، صلى الله عليه وعلى آله ما هب الهواء ولمعت البروق ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق ، وعلى عمر الملقب بالفاروق. وعلى عثمان الصابر من الشهادة على مر المذوق ، وعلى علي مطلق الدنيا فما غره الزخرف والراووق ، وعلى العباس أقرب الكل نسبا وأخص العروق.

اللهم يا مالك المساء والشروق ، احفظنا من مساءة الحوادث والطروق ، وهب لنا من فضلك ما يصفو ويروق ، وزد آمالنا من إحسانك فوق ما نرجو ونتوق ، وافتح لي وللحاضرين موق بصر البصيرة لحبيب الموق.." (٢)

"(خرس إذا ناديت إلا أنهم ... وعظوا بما يزع اللبيب فأسمعوا)

(والدهر يفتك بالنفوس حمامه ... فلمن تعد كريمة أو تجمع)

(عجبا لمن يبقي ذخائر ماله ... ويظل يحفظهن وهو مضيع)

(ولغافل ويرى بكل ثنية ... ملقى له بطن الصفائح مضجع)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٤١٩/١

(٢) التبصرة لابن الجوزي ٤٢١/١

(أتراه يحسب أنهم ما أسأروا ... من كأسه أضعاف ما يتجرع)

كأنكم بالأمور الفظيعة قد حلت ، وبالدنيا التي تولت قد تولت ، وبالنفس العزيزة عند الموت قد ذلت ، ويحاكم أخطأت وكم قد زلت ، متى يقال لهذه الغمرة التي قد جلت قد تجلت ، عجبا لنفس كلما عقدنا نفعها حلت.

(أوجز الدهر في العظات إلى ... أن جعل الصمت غاية الإيجاز)

(منطق ليس بالنثير ولا الشعر ... ولا في طرائق الرجاز)

(وعدتنا الأيام كل عجيب ... وتكون الوعود بالإنجاز)

(والليالي هوازي راجعات ... في أبي جادها وفي هواز)

(أوعز الدهر بالفناء إلى الناس ... فواها لذلك الإيعاز)

(أعرضوا عن مدائح وتهان ... فالمراثي أولى بكم والتعازي)

أحضروا قلوبكم للنصح والتواصي ، **واحذروا** يوم الأخذ بالنواصي ، تذكروا جمع الداني والقاصي ، أسمعت يا من يروح في المعاصي ويبكر ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ .

واعجبا كيف نحدث السكرى وقد ملأتهم الغفلة ، سكرى ما يعقلون إلا بطارق النكراء ، وكم تلي عليهم الوعظ ذكرى ، هيهات ، إنما تنفع الذكرى المتذكر.

أيها النصيح أترى المنصوح أصم ، بين له قبح ما قد جمع وضم ، فإن أفعاله جميعها توجب الذم ، ومتى رأيت النسيان للعواقب قد عم ، يا من يرى هواه." (١)

"(**واحذر** الأخرى لهول ... يومه يوم عصيب)

(يوم لا يسلم مغرور ... ولا ينجو مريب)

(أطع الناصح إذ ناداك ... فالموت عجيب)

(كم ترى نسمعك النصح ... وكم لا تستجيب)

يا من لا يتعظ بسلف آبائه ، يا من لا يعتبر بتلف أو دائه ، يا أسير أغراضه وقتيل أهوائه ، يا من عجزت الأطباء عن إصلاح دائه ، يا مشغولا بذكر بقائه عن ذكر فنائه ، يا مغرورا قد حل الممات بفنائه ، يا معجبا بثوب صحته يمشي في خيلائه ، يا معرضا عن نصيحه مشمتا لأعدائه ، يا من يلهو بأمله ، ويا من أجله من ورائه ، يجمع العيب إلى الشيب وهذا من أقبح رائه ، كم رأيت مستلبا من سرور ونعمائه ، كم شاهدت

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١/٤٣٣

مأخوذا عن أحبابه وأبنائه ، بينا هو في غروره دب الموت في أعضائه ، بينا جرع اللذة فيه شرق بمائه ، بينا ناظر النظير يعجبه صار عبرة لنظرائه ، ماله ضيع ماله وبقي في بلائه.

(باتت همومي تسري طوارقها ... أكف عيني والدمع سابقها)

(هما طريقان فائز دخل الجنة ... حفت به حدائقها)

(وفرقة في الجحيم مع تبع الشيطان ... يشقى بها موافقها)

(اقترب الوعد والقلوب إلى اللهو ... وحب الحياة سائقها)

(ما رغبة النفس في البقاء وإن ... عاشت قليلا فالموت لاحقها)

(أيامها غاية إليه ويحدوها ... حثيثا إليه سائقها)

(وكل ما جمعت وأعجبها ... من عيشها مرة مفارقها)

(يوشك من فر من منيته ... في بعض غراته يوافقها)

(من لم يمت عبطة يمت هرما ... للموت كأس والمرء ذائقها)

يا من تجبر على مولاه وتمرد ، واستل سيف البغي وجرد ، كم ينعم عليك فتنسى وتجحد ، كم تشيع من ميت وترى لحد ملحد ، يا قليل الزاد وألوية الرحيل تعقد ، يا من بين يديه النار بالأحجار توقد ، ينزل اللطف في جمع." (١)

"المجلس الثالث والثلاثون

في فضل الصحابة رضي الله عنهم

الحمد لله القديم الأحدي، العظيم الصمدي، الدائم الأبدي، القائم السرمدي، رفع بقدرته السماء وأجرى بحكمته الماء، وعلم آدم الأسماء، وأمكنه من العيش الهني، فخالف بالأكل الصواب، فكشف الخلاف عنه الجلباب، فخرج وما يعرف الباب لشؤم ارتكاب المنهي، ويستدرك سالف الفوات حتى عطفت على تلك العبرات رحمة الراحم الخفي، فاحذر من الأفعال الخباث فإنها سبب الالتياث، وتعلق بالمستغاث ينقذك من جهل العلماء فإنه سريع الفرج، إذا اشتد الأمر ضيقا فرج ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ رفقا بالضعيف والقوي.

من لاذ بجنابه مريضا صلح، من عاذ ببابه سائلا فتح، سبحانه لقد جاد وسمح وحتى على الفاجر الشقي، ذل لجلاله من شمخ، وقل لكماله من بذخ، وخرج الليل بقدرته وانسلخ عن النهار النقي، تفرد بالإنعام

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٤٦٦/١

والجود، وأذل الأعناق له بالسجود، وتنزه عن مشابهة كل موجود بالوجود الأزلي، سعد من بطاعته يلوذ، ونجا من بحريمه يعوذ، وأمره في خلقه نفوذ، فما حيلة المرمى، بعلم خفي الخافي من السر، ويسمع أنين المضطر في الضر، ويرى دبيب الذر في البر تحت أخفاف المطي، لا يعزب عن سمعه خفي الركز، ولا يمنع أمره حصين الحرز، تعالى أن يشابه المخلوق في العجز بالعز الأبدي، يوصف بالحياة والكلام والسمع والنفس، وجلت صفاته عن وهم الحدس إنما هو." (١)

"الغرض، من لك إذا ضقت عند الموت بالأهوال ذرعا، وحالت منك الحلى وأجدب المرعى، واجتث البلاء منك أصلا وفرعا، سالت الأماقي إذا لم ينفع الراقي دمعا، ولم يستطع للأذى ردا ولا للردى دفعا، وأخرس الموت منك لسانا وأصم سمعا، وأضحى خشن التراب بعد لين الثياب لك درعا، وأصبحت لقى بين القوم في الثرى صرعى، يا من [هو] غرض الآفات

ترشقه سهامها رشقا، لا بد مما وصفنا حتما وحقا، فتأهب للفناء فقل ما تبقى، وتهيأ للبلى فبعيد أن تتوقى، وأصخ لهاتف العبر فقد حادثتك نطقا، وبادر السلامة فيستحيل الصفور نقا، **واحذر** على نفسك أن تخسر وأن تشقى، واعمل ليوم ترى فيه مدامع الخلائق لا ترقا، وهم في أمر عظيم وأكرمهم عند الله الأتقى، إن أعطيت بخلت بالمال وبطرت، ومتى نبت ريش رياشك نبت أرض الشكر فطرت، كيف بك يوم تكوى بها جباههم، من لك حين توبيخ: ﴿هذا ما كنزتم﴾ :

(ترمم المال وبالعرض ثلم ...)

(لا سلم المال إذا العرض ثلم ...)

(قد كنت ناديتك والأمر أمم ...)

(فلم تطعني رب رأي متهم ...)

(سمعك واع وبعقلك الصمم ...)

(موارد الجهل مصادر الندم ...)

(ومن رمي بالموقظات لم ينم ...)

قال كعب: إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة، فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة: إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال القيام لله عز وجل. فيأتونه من قبل رأسه فيقول

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١/٤٧٦

الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله عز وجل في دار الدنيا. فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه. ويأتونه من قبل يديه." (١)

"بلغنا أنه كان يصوم يوم عاشوراء علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعلي بن الحصين وسعيد بن جبير وطاوس. وفي الجملة هو يوم عظيم فينبغي أن يفعل فيه ما يمكن من الخير. [فهو وأمثاله مواسم الخيرات فاغتنموها واحذروا الغفلات] .

الكلام على البسملة

(خلقنا لأحداث الليالي فرائسا ... تزف إلى الأجداث منا عرائسا)

(تجهز منا للقبور عساكرا ... وتردف أعواد المنايا فوارسا)

(إذا أمل أرخى لنا من عنانه ... غدا أجل عما نحاول حابسا)

(أرى الغصن لما اجتث وهو بمائه ... رطيبا وما أصبح الغصن يابسا)

(نشيد قصورا للخلود سفاهة ... ونصبر ما شئنا فتورا دوارسا)

(وقد نعت الدنيا إلينا نفوسنا ... بمن مات منا لو أصابت أكايسا)

(لقد ضربت كسرى الملوك وتبعا ... وقيصر أمثالا فلم نر قائسا)

(نرى ما نرى منها جهارا وقد غدا ... هواها على نور البصيرة طامسا)

(وقد فضح الدنيا لنا الموت واعظا ... وهيهات ما نزداد إلا تقاعسا)

غيره:

(أبدا تفهمنا الخطوب كرورها ... ونعود في عمه كمن لا يفهم)

(تلفى مسامعنا العظات كأنما ... في الظل يرقم وعظه من يرقم)

(وصحائف الأيام نحن سطورها ... يقرا الأخير ويدرج المتقدم)

(لحد على لحد يهال ضريحه ... وبأعظم رمم عليها أعظم)

(من ذا توقاه المنون وقبلنا ... عاد أطاحهم الحمام وجرهم)

(والتبعان تلاحقا ومحرق ... والمنذران ومالك ومتمم)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٤٨٤/١

كأنك بما يزعج ويروع، وقد قلع الأصول وقطع الفروع، يا نائما إلى كم هذا الهجوع، إلى متى بالهوى هذا الولوع، أينفعك وقت الموت الدموع، كم لك إلى." (١)

"التقى عند النزع نزوع، هيهات لا ينفع الذل إذا والخضوع، يقول فرقوا المال فالعجب لجود المنوع، هذا وملك الموت يسلها من بين الضلوع، رشقك سهم المنون فما أغنت الدروع، وأتى حاصد الزرع وأين الزروع، وخلت منك المساكن وفرغت الربوع، وناب غراب البين عن الورقاء السجوع، وتمنيت أن لو زدت من سجود وركوع، **فاحذر** مكر العدو ولا تقبل قول الخدوع.

(ضيعت وقتك فانقضى في غفلة ... وطويت في طلب الخوادع أدهرا)

(أفهمت عن هذا الزمان جوابه ... فلقد أبان لك العظات وكررا)

(عانيت ما ملأ الصدرو مخافة ... وكفاك ما عاينته من أخبرا)

يا عجبا كيف أنس بالدنيا مفارقها، وأمن النار واردها، كيف يغفل من لا يغفل عنه، كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره إلى أجله وحياته إلى موته.

إخواني: الدنيا في إدبار، وأهلها منها في استكثار، والزارع فيها غير التقى لا يحصد إلا الندم.

قال لقمان لابنه: يا بني لكل إنسان بيتان: بيت شاهد وبيت غائب، فلا يلهينك بيتك الحاضر الذي فيه عمرك قليل عن بيتك الغائب الذي عمرك فيه طويل.

إخواني: أنفاس الحي خطاه إلى أجله وربما أورد الطمع ولم يصدر يا من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه تيقظ، الجد الجد قبل بغتات المنايا ومجاورة أهل البلى، ليحلن بكم من الموت يوم ذو ظلم ينسيكم معاشرة اللذات والنعم، ولا يبقي في الأفواه إلا طعم الندم.

(سل بالزمان خبيرا ... إنه به لعليم)

(داعي الأمانة ظاعن ... بالمرء وهو مقيم)

(ووراء ضيق حياته ... نفس وليس يدوم)." (٢)

"(لهفي على عيش مضى برامة ... أورد مشتاقا به تلهف)

(يا مالكي رق المحب قسما ... عليكم بحبه تعطفوا)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٨

(٢) التبصرة لابن الجوزي ٢/٩

(ويا حداة الظعن قد أسلمني ... إلى الضنا فراقكم لي فقفوا)

(لعلني أن أشتفي بنظرة ... يبل منها المستهام المدنف)

(ففي الضلوع جمرة ماتنطفي ... وفي الشؤون عبرة ما تنزف)

إخواني: كأنكم بالحافظ الذي حرسكم وقد حصدكم بعد أن غرسكم، وبعث الموت فسيب فرسكم وفرسكم، فلينوا إلى التقى في هذه الأشهر وخلوا شرسكم ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ .

هذه أوقات معظمة وساعات مكرمة وقد صيرتم ضحاها بالذنوب عتمة، فبيضوا بالتوبة صحفكم المظلمة، فالملك يكتب خطاكم ونفسكم ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ .

لقد ضيعتم معظم السنة فدعوا من الآن هذه السنة، واسمعوا المواعظ فقد نطقت بألسنة، ودعوا الخطايا فيكفي ما قد وكسكم ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ .

البدار البدار قبل الفوت، **الحذار الحذار** فقد قرب الموت، اليقظة اليقظة فقد أسمع الصوت، قبل أن يضيق الحساب محبسكم ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ . لا بد أن تنطق الجوارح وتشهد عليكم بالقبائح، فاملأوا الأوقات بالعمل الصالح، فإنكم إذا نزلتم بطون الصفائح آنسكم ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ .

اعزموا اليوم على ترك الذنوب، واجتهدوا في إزالة العيوب، **واحذروا** سخط علام الغيوب، واكتبوا على صفحات القلوب مجلسكم ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ .." (١)

"معرضا، **فاحذروا** أن يفوتكم الغفران مع الرضا. أين من استدرك باقي ساعاته وقضى، وطالب نفسه بالإنابة واقتضى، أين من خاف لهب السعير وحر لظى، فبادر إلى ما يؤثر من الخير ويرتضى، أين من جرد سيف التوبة على الخطايا وانتضى، قبل أن يعود بعد التحريض حرضا.

آه لأوقات مضت من رجب لا سبيل إلى رجوعها، وأهلا بنفوس صبرت فيه على عطشها وجوعها، ويا أسفا لأعمال ما يقبل شيء من مرفوعها، ولأصوات ردت لعدم صدق مسموعها.

إخواني: فارقوا خطاياكم قبل مفارقته، وسابقوا بالتوبة رحيله قبل مسابقته، واعلموا أن الأوقات عليكم شاهدة بما هي منكم مشاهدة. **فالحذار الحذار** أن يفوت وقت الاقتدار، فما زالت الدنيا تخدع وتغر ثم ترحل وتمر.

(غنتك دنياك الخلوب ... وحبها في الكف عود)

(أما إساءتها فقد ... كانت وحسناها وعود)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٢٩

لغربان الموت على ديارنا نعيب، ونحن نحرص على ما لطالبه نعيب، الخلق بأسرهم في قبضة التلف أسرى، وما يعدونه أرباحا يعود غدا خسرا، سيف المنون ما ينبو ولا يقنع، وبطن الأرض يأكل الخلائق وما يشبع. إخواني: لا للموت بالاستعداد تنتظرون، ولا بالقلوب في الذكر تحضرون، وكأنكم للتلف تأمنون أو بالوعيد ما تؤمنون، أما علمتم أنكم ترحلون، أما ترون الأقران أين ينقلبون، كأننا والله بنا إذ قدمنا وقد ندمنا، ووضع الحساب وقدمنا، وطلبنا ما يرضي من العمل فعدمنا، وربح المتقون بالتقى وحرمنا، وأقمنا لقراءة الصحف فلما فهمنا همنا، فرحم الله عبدا استدرك بقية هذا الشهر فربما لا يرى مثله في الدهر، قبل أن يؤخذ بشدة القهر ويحاسب على فعل السر والجهر.

واعلموا أن اليوم السابع والعشرين منه يوم معظم.." (١)

"الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل ينكح ويولد له ولقد خرج اسمه في الموتى ".

فهذا الحديث وحديث عائشة لم يعين فيهما متى يكون ذلك من شعبان وقد روي في حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ليلة النصف من شعبان تنسخ فيها الآجال والأرزاق.

وقال أبو هريرة، إذا كان هلال شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة يقبض من فيها إلى شبعان من قابل، فإن الرجل ليغرس الغرس ويبني البنيان وينكح ويولد له ويظلم ويفجر وما له في السماء اسم وما اسمه إلا في صحيفة الموتى إلى أن يأتي يومه الذي يقبض فيه أو ليلته.

فيا أيها الغافل تنبه لرحيلك ومسراك، **واحذر** أن تستلب على موافقة هواك، انتقل إلى الصلاح قبل أن تنقل، وحاسب نفسك على ما تقول وتفعل، ولا تغفل عن التدارك الله الله لا تفعل.

الكلام على البسملة

(قد آن بعد ظلام الجهل إبصاري ... الشيب صح يناجيني بإسفار)

(ليل الشباب قصير فاسر مبتدرا ... إن الصباح قصارى المدلج الساري)

(كم اغتراري بالدنيا وزخرفها ... أبني بناها على جرف لها هاري)

(ووعد زور وعهد لا وفاء له ... تعلم الغدر منها كل غدار)

(دار مآنها تبقى ولذتها ... تفنى ألا قبحت هاتيك من دار)

(فليت إذ صفرت مما كسبت يدي ... لم تعتلق من خطاياها بأوزار)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٣٩

(ليس السعيد الذي دنياه تسعده ... إن السعيد الذي ينجو من النار)
لقد بالغت المواعظ وبلغت أي إبلاغ وأي بلوغ، وأنت تتلون هكذا وهكذا ثم تروغ إياك وسؤر الهوى فسؤر الهوى ما يسوغ، وقد رأيت غيرك أفلا يتعظ الملدوغ، يا ممحلا قد أجدب عامه، يا مغرقا قد أهلك قلبه سلمه،." (١)

"وطول الغفلة ثم راجع بتوبة، فهذا صاحب يمين. ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب شمال.
إخواني: المعاصي تنكس الرأس وما مخلط كمن كاس، ولا بان على رمل كمحكم الأساس، إن بينهما كما بين الطهارة والأنجاس، وعلى وجه الطائع نور طاعته وعلى وجه العاصي ظلام مخالفته، وعند الموت يتلقى هذا بالبشارة ويقع هذا في الخسارة، وفي القبر يفترش هذا مهاد الفلاح ويلقى ذاك على حسك القباج، وعند الحشر هذا يركب وذاك يسحب، ثم يقال للعصاة: هلا ذكرتم وللطائعين: سلام عليكم بما صبرتم. كم بين خجل يذل وبين طائع يدل. إياكم إياكم والذنوب، **احذروا** عواقب العيوب، لقد ورطت الذنوب أربابها أي إيراط، وأسعطت أصحابها أي إسعاط، وأبعدتهم عن أغراضهم أشواطا بعد أشواط، وضربت عليهم سرادقا من الندم بعد فسطاط، هذا جنى
الجناية فأين التقي المحتاط. تنبهوا لهذا يا أصحاب اللمم الشماط، تيقظوا فهذا الموت بكم قد أحاط، إياكم والزلل فكم من دم قد أشاط، آذيتم أنفسكم بالذنوب فمهلا كم إفراط، هذا العدو مراصد فعليكم بالرباط، هذا الفتور وإنما مهر الجد النشاط، سار الصالحون وقد سلكتم غير الصراط، ما الذي شغلكم عن أهل المحبة؟ جمع الحبة والقيراط، كانوا يصومون وأنتم مفطرون، ويقومون وأنتم نائمون، ويبكون خوفا وأنتم تضحكون.
روي عن هشام، قال: بلغني أن مناديا ينادي من أول الليل: أين العابدون. فيقوم ناس فيصلون ثم ينادي في وسط الليل: أين الفائزون فيقوم ناس فيصلون. ثم ينادي في السحر: أين المستغفرون؟ فيقوم ناس فيصلون. فإذا أصبح قال: أين الغافلون.
يا من إذا صلى خفف وإذا كال طفف، وإذا دعي تخلف، وإذا قيل له تب سوف، ما يؤثر عنده قول من

---
(١) التبصرة لابن الجوزي ٤٨/٢

حذر وخوف، ثم يطمع في لحاق الصالحين فما أنصف، جد القوم وأنت قاعد، وقربوا وأنت متباعد، كم بين راغب وزاهد، كم." (١)

"بين ساهر وراقد، شغلهم حب مولاهم عن لذات دنياهم، اسمع حديثهم إن كنت ما تراهم، خوفهم الشديد قد أزعج وأقلق، وحذرهم العظيم قد أتلف وأحرق، وحادي جدهم مجد ما يترفق، كلما رأى طول الطريق نص وأعنق، وكيف يحسن الفتور وأوقات السلامة تسرق، دموعهم في أنهار الخدود تجري وتتدفق، يكاد حزينهم لكثرة الذنوب يشرق، يشتاقون إلى الحبيب والحبيب إليهم أشوق، يا حسنهم في الدجى ونورهم قد أشرق، والحياء فائض والرأس قد أطرق والحنين والأنين قد أخرسا الحمام المطوق، والأسير يبكي ويشكو ويرجو أن يعتق، فإذا جاء النهار دخلوا سورا من التقى بعد خندق، تعرفهم بسيماهم وللصدق رونق، اسلك طريقهم وسل معينهم توفق. **احذر** من الهوى فالهوى عدو أزرق، يا من كلما أتهم ناصحه أنجد، وكلما غرب شرق، قد بقي القليل وهذا الرهن يغلق.

(أستغفر الله الذي بقضائه ... مطر السحاب وأخصب الأب)

(تبا لقوم أذهبوا أوقاتهم ... لعبا وأشهد أنهم تبوا)

(وصبوا إلى الدنيا فكلهم بها ... كلف يغر بحبها صب)

(شنوا الحروب على حطام زائل ... وعلى فساد غرائز شبوا)

(رقدوا فما فقدت كرى أجفانهم ... حتى إذا حان الردى هبوا)

(لبوا وقد دعت الدعاة إلى الخنا ... فجميعهم خطئوا فما لبوا)

يا قليل النظر في أمره، يا غافلا عن ذكر قبره، أما نقل الموت واحدا واحدا، وها هو قد أضحى نحوك قاصدا، كم سلب ولدا وأخذ والدا، إلى متى تصبح جاهلا وتمسي ماردا، وتحث على النهوض وما تبرح قاعدا، متى يذوب دمع ما يزال جامدا، متى ينقص جهل ما يفتأ زائدا، يا من إذا قاربه النصح أضحى متباعدا، لقد نظرت لنفسك نظرا فاسدا، كم أشمت بك عدوا وأفرحت حاسدا، يا نائما عن خلاصه راقدا؛ يا مريضا ما نرى له عائدا، كم نوضح الأمثال ونضرب حديدا باردا، أترضى هذا الحال أن يكون زادا لارتحال، تذكر عبث اليمين والشمال إذا خابت جميع الآمال ورأيت حسرة ما." (٢)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٥١

(٢) التبصرة لابن الجوزي ٢/٥٢

"جاهد هواك في الدنيا فالفخر للمرابط، نظر لمن تعاشر واعرف لمن تخالط، **احذر** جزاء القسط عليك يا قاسط، لا تغترر بالسلامة فربما قبض الباسط، في لنا بالشروط ونحن نفي بالشرائط، ذكر نفسك بالموت ذاك الشديد الضاغط، إذا تحيرت في الأمور وزال الجأش الرابط، لا تنفع الأقارب ولا تدفع الأراهط، ونفس النفس يخرج من سم إبرة خائط.

باع قوم جارية قبيل رمضان، فلما حصلت عند المشتري قال لها هيئي لنا ما يصلح للصوم، فقالت لقد كنت قبلكم لقوم كل زمانهم رمضان!

لله در أقوام تفكروا فأبصروا، ولاحت لهم الغاية فما قصروا، وجعلوا الليل روح قلوبهم والصيام غذاء أبدانهم، والصدق عادة ألسنتهم والموت نصب أعينهم.

كتب رجل إلى داود الطائي: عظني. فكتب إليه: أما بعد فاجعل الدنيا كيوم صمته عن شهوتك واجعل فطرك الموت فكأن قد صرت إليه. فكتب إليه: زدني. فكتب إليه: أما بعد فارض من الدنيا باليسير مع سلامة دينك كما رضي أقوام بالكثير مع ذهاب دينهم. والسلام.

كان داود الطائي قد ورث من أبيه عشرين دينارا فأنفقها في عشرين سنة. وكان جالسا في داره فإذا وقع سقف تقدم إلى موضع آخر إلى أن بقي دهليز الدار فمات فيه. وتحت رأسه لبنة فدخل عليه ابن السماك فقال: اليوم ترى ثواب ما كنت تعمل!

ورآه بعض أصحابه في المنام فقال له: أوصني، فقال: داو قروح باطنك بالجوع واقطع مفاوز الدنيا بالأحزان، وآثر حب الله على هواك لا تبال متى تلقاه.

طوبى لعبد بالغ في **حذاره**، واحتفر بكف فكره قبره قبل احتفاره، وانتهب زمانه بأيدي بداره، وأعذر في الأمر قبل شيب عذاره، ولم يرض في زاده." (١)

"(ولهم عندي مزيد ولهم ... من نوالي ما أحبوا طرفا)

(فارقوا أوطانهم إذ قصدوا ... نحو بابي يطلبون الزلفى)

(فلهم مني مهما أملوا ... سلفا ينمى وينشي خلفا)

قد أحرم القوم عن الحلال فأحرموا أنتم عن الحرام، منعوا أنفسهم من الطيب **فاحذروا** أنتم جيفة الهوى، يا حسنهم وقد نزعوا المخيط ونزعوا عن التضييع والتفريط، وملأوا بالتضرع البسيط، فارقوا لأجل مولاهم أولادهم، وأعروا عن رقيق الثياب له

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٨٤

أجسادهم، وتركوا في مراضيه محبوبهم ومرادهم، فأصبحوا قد أعطاهم مولاهم وأمسوا وقد أفادهم.
استسعاهم إليه فاجتهدوا وجدوا، وتزودوا التقوى في طريقهم واستعدوا، وأتعبوا الأعضاء في خدمته وكدوا، وطرقوا بأنامل الرجاء باب اللجا فما ردوا، ناداهم وهم في الأصلاب والأرحام، واستصلحهم لزيارة بيته الحرام، وأكرمهم بالغفران فيا نعم الإكرام، ورحم شعث الرؤوس وغبار الأقدام، وأنتم إن بعدتم عن ذلك المقام فقد شاركتموه م في الإيمان والإسلام، فارغبوا بالتضرع إلى المليك العلام، فإنه معروف بالفضل موصوف بالإنعام.
ذكر عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال: صحبت جعفر الصادق رضي الله عنه فلما أراد أن يلبي تغير وجهه وارتعدت فرائصه فقلت: مالك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أردت أن ألبي. قلت: فما يوقفك؟ قال: أخاف أن أسمع غير الجواب!
وقف مطرف وبكر ابنا عبد الله فقال مطرف: اللهم لا تردهم من أجلي. وقال بكر: ما أشرفه من مقام لولا أني فيهم!
وروي عن الفضيل بن عياض أنه وقف بعرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة، فلما كادت الشمس أن تسقط قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: واسوأتاه منك وإن عفوت!." [١]
"(ولسنا بأبقى منهم غير أننا ... أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا)
أف لنفس تؤثر ما يضيرها، ما ترعوي وقد مر نظيرها، ما تصغي إلى المواعظ وقد قال نذيرها، أما نهاها لما علاها قتيرها، أما لاح لبصر البصيرة مصيرها، أما يرجع إلى العقول مستشيرها، أتقدر على نفس إن تلفت تستعيرها؟ قل لهذه النفس الجهولة في فعلها ويحها إنما تسعى في قتلها، أما لها عبر ممن كان قبلها، كأنها بها تبكي على الأيام كلها، إذا حانت المنية وبعثت بعض رسلها، وعبثت يد القاطع بموصول حبلها، وامتدت كف الأجل إلى عرى الأمل تحلها.
(تساوى الناس في طرق المنايا ... فما سلم الصريح ولا الهجين)
(تدينا البقاء من الليالي ... ومن أرواحنا توفى الديون)
(كأنا قد شككنا في المنايا ... وعند جميعنا الخبر اليقين)
إخواني: تأملوا العواقب تأمل من يراقب، وتفكروا في النهاية فعين العقل ترى الغاية، الموت قريب أمم، كم أهلك من أمم، لقد ارتهن الذمم وتشبث باللمم، فيا من ستخلق منه الرمم أسماع أم صمم، من ارتحل بغير الطبع حسن وحزم، من علم شرف المطلوب جد وعزم، إنما يكون الاجتهاد على قدر الهمم، إنما ينافس

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١٤٢/٢

في المطلوب على حسب القيم:

(وحب دنياك طبع في المقيم بها ... وقد منيت بقرن منه غلاب)

(لما رأيت سجايا الدهر ترحضني ... رددت قدري إلى صبري فأغلى بي)

(والعقل يسعى لنفسي في مصالحها ... فما لطبع إلى الآفات جذاب)

(**احذر** من الناس أدناهم وأبعدهم ... وإن لقوك بتبجيل وترحاب)

(كلمت باللحن أهل اللحن أونسهم ... لأن عيبي عند القوم إعرابي)

(عند الفراقد أسراري مخبأة ... إذ لست أرضى لآرابي بآراب)

أيها الشاب تدبر أمرك فإنك في زمن الربح ووقت البذر وإبان الفضائل، **احذر** أن يخدعك العدو عن نفيس هذا الجوهر فتنفقه بكف التبذير، تالله لئن فعلت لتغرسن بذلك شجرة الندامة فيتساقط عليك من كل فنن منها فن." (١)

"حسرة. واعرف قدر ما تؤمن به هذا الجوهر من الفضائل، **واحذر** من اختلاس العدو له، فصابر فكأن قد انقضى الموسم.

واعلم أن الشيطان يراصدك ليفتنك وقوة الطبع له عليك، والشباب شعبة من الجنون، فاكسر عادية الهوى بوهن أسبابه.

وقال أبو موسى: طوبى لمن وفى شر شبابه. وقال أبو بكر ابن عياش: وددت أنه صفح لي عما كان في الشباب وأن يدي قطعت!

واعلم أنه لما كان جهاد الشباب ومخالفة الطبع صعبا صار الشاب التائب حبيب الله عز وجل.

إخواني: من رأى التناهي في المبادي سلم، ومن لم ير العواقب شغله ما هو فيه عما بين يديه.

يا هذا: أما ما قد مضى من ذنوبك فليس فيه حيلة إلا التدارك، فرب مدرك لما فات، الأسى بالأسى، وأنا أضرب لك مثلا لتحذر فيما بعد جنس ما كان قبل: إذا راقت

الحلواء لمحموم اعترك الهوى والعقل فالهوى ينظر إلى العاجل والعقل يتلمح العواقب، فإن آثر مشورة العقل منع نفسه عما تشتهي نظرا إلى ما إليه الصبر ينتهي، فإذا زالت حماه تناول من غير أذى ما اشتهاه، وإن اجتذبه رائق المشتهى فأنساه المنتهى تمتع يسيرا ببلوغ الغرض فزاد به ذلك المرض، وربما ترقى إلى الموت ولا تدارك بعد الفوت. فيا عجبا لمختار العاجل وهو يعلم ندمه في الآجل، لقد ضيع موهبة العقل الذي به

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١٦٩/٢

شرف الآدمي، وزاحم البهائم في مقام النظر إلى الحاضر.

الكلام على قوله تعالى

﴿وترى كل أمة جاثية﴾ الجاثية: الجالسة على الركب. والمعنى أنها غير مطمئنة، والأقدام يوم القيامة." (١)

"(ذلك الخائب الشقي وإن كان ... يرى أنه من السعداء)

الكلام على قوله تعالى

﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئا﴾

ميزان العدل يوم القيامة مستقيم اللسان، تبين فيه الذرة فيجزى العبد على الكلمة قالها في الخير والنظرة نظرها في الشر، فيا من زاده من الخير طفيف، **احذر** ميزان عدل لا يحيف.

أخبرنا ابن المذهب بسنده عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر؛ ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب فيقول: بلى؛ إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك؛ فيخرج لها بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة. قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ".

البطاقة: القطعة.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر بسنده عن يونس بن عبيد عن الحسن قال: بينا عائشة رضي الله عنها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حين يوضع حتى يعلم أتثقل موازينه أم تخف، وعند الكتاب حين يقال ﴿هاؤم اقرءوا كتابيه﴾." (٢)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/١٧٠

(٢) التبصرة لابن الجوزي ٢/١٩٨

"(وللتأسف يبقى كل مدخر ... وللمنية يغدو كل مولود)

يا مخلوقا من علق، اكتف من الدنيا بالعلق، **واحذر** في ري الهوى من شرق، وتذكر يوم الرحيل ذاك القلق، وتفكر في هاجم يسوي بين الملوك والسوق، وتأهب له فربما بكر وربما طرق، يا من شاب وما تاب، استلب باقي الرمق، أبعد الحلم جهل أم بعد الشيب نزق، كان الشباب غصنا غضا فخلي عن ورق، وأنت في الشباب كالشيب تجري على نسق، يا غريقا في الهوى صح من قبل الغرق، كم طالب خلاصا لما فات ما اتفق.

ليأتينك من الموت ما لا يقبل رشوة ولا مالا، إذا حال على القوي والقويم مالا، يا مختار الهوى جهلا وضلالا، لقد حملت أزرك أوزارا ثقالا، إياك والمنى فكم وعد المنى محالا، كم قال لطالب نعم: نعم سأعطيك نوالا وقد نوى: لا.

كم سقى الموت من الحسرات كؤوسا، كم فرغ ربعا عامرا مأنوسا، كم طمس بدورا وشموسا واستلب نعيما ثم أعطى بوسا، وأذل جبابرة كانوا شوسا، وأغمض عيونا ونكس رؤوسا وأبدل التراب عن الثياب ملبوسا.

(إذا كان ما فيه الفتى عنه زائلا ... فشتان فيه أدرك الحظ أو أخطا)

(وليس بفي يوما سرورا وغبطة ... بحزن إذا المعطي استرد الذي أعطا)

ذهب الشباب الأسود، وانقضى العيش الأرغد، وقال الشيب: أنا الموت وما أبعد، هذا وقلب الغافل كالجلمد:

(لا بدع إن ضحك الفقير ... فبكى لضحكته الكبير)

(عاصى العزاء عن الشباب ... وطلوع الدمع الغزير)

(سقيا لأيام مضت ... فطويلها عندي قصير)

(سقي الشباب وإن عفى ... آثار معهده القتير)

(ما كان إلا الملك أودى ... بل هوى وهوى السرير)." (١)

"(هون عليك فإنها ... خلع أعاركها معير)

(والدهر يقسم مرة ... نفلا وآونة يغير)

كل راحات الدنيا هموم وكروب، أما دوام العيش بالمشيب مشوب.

نظر سليمان بن وهب وزير المهتدي يوما في المرآة فرأى شيبا كثيرا فقال: عيب لا عدمنا.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/ ٢٢٤

أنت كل يوم إلى القبر تتقرب، وسترحل إلى البلى وتتغرب، وسيأكل المحب بعدك ويشرب، وكأنك إذا ذكرت أضرب، فخذ العدة فخيل الشدة تسرب، واسمع نصحي فنصحي مجرب، يا هذا احذر الأمل، وبادر العمل، فكأنك بالأجل على عجل. أما الأعمار كل يوم ناقصة، أما الفجائع واردة واقصة، أما النكبات لأهلها معاقصة، أما كف الموت قابضة قانصة، فأنى لساكن الدنيا بالسلامة الخالصة، كأنك بالموت قد ثلب وقدح، وأورى زناد الرحيل وقدح، وخلت كفك يا من تعب وكدح، وتساوى لديك من ذم ومن مدح، ما هذه العمارة لدار خراب، كلما عمرها قوم صاح بينهم للبين غراب، أتبني وأنت نتقض، هذا العجاب:

(رب شريف البناء عاليه ... بالشيد والساج كان بانيه)

(كأنما الشمس في جوانبه ... بالليل من حسنه تباهيه)

(تحار في صحنه الرياح كما ... يحار ساري الظلام في التيه)

(كانت صحون فيح تضيق به ... فالشبر في القبر صار يكفيه)

الجد الجد قبل بغتات المنايا، البدار البدار قبل حلول الرزايا، ليحلن بكم من الموت يوم ذو ظلم ينسيكم معاشرة اللذات والنعم، ولا يبقي في الأفواه إلا طعم الندم:

(سل بالزمان خبيرا ... إني به لعليم)

(واهي الأمانة ظاعن ... بالمرء وهو مقيم)." (١)

"الكلام على البسملة

(ألم يأن تركي ما علي ولا ليا ... وعزمي على ما فيه إصلاح حاليا)

(وقد نال مني الدهر وابيض مفرقي ... بكر الليالي والليالي كما هيا)

(أصوت بالدنيا وليست تجيبني ... أحاول أن أبقى وكيف بقائيا)

(وما تبرح الأيام تحذف مدتي ... بعد حساب لا كعد حسابيا)

(أليس الليالي غاصباتي مهجتي ... كما غصبت قبلي القرون الخواليا)

(وتسكنني لحدا لذي حفرة بها ... يطول إلى أخرى الليالي ثوائيا)

(فيا ليتني من بعد موتي ومبعثي ... أكون ترابا لا علي ولا ليا)

يا من ذنوبه كثيرة لا تعد ووجه صحيفته بمخالفته قد اسود، كم ندعوك إلى الوصال وتأبى إلا الصد، أما الموت قد سعى نحوك وجد، أما عزم أن يلحقك بالأب والجد. أما ترى منعما أترب الثرى منه الخد، كم

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٢٢٥

عاينت متجبرا كف الموت كفه الممتد، **فاحذر** أن يأتي على المعاصي فإنه إذا أتى أبى الرد، إلى كم ذا الصبا والمراح، أأبقى الشيب موضعا للمزاح، لقد أغنى الصباح عن المصباح، وقام حرب المنون من غير سلاح، اعوجت القناة بلا قنا ولا صفاح، فعاد ذو الشيبة بالضعف ثخين الجراح، ونطقت ألسن الفناء بالوعظ الصراح، وا أسفا صمت المسامع والمواعظ فصاح، لقد صاح لسان التحذير يا صاح يا صاح، وأنى بالفهم لمخمور غير صاح، لقد أسكرك الهوى سكرا شديدا لا يزاح، وما تفيق حتى يقول الموت: لا براح.

(ألا تبصر الآجال كيف تخرمت ... وكل امرئ للهلك والموت صائر)

(وأنت بكأس القوم لا بد شارب ... فهل أنت فيما يصلح النفس ناظر)

لقد وعظ الزمن بالآفات والمحن، ولقد حدث بالطعن كل من قد ظعن، ولقد أنذر المطلق في أغراضه المرتهن، تالله لوصفت الفطن أبصرت ما بطن.

إخواني: أمر الموت قد علن، كم طحطح الردى وكم طحن، يا بائعا لليقين." (١)

"الذي يكتب عليه السيئات. والشهيد: هو الذي كان يكتب له الحسنات.

والثاني: أنه العمل يشهد على الإنسان. قاله أبو هريرة.

والثالث: الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله. قاله الضحاك.

إخواني **احذروا** من العرض على مالك الطول والعرض، وأعدوا الجواب إذا سئلتم عن الفرض، أين الحياء من قبح المضمرات، أين البكاء على سالف الخطرات، أين الخوف من الجزاء على خطوات الخطيئات.

كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي: أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله سبحانه والعمل بما علمك الله تعالى، والمراقبة حيث لا يراك إلا الله عز وجل، والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة ولا ينتفع بالندم عند نزوله، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى وشمر للسباق غدا، فإن الدنيا ميدان المسابقين، ولا تغتر بمن أظهر النسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف، واعلم يا أخي أنه لا بد لي ولك من المقام بين يدي الله تعالى، يسألنا عن الدقيق الخفي وعن الجليل الخافي، ولست آمن أن يسألني وإياك عن وسواس الصدور ولحظات العيون والإصغاء للاستماع، واعلم أنه لا يجزي من العمل القول ولا من البذل العدة ولا من التوقي التلاوم.

يا من معاصيه كثيرة مشهورة، يا من نفسه بمن يجني عليها مسرورة، أفي العين كمه أم عشى أم الأمر إليك يجري كما تشا، أعلى القلب حجاب أم غشا، أيا من إذا قعد عصى وكذا إذا مشى، كل فعلك غلط، كل

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢٠١/٢

عملك سقط، أترى هذا العقل اختلط، أما قوم بهذا الشمط، أما علم الشيب على حروف الموت ونقط، لقد عزم الأجل على النهوض، وطال ما أقام والدنيا قروض، قصر يبنى وجسم منقوض، شيب وعيب يزحلق الفروض:

(إلى متى أنت في ذنوب ... قلبك من أجلها مريض)

(أقرضت عمرا فمر خلسا ... وآن أن تطلب القروض)

(فاحذر مجيء الحمام بغتا ... وأنت في باطل تخوض)." (١)

"جز على الشونيزية أو على قبر أحمد، وميز من أطاع ممن أضاع فمن أحمد؟ قبور الصالحين تؤنس الزائر، وقبور الظلمة عليها ظلام متوافر، جذ على قبور العباد وناد في ذلك الناد: أيتها الأودية والوهاد، ما فعلت تلك الأوراد:

(تعاهدتك العهاد يا طلل ... خبر عن الظاعنين ما فعلوا)

(فقال لم أدر غير أنهم ... صاح غراب البين فاحتملوا)

(لا طاب ليلي ولا النهار لمن ... يسكنني أو يردهم قفل)

(ولا تحليت بالرياض وبالنور ... ومغناي منهم عطل)

(خل هذا فما عليك لهم ... قلت أنين وأدمع هطل)

(وأنني مقفل الضمائر عن ... حب سواهم ما حنت الإبل)

(فقال هلا اتبعتهم أبدا ... إن نزلوا منزلا وإن رحلوا)

سبحان من قسم الأقسام، فلقوم يقظة ولقوم منام.

قال وهب بن منبه: كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما أن مشيا على الماء، فبينما هما يمشيان في البحر إذا هما برجل يمشي في الهواء فقالا له: يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة؟ فقال: بيسير من الدنيا: فطمت نفسي عن الشهوات وكففت لساني عما لا يعنيني، ورغبت فيما دعاني، ولزمت الصمت. فإن أقسمت على الله أبر قسمي، وإن سألته أعطاني.

يا بعيدا عن الصالحين، يا مطرودا عن المفلحين، لقد نصب الشيطان الأشراك وجعل حب الفخ هواك، وكم رأيت مأسورا وسط ذاك، وليس المراد الآن إلاك، احذر فخه فهو بعيد الفكاك، كم يوم غابت شمسه وقلبك غائب، وكم ظلام أسبل ستره وأنت في عجائب، كم ليلة بالخطايا قطعتها، وكم من أعمال قبيحة رفعتها،

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٢٥٧

وكم من ذنوب جمعتها والصحف أودعتها، كم نظرة ما تحل ما خفت ولا منعتها، كم من موعظة تعيها وكأنك ما سمعتها، وكم من ذنوب تعيب غيرك بها أنت صنعتها، وكم أمرتك النفس بما يؤذي فأطعتها، يا موافقا لنفسه آذيتها، خالفها وقد نفعتها:." (١)

"الباب الرابع والخمسون في أن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة

٤٥٨ – أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أنبأ أبو الحسين بن عبد الجبار، وأخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأ أبو علي الباقرحي، قال: أنبأ أبو القاسم التنوخي، قال: أنبأ أبو عمر بن حيويه، قال: أنبأ أبو بكر عمر بن سعد، قثنا أبو بكر بن عبيد القرشي، قال: حدثني أبي، قال: أنبأ هشيم، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة»

٤٥٩ – قال القرشي: وحدثني عبيد الله أبو العباس الأزدي، قال: حدثني يعقوب بن بشر أبو بشر العنزي، قثنا حازم بن مروان، قال: حدثني عطاء بن السائب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، إن الله عز وجل ليبعث المعروف يوم القيامة في صورة الرجل المسافر، فيأتي صاحبه إذا انشق عنه قبره، فيمسح عن وجهه التراب، ويقول: أبشر يا ولي الله بأمان الله وكرامته، لا يهولنك ما ترى من أهوال يوم القيامة، فلا يزال يقول له: احذر هذا، واتق هذا، فيسكن بذلك روعته، حتى يجاوز به الصراط، فإذا جاز به الصراط، عدل ولي الله إلى منازله في الجنة، ثم ينثني عنه المعروف فيتعلق به، فيقول: يا عبد الله، من أنت، خذلني الخلق في أهوال القيامة غيرك، فمن أنت؟ فيقول: أما تعرفني؟ فيقول: لا.

فيقول: أنا المعروف الذي عملته في الدنيا، بعثني الله خلقا ليجازيك به يوم القيامة "." (٢)

"خرجت مما ضمنت له فعرف سيده أنه قد صدق فطابت نفسه فلما أصبح جاءه الرجل فقال له فولي بشرطي قال له نعم اشرب ما بين الضفتين أو المد قال لا بل ما بين الضفتين قال فاحبس عني المد قال كيف أستطيع قال فخصمه قال فاعتقه مولاه

حدثنا محمد بن اسحق قال قال لقمان لابنه يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه قبل ذلك فإن أنصفك

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٢٦٥

(٢) البر والصلة لابن الجوزي ص/٢٦١

عند غضبه وإلا **فاحذره** ومن ذلك ما نقل عن عبد الله بن عامر الأزدي في الاحتيال للسلامة من سيل العرم حدثنا الضحاك عن ابن عباس لقد كان لسبأ في مساكنهم آية قال كانت لا تنقطع عنهم جنتهم شتاء ولا صيفا فكفروا ما أنعم الله عليهم فأرسل عليهم سيل العرم فسلط على الردم الذي بنوه على غير شربهم جرذا له مخاليب وأنياب من حديد فأول من علم بذلك عبد الله بن عامر الأزدي فانطلق نحو الردم فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد فانصرف إلى أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل إلى بنيه فقال هل ترون ما رأينا قالوا نعم قال فإن هذا الأمر ليس لنا إليه سبيل اضمحلت الحيل فيه لأن الأمر لله وقد أذن في هلاكه فأتى بهرة والجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة فلما رأت الهرة ذلك ولت هاربة فقال عبد الله احتالوا لأنفسكم قالوا يا أبت كيف نحتال قال إني محتال لكم بحيلة قال فدعا أصغر بنيه ثم قال له إذا جلست اليوم في المجلس وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون إلى رأيه فإذا اجتمعوا أمرت أصغركم بأمر فليغفل عنه فإذا شتمته فليهم إلى فليلطمني ولا تتغيروا أنتم عليه فإذا رأى الجلساء أنكم لم تتغيروا على أخيكم لم يجسر أحد منهم أن يتغير عليه فاحلف أنا عند ذلك يمينا لا كفارة لها إن لا أقيم بين أظهر قوم قام إلى أصغر بني فلطمني فلم يتغيروا عليه لذلك قالوا نفعل فلما راح الناس إليه أمر ابنه ببعض أمره فلهى عنه ثم أمره فلهى عنه فشتمه فقام إليه فلطم وجهه فعجبوا من جرأة ابنه فنكسوا رؤوسهم وظنوا أن ولده يتغيرون عليه فلما لم يتغير أحد منهم قام الشيخ فحلف." (١)

"ابن إسحاق قال بينما الناس على خوفهم يوم الأحزاب أتى نعيم بن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني رجل عن عبد الله بن كعب بن مالك قال جاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد أسلمت ولم يعلم بي أحد من قومي مرني أمرك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت منا رجل واحد فحدث عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة فانطلق نعيم حتى أتى بني قريظة فقال لهم يا معشر قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية إني لكم نديم وصديق قد عرفتم ذلك قالوا صدقت قال تعلمون والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة إن البلد لبلدكم به أموالكم ونساءكم وأبناءكم وإن قريشا وغطفان بلادهم غيرها وإنما جاؤوا حتى نزلوا معكم فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم وخلوا بينكم وبين الرجل فلا طاقة لكم به فإن هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم تستوثقون به ولا تبرحوا حتى تناجزوا محمد فقالوا لقد أشرت برأي ونصح ثم ذهب إلى قريش فأتى أبا سفيان وأشراف قريش فقال يا معشر قريش إنكم

---

(١) الأذكياء ص/١٩

قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمد أو دينه وإني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا علي فقالوا نفعل ما أنت عندنا بمتهم فقال تعلمون أن بني قريظة من يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد فبعثوا إليه إلا يرضيك أن نأخذ لك من القوم رهنا من أشرافهم فندفعهم إليك فنضرب أعناقهم ثم نكون معك حتى نخرجهم من بلادك فقال بلى فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفرا من رجالكم فلا تعطوهم رجلا واحدا **فاحذروا** ثم جاء غطفان فقال يا معشر غطفان قد علمتم أني رجل منكم قالوا صدقت فقال لهم كما قال لهذا الحي من قريش فلما أصبحوا بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش أن أبا سفيان يقول لكم يا معشر يهود إن الكراع والخف قد هلكا إنا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه فبعثوا إليه أن اليوم." (١)

"يقولوا الأبرص فقالوا الأبرش فغزا مليح بن البرء وكان ملكا على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قصيدة منها هذا البيت

(وأخو الحضر إذ بناه وإذ ... دجلة تجبى إليه والخابور)

فقتله جذيمة وطرد الزباء إلى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية اللسان حسنة البيان شديدة السلطان كبيرة الهمة قال ابن الكلبي لم يكن في نساء عصرها أجمل منها وكان اسمها فارغة وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها وإذا نشرته جللها فسميت الزباء قال الكلبي وبعث عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتل أبيها فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها وملكتها فأزالت جذيمة الأبرش عنها وابتنت على الفرات مدينتين متقابلتين من شرقي الفرات ومن غربيه وجعلت بينهما نفقا تحت الفرات وكان إذا راهقها الأعداء آوت إليه وتحصنت به وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة فحدث جذيمة نفسه بخطبتها فجمع خاصته فشاورهم في ذلك وكان له عبد يقال له قصير بن سعد وكان عاقلا لبيبا وكان خازنه وصاحب أمره وعميد دولته فسكت القوم وتكلم قصير فقال أبيت اللعن أيها الملك أن الزباء امرأة قد حرمت الرجال فهي عذراء لا ترغب في مال ولا جمال ولها عندك ثار والدم لا ينام وإنما هي تاركتك رهبة **وحذار** دولة الحقد دفين في سويداء القلب له كمون ككمون النار في الحجر إن اقتدحته أورى وإن تركته توارى وللملك في بنات الملوك الأكفاء متسع ولهن فيه منتفع وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن دونك وعظم شأنك فما أحد فوقك فقال جذيمة يا قصير الرأي ما

---

(١) الأذكياء ص/٣٣

رأيت والحزم فيما قلته ولكن النفس تواقة إلى ما تحب وتهوى ولكل امرئ قدر لا مفر له منه ولا وزر فوجه إليها خاطبا وقال ائت." (١)

"بن زياد قال دخل زياد مجلسه ذات يوم فإذا هو بهر في زاوية البيت فذهبت أزجره فقال دعه فأرى ما له ثم صلى الظهر ثم عاد إلى مجلسه ثم صلى العصر فعاد إلى مجلسه كل ذلك يلاحظ الهر فلما كان قبل غروب الشمس خرج جرذ فوثب عليه الهر فأخذه فقال زياد من كانت له حاجة فليواظب عليها مواظبة الهر فإنه يظفر به

قال القاسم بن أبي طالب التنوخي كنت ماضيا إلى الأنبار في رفقة بازيانية للسلطان فأطلقوا بازا على دراج فطار فلحق الدراج فانتهى الدراج إلى غيضة فدخلها فألقى نفسه بين شوك كان فيها وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين في رجليه ونام على قفاه ورفع رجليه فاستتر بذلك من البازي فلما قرب منه البازي طار فصاده البازي فقالوا ما رأينا دراجا قط **احذر** من هذا قال المصنف والعرب تقول **احذر** من غراب **واحذر** من عقعق **واحذر** من ذئب ويزعمون أن الذئب يبلغ من حذره أنه يزاوج بين عينيه إذا نام فيفتح إحداهما لتكون حارسه قال حميد بن هلال في الذئب

(ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى الأعادي فهو يقظان هاجع)

قال العسكري هذا محال لأن النوم يأخذه جملة الحي قال مؤلف الكتاب أرادوا بذلك أن يغمض عينا عند بداية النوم ويفتح عينا إلى أن يغلب عليه النوم فيكون الكلام صحيحا ويقولون **احذر** من ظليم وهو ذكر النعام

روي عن ابن الأعرابي عن هشام ابن سالم قال أكلت حية بيضة مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها تريده وهمت به ألقى في فيها حسكة فأخذت بحلقها حتى ماتت وروينا." (٢)

"الباب الثالث والثلاثون في ذكر ما ضربته العرب والحكماء مثلا على ألسنة الحيوان البهيم مما يدل على الذكاء

تقول العرب **احذر** من غراب ويقولون قال الغراب لابنه إذا رميت فتلوص أي تلوى قال يا أبت إني أتلوص

---

(١) الأذكياء ص/١٦٠

(٢) الأذكياء ص/٢٣٦

قبل أن أرمي قال الشعبي مرض الأسد فعاده السباع ما خلا الثعلب فقال الذئب أيها الملك مرضت فعادك السباع إلا الثعلب قال فإذا حضر فأعلمني فبلغ ذلك الثعلب فجاء فقال له الأسد يا أبا الحصين مرضت فعادني السباع كلهم ولم تعدني أنت قال بلغني مرض الملك فكنت في طلب الدواء له قال فأي شيء أصبت قال قالوا لي خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج فضرب الأسد بمخاليبه ساق الذئب فانسل الثعلب وخرج فقعد على الطريق فمر به الذئب والدم يسيل عليه فقال له الثعلب يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت بعد هذا عند سلطان فانظر ما يخرج من رأسك

قال الشعبي أخبرت أن رجلا صاد قنبرة فلما صارت في يده قالت ما تريد أن تصنع بي قال أذبحك وآكلك قالت ما أشفي من مرض ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلي إما واحدة أعلمك وأنا في يدك والثانية على الشجرة والثالثة على الجبل فقال هات الواحدة قالت لا تلهفن على ما فاتك قال فلما صارت على الشجرة قال لها هات الثانية قالت له لا تصدق بما لا يكون أن يكون فلما صارت على الجبل قالت له يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي ذرتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف ثم قال لها هات." (١)

"قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: كان ابن زهير المدايني مخنثا، وكان يؤلف بين الرجال والنساء، وكانت له قبة خضراء وكان فتيان قريش يقولون من يدخل قبة ابن زهير لم يصنع في الفتوة شيئا.

قال: فواعد رجل صديقة له إلى قبة ابن زهير فجاءت بعد العتمة، وجاء الرجل، فتعشيا، فقالت المرأة: أشتهي نبيذا. فقال صاحبها لابن زهير: أطلب لنا نبيذا. قال: من أين لنا في هذه الساعة؟! قال: لا بد منه. فلما ألح عليه عمد إلى حضض فضربه بماء وصيره في قنينة ثم جاءه به فقال: والله ما وجدنا غير هذا فصب الرجل منه في قدح فذاقه فوجده مرا فكره أن يعيبه فيكرهه إليها فشرب ثم صب فسقاها. فلما صار في بطنه تحرك. فقال لابن زهير: أين المخرج، فصعد إلى أن حركها بطنها فصعدت إلى أن تحرك بطنه فصعد، فلم يزالا كذلك ليلتهما. فقال ابن زهير: امرأته طالق إن كانا التقيا إلا على الدرجة حتى أصبحا مما يختلفان، وجاء الصبح ولم يقضيا حاجة لأنهما يطلبان النبيذ في منزل ابن زهير القواد بعد العتمة.

وكان جميل أيضا لما اشتهر في بثينة توعده أهلها، فكان يأتيها سرا فجمعوا له جميعا يرصدونه، فقالت بثينة: يا جميل، احذر القوم. فاستخفى وقال في ذلك:

---

(١) الأذكياء ص/٢٤١

ولو أن ألفا دون بثينة كلهم ... غيارى وكل حارب مزمع قتلي؟
لحاولتها، إما نهارا مجاهرا ... وإما سرى ليل وإن قطعوا رجلي.
فالتقى جميل وكثير فشكا كل واحد منهما إلى صاحبه أنه محصور لا يقدر أن يزور. فقال جميل لكثير: أنا رسولك إلى عزة. قال: فأتهم فأنشدهم ثلاث نوق سود مررن بالقاع، ثم احفظ ما يقال." (١)

"الحمد لله القاسم المرزق والجالب للقوت، القادر فلا يعجزه شيء ولا يفوت، الموصوف بالقدم وبالكرم منعوت، العالم بما فوق الفوق وتحت التحوت، له العز والكبرياء والملكوت، وإليه المرجع والرغبوت، ومنه الخوف والحذر والرهبوت، إذا حدق الفكر نحو عظمته رجع وهو مبهوت، صرعت أقداره العتاة فهلك إبليس وماروت، ورفع إنعامه المحتقرين فملك على ضعفه طالوت، وقوت إعانته المنكسرين فقتل داود جالوت، ينفخ في الصور فيقوم من القبور الأموات الخفوت، ويناقش في السؤال فإذا الفصيح صموت، واعجبا لهذا العظيم يعبد معه صنم منحوت، موصوف بالكلام وقد جل عن وصف السكوت، ولقد قالوا في كلامه ما لا يقال في االموت، جاء جهم ذو النظام والمريس فخربوا البيوت، كل منهم كان محنة وكل طاغوت، أيقال إن القرآن ليس بمسموع ما قال راس المشبه ولا راس الجالوت، كلا بل هو المسموع المتلو في بيوت، يا أئمة السلف جحدت السكينة وسرق التابوت، أتراهم ابتدعوا النبل الحطام سم وخشوت، احذرهم ودع انسهم ثم لا تنسهم في دعاء القنوت، وجاهد أعداء السنة أهل الغي (وتوكل على الحي الذي لا يموت) نسجت ثوب السنة فدار المنوال وتم المشتوت، يا لكلامي أحسن من در ماروت، مليح ولا غمرة بدين ولا قنوت، ظرف مملوء ظرفا لا كقول مكبوت، أيماثل نسج دود القز ونسج بيت العنكبوت، أيشبه الدر بالبعر من مثل هذا أموت، بينه وبين غيره كما بين العرش والبهموت، لا يقدر على مثل قولي ولكن سل عن البخوت.

الخطبة الخامسة

الحمد لله القديم فلا يقال متى، القاهر بعز سلطانه كل جبار عتا، المحمود على أي قضاء منه أتى، قرب موسى نجيا فقرت عين الفتى، وأرسله بمعجز العصا إلى من عصى فنسخ بحقه باطلهم نسخ الصيف الشتاء، فلو رأيت أعداءه قد جمعوا واجتمعوا، فنادى لسان النصر ولكن ما سمعوا، (وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) .

حرف الثاء

---

(١) أخبار النساء لابن الجوزي ص/٢١٥

الخطبة الأولى الحمد لله الذي يكشف الكرب يغيث، ويروح بالفرج قلب اللهيث، يحلم عمن يعصي ويفسد، وعيده بطيء ووعده حثيث، أنزل القرآن فجحده الوليد وكم تبع الخبيث، وادعى مسيلمة معارضته فإذا في الرجل تخنيث، وافتضح ذو الخمار فسقطت النقطة من اسمه وميث، هؤلاء لما هلكوا وأخذ المبتدعة المواريث، ما يرضى لهم طوفان نوح وريح عاد فاصبر يا مستريث، انتدب الحق بنفسه لجاحد كلامه بمن يستغيث، (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أجزل النعم وبثها بثا، فكم كشف كربا وكم رفع بثا، وكم قوى أملا كان قد رثا، أنزل من السماء ماء فسقى حرثا، وأخرج لبنا قد جاور دما وفرثا، فردى به نفوسا كانت عطشى غرثى، أنشأ الجبال صما ثم يعيدها هباء منبثا، كمثل الرجل ونقص وحير الخنثى، وكم سلب طفلا وما بلغ بعد حنثا، وجازى بالأعمال فيها يثنى ويثنى، أقام العابدين يبعثون نوق الجد يحذرون بعثا، فكلما حركهم الخوف زادوا المطي حثا، (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) .

الخطبة الثالثة

الحمد لله مخرج المزارع برفقة والحروث، ومشبع الجائع برزقه والفروث، من أصل كالبذر وغير أصل كالكشوث، يحب الوافي بالعهود ويقلي النكوث، ويبغض النفاق وتكفي سورة البحوث، يخلط الأمشاج في مستقرها ويموث، فترتب القدرة المعا ثم الفروث، والكبد تطبخ الطعام وهو بالهضم محثوث، والقلب تارة يفرح وتارة مخروث، والروح مدبر البدن والقلب سلطان البعوث، والآدمي قليل الشكر للنعم وللبلاء نفوث، متكبر وتؤذيه بقة ويزعجه برغوث، سبحان من صنعه جميع الموجودات من يعوق ومن نسر ومن يغوث ويا قلة بقائه ثم إنه بعد الموت مبعوث، يوم تظهر الأموال الرائعة إذا وقعت الواقعة (القارعة، وما القارعة. وما أدراك ما القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) .

حرف الجيم

الخطبة الأولى." (١)

"وسنذكر ما يتعلق بها هنالك، إن شاء الله. فأما التي نحن في تفسيرها: فقد روي عن ابن عباس أنه قال:

نسختها وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن «١» . والصحيح: أنها عامة دخلها التخصيص، لأن

---

(١) اللآلي ص/٣

ظاهرها يقتضي وجوب العدة على المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا، سواء كانت حاملا، أو غير حامل، غير أن قوله تعالى: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن خص أولات الحمل، وهي خاصة أيضا في الحرائر، فإن الأمة عدتها شهران وخمسة أيام، فبان أنها من العام الذي دخله التخصيص.

قوله تعالى: فإذا بلغن أجلهن، يعني: انقضاء العدة. قوله تعالى: فلا جناح عليكم فيه قولان: أحدهما أن معناه: فلا جناح على الرجال في تزويجهن بعد ذلك. والثاني: فلا جناح على الرجال في ترك الإنكار عليهن إذا تزين وتزوجن. قال أبو سليمان الدمشقي: وهو خطاب لأوليائهن.

قوله تعالى: فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف فيه قولان: أحدهما: أنه التزين والتشوف للنكاح، قاله الضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه النكاح، قاله الزهري، والسدي.

و «الخبير» من أسماء الله تعالى، ومعناه: العالم بكنه الشيء المطلع على حقيقته. و «الخبير» في صفة المخلوقين، إنما يستعمل في نوع من العلم، وهو الذي يتوصل إليه بالاجتهاد دون النوع المعلوم ببداءة العقول. وعلم الله تعالى سواء فيما غمض ولطف وفيما تجلى وظهر.

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٣٥]

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم (٢٣٥)

قوله تعالى: ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء، هذا خطاب لمن أراد تزويج معتدة. والتعريض: الإيماء والتلويح من غير كشف، فهو إشارة بالكلام إلى ما ليس له في الكلام ذكر. والخطبة بكسر الخاء: طلب النكاح، والخطبة بضم الخاء: مثل الرسالة التي لها أول وآخر.

وقال ابن عباس: التعريض أن يقول: إني أريد أن أتزوج. وقال مجاهد: أن يقول: إنك لجميلة، وإنك لحسنة، وإنك لإلى خير. قوله تعالى: أو أكننتم في أنفسكم، قال الفراء: فيه لغتان:

كننت الشيء، وأكننته. وقال ثعلب: أكننت الشيء: إذا أخفيته في نفسك، وكننته: إذا سترته بشيء.

وقال ابن قتيبة: أكننت الشيء: إذا سترته، ومنه هذه الآية، وكننته: إذا صنته، ومنه قوله تعالى: كأنهن بيض مكنون «٢» ، قال بعضهم: يجعل كننته، وأكننته، بمعنى. قوله تعالى: علم الله أنكم ستذكرونهن، قال مجاهد: ذكره إياها في نفسه. قوله تعالى: ولكن لا تواعدوهن سرا فيه أربعة أقوال: أحدها: أن المراد بالسر هاهنا: النكاح، قاله ابن عباس. وأنشد بيت امرئ القيس:

ألا زعمت بسباسة «٣» اليوم أنني ... كبرت وأن لا يشهد السر أمثالي

---

(١) الطلاق: ٤.

(٢) الصافات: ٤٩.

(٣) في «القاموس» بسباسة: امرأة من بني أسد.." (١)

"وفي رواية: يشهد اللهو. قال الفراء: ويرى أنه مما كنى الله عنه كقوله تعالى: أو جاء أحد منكم من الغائط «١» . وذكر الزجاج عن أبي عبيدة أن السر: الإفضاء بالنكاح المحرم، وأنشد «٢» :

ويحرم سر جارتهم عليهم ... ويأكل جارهم أنف القصاع «٣»

قال ابن قتيبة: استعير السر للنكاح، لأن النكاح يكون سرا، فالمعنى: لا تواعدوهن بالتزويج، وهن في العدة تصريحا، إلا أن تقولوا قولا معروفا لا تذكرون فيه رفثا ولا نكاحا. والثاني: أن المواعدة سرا: أن يقول لها: إني لك محب، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري، روي عن ابن عباس أيضا. والثالث: أن المراد بالسر الزنى، قاله الحسن، وجابر بن زيد، وأبو مجلز، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك. والرابع: أن المعنى: لا تنكحوهن في عدتهن سرا، فاذا حلت أظهرتم ذلك، قاله ابن زيد.

وفي القول المعروف قولان: أحدهما: أنه التعريض لها، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعطاء، والقاسم بن محمد، والشعبي، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه إعلام وليها برغبته فيها، وهو قول عبيدة.

قوله تعالى: ولا تعزموا عقدة النكاح، قال الزجاج: لا تعزموا على عقدة النكاح، وحذفت «على» استخفافا، كما قالوا: ضرب زيد الظهر والبطن، معناه: على الظهر والبطن. حتى يبلغ الكتاب أجله، أي: حتى يبلغ فرض الكتاب أجله، قال: ويجوز أن يكون «الكتاب» بمعنى «الفرض» كقوله تعالى: كتب عليكم الصيام «٤» ، فيكون المعنى: حتى يبلغ الفرض أجله. قال ابن عباس، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، والسدي: بلوغ الكتاب أجله: انقضاء العدة.

قوله تعالى: واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم، قال ابن عباس: من الوفاء، **فاحذروه** أن تخالفوه في أمره. والحليم قد سبق بيانه.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٢١٠/١

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٣٦]

لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين (٢٣٦)

قوله تعالى: لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن، قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو «تمسوهن» بغير الف حيث كان، وبفتح التاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «تماسوهن» بألف وضم التاء في الموضعين هنا، وفي الأحزاب ثالث. قال أبو علي: وقد يراد بكل واحد من «فاعل» و «فعل» ما يراد بالآخر، تقول: طارقت النعال وعاقبت اللص.

(١٢٢) قال مقاتل بن سليمان: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة،

لا أصل له. عزاه المصنف لمقاتل بن سليمان، وهذا معضل، ومع ذلك مقاتل كذاب يضع الحديث، وقد تفرد بهذا الخبر. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١/ ٢٨٥ لم أجده. وذكره القرطبي في تفسير ٣٥/ ١٩٠ ونسبه للثعلبي، وتفرد الثعلبي به يدل على أنه غير حجة لأنه كحاطب ليل حتى الواحدي لم يذكره في «أسباب النزول» . وكذا السيوطي وهذا الخبر أمارة الوضع لائحة عليه.

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) البيت للحطيئة.

(٣) في «اللسان» : القصعة الضخمة تشبع العشرة والجمع قصاع. وأنف كل شيء: طرفه وأوله. [.....]

(٤) البقرة: ١٨٣.." [١]

"مكانه، قاله سعيد بن المسيب، والضحاك، والنخعي، والزهري، والسدي. قال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم، ويجعل مكانها المهزولة، ويأخذ الدراهم الجياد، ويطرح مكانها الزيوف. والثاني: أنه الربح على اليتيم، واليتيم غر لا علم له، قاله عطاء. والقول الثاني: أنه ليس بإبدال حقيقة، وإنما هو أخذه مستهلكا، ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم كانوا لا يورثون النساء والصغار، وإنما يأخذ الميراث الأكابر من الرجال، فنصيب الرجل من الميراث طيب، وما أخذه من حق اليتيم خبيث، هذا قول ابن زيد. والثاني: أنه أكل مال اليتيم بدلا من أكل أموالهم، قاله الزجاج.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٢١١/١

و «إلى» بمعنى «مع» والحوب: الإثم. وقرأ الحسن، وقتادة، والنخعي بفتح الحاء. قال الفراء:
أهل الحجاز يقولون: حوب بالضم، وتميم يقولونه بالفتح. قال ابن الأنباري: وقال الفراء: المضموم الاسم، والمفتوح المصدر. قال ابن قتيبة: وفيه ثلاث لغات: حوب، وحوب، وحاب.

[سورة النساء (٤) : آية ٣]
وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣)

قوله تعالى: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى اختلفوا في تنزيلها وتأويلها على ستة أقوال:
أحدها: أن القوم كانوا يتزوجون عددا كثيرا من النساء في الجاهلية، ولا يتحرجون من ترك العدل بينهن، وكانوا يتحرجون في شأن اليتامى، فقيل لهم بهذه الآية: احذروا من ترك العدل بين النساء، كما تحذرون من تركه في اليتامى. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير والضحاك، وقتادة، والسدي ومقاتل.
والثاني: أن أولياء اليتامى كانوا يتزوجون النساء بأموال اليتامى، فلما كثر النساء، مالوا على أموال اليتامى، فقصروا على الأربع حفظا لأموال اليتامى. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضا، وعكرمة. والثالث: أن معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في صدقات اليتامى إذا نكحتموهن، فانكحوا سواهن من الغرائب اللواتي أحل الله لكم، وهذا المعنى مروي عن عائشة.
والرابع: أن معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في نكاحهن، وحذرتم سوء الصحبة لهن، وقلة الرغبة فيهن، فانكحوا غيرهن، وهذا المعنى مروي عن عائشة أيضا، والحسن. والخامس: أنهم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى، فأمروا بالتحرج من الزنى أيضا، وندبوا إلى النكاح الحلال، وهذا المعنى مروي عن مجاهد.
والسادس: أنهم تحرجوا من نكاح اليتامى، كما تحرجوا من أموالهم، فرخص الله لهم بهذه الآية، وقصرهم على عدد يمكن العدل فيه، فكأنه قال: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن، فانكحوهن، ولا تزيدوا على أربع لتعدلوا، فإن خفتم أن لا تعدلوا فيهن، فواحدة، وهذا المعنى مروي عن الحسن «١» .

---

(١) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسيره ٣/ ٥٧٧ (النساء: ٣) : وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بتأويل الآية، قول من قال: تأويلها: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء، فلا تنكحوا منهن إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن، من واحدة إلى الأربع. فإن خفتم الجور في الواحدة أيضا، فلا تنكحوها، ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم، فإنه أحرى أن لا تجوروا عليهن» . وإنما قلنا إن

ذلك أولى بتأويل الآية، لأن الله جل ثناؤه افتتح الآية التي قبلها بالنهي عن أكل أموال اليتامى بغير حق وخلطها بغيرها من الأموال. ثم أعلمهم أنهم إن اتقوا الله في ذلك فتحرجوا فيه، فالواجب عليهم من اتقاء الله والتحرج في أمر النساء مثل الذي عليهم من التحرج في أمر اليتامى.." (١)

"[سورة النساء (٤) : آية ٧١]

يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا (٧١)

قوله تعالى: خذوا حذركم فيه قولان: أحدهما: احذروا عدوكم. والثاني: خذوا سلاحكم.

قوله تعالى: فانفروا ثبات قال ابن قتيبة: أي: جماعات، واحدتها: ثبة، يريد جماعة بعد جماعة.

وقال الزجاج: «الثبات» : الجماعات المتفرقة. قال زهير:

وقد أغدوا على ثبة كرام ... نشاوى واجدين لما نشاء

قال ابن عباس: فانفروا ثبات، أي: عصبا، سرايا متفرقين، أو انفروا جميعا، يعنى كلكم.

فصل: وقد نقل عن ابن عباس أن هذه الآية وقوله انفروا خفافا وثقالا «١» وقوله تعالى:

إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما «٢» منسوخات بقوله: وما كان المؤمنون لينفروا كافة «٣» قال أبو سليمان الدمشقي: والأمر في ذلك بحسب ما يراه الإمام، وليس في هذا من المنسوخ شيء.

[سورة النساء (٤) : الآيات ٧٢ الى ٧٣]

وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا (٧٢) ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (٧٣)

قوله تعالى: وإن منكم لمن ليبطئن اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

(٣١٤) أحدهما: أنها في المنافقين، كعبد الله بن أبي، وأصحابه كانوا يتثاقلون عن الجهاد، فان لقيت السرية نكبة، قال من أبطأ منهم: لقد أنعم الله علي، وإن لقوا غنيمة، قال: يا ليتني كنت معهم.

هذا قول ابن عباس، وابن جريج.

والثاني: أنها نزلت في المسلمين الذين قلت علومهم بأحكام الدين، فتثبطوا لقلة العلم، لا لضعف الدين، ذكره الماوردي وغيره. فعلى الأول تكون إضافتهم إلى المؤمنين بقوله «منكم» لموضع نطقهم بالإسلام، وجريان أحكامه عليهم، وعلى الثاني تكون الإضافة حقيقة.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣٦٨/١

قال ابن جرير: اللام في لمن لام تأكيد. قال الزجاج: واللام في ليبطئن لام القسم، كقولك: إن منكم لمن أحلف ب الله ليبطئن، يقال: «أبطأ الرجل» و «بطؤ» فمعنى «أبطأ» : تأخر، ومعنى «بطؤ» : ثقل. وقرأ أبو جعفر: «ليبطئن» بتخفيف الهمزة. وفي معنى «ليبطئن» قولان: أحدهما: ليبطئن هو نفسه، وهو قول ابن عباس. والثاني: ليبطئن غيره، قاله ابن جريج. قال ابن عباس: و «المصيبة» :
النكبة. و «الفضل من الله» : الفتح والغنيمة.
قوله تعالى: كأن لم تكن بينكم وبينه مودة قرأ ابن كثير، وحفص، والمفضل، عن عاصم:

ضعيف. أخرجه الطبري ٩٩٤٣ عن ابن جريج، وهذا معضل.
- وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر» ٢/ ١٨٣ عن مقاتل بن حيان، وهذا معضل أيضا.
- وعزاه المصنف لابن عباس، والظاهر أنه من رواية الكلبي، وهو متروك عن أبي صالح عن ابن عباس.

---

(١) سورة التوبة: ٤١.
(٢) سورة التوبة: ٣٩.
(٣) سورة التوبة: ١٢٢.." (١)

"(٤٢٤) أن امرأة كانت قد سرقت، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟ فنزلت هذه الآية. قاله عبد الله بن عمرو. وقال سعيد بن جبير: فمن تاب من بعد ظلمه، أي: سرقته، وأصلح العمل، فإن الله يتجاوز عنه، إن الله غفور لما كان منه قبل التوبة، رحيم لمن تاب.

[سورة المائدة (٥) : آية ٤١]
يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه **فاحذروا** ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٤١)
قوله تعالى: يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال «١»

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/٤٣١

:

(٤٢٥) أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بيهودي وقد حمموه «٢» وجلدوه، فقال: أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلا من علمائهم، فقال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا نترك الشريف، ونقيمه على الوضيع، فقلنا: تعالوا نجمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» فأمر به فرجم، ونزلت هذه الآية، رواه البراء بن عازب.

أخرجه أحمد ٢/ ١٧٧ والطبري ١١٩٢٢ من حديث عبد الله بن عمرو قال: «إن امرأة سرقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الذين سرقتهم، فقالوا: يا رسول الله إن هذه المرأة سرقتنا، قال قومها: فنحن نفديها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقطعوا يدها، فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال نعم. أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك. فأنزل الله عز وجل: فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح إلى آخر الآية.

وفيه عبد الله بن لهيعة، وهو ضعيف الحديث، وهذا الحديث يعرف بحديث المخزومية، وأصله في الصحيحين دون ذكر نزول الآية، وبسياق آخر. وانظر «تفسير الشوكاني» ٨٠٣ بتخريجنا.

صحيح. أخرجه مسلم ١٧٠٠ وأبو داود ٤٤٤٧ و ٤٤٤٨ وأحمد ٤/ ٢٨٦ وابن ماجة ٢٥٥٨ والبيهقي ٨/ ٢٤٦ والطبري ١٢٠٣٩ من حديث البراء بن عازب.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: عني بقوله: لا يحزنك الذين يسارعون ... الآية، قوم من المنافقين. وجائز أن يكون ممن دخل هذه الآية ابن صوريا، وجائز أن يكون أبو لبابة، وجائز أن يكون غيرهما، غير أن أثبت شيء روي في ذلك ما روي عن البراء بن عازب وأبي هريرة لأن ذلك عن رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا كان ذلك كذلك، كان الصحيح من القول فيه أن يقال: عني به عبد الله بن صوريا.

(٢) في «اللسان» : حمم الرجل: سخم وجهه بالحمم، وهو الفحم. وفي الحديث أنه أمر بيهودي محمم مجلود أي مسود الوجه.." [١]

"قوله تعالى: من بعد مواضعه قال الزجاج: أي من بعد أن وضعه الله مواضعه، فأحل حلاله وحرم حرامه. قوله تعالى: يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه في القائلين لهذا قولان:

(٤٣٠) أحدهما: أنهم اليهود، وذلك أن رجلا وامرأة من أشرافهم زنيا، فكان حدهما الرجم، فكرهت اليهود رجمهما، فبعثوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه عن قضائه في الزانيين إذا أحصنا، وقالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فلا تعملوا به، هذا قول الجمهور.

(٤٣١) والثاني: أنهم المنافقون. قال قتادة: وذلك أن بني النضير كانوا لا يعطون قريظة القود إذا قتلوا منهم، وإنما يعطونهم الدية، فإذا قتلت قريظة من النضير لم يرضوا إلا بالقود تعززا عليهم، فقتل بنو النضير رجلا من قريظة عمدا، فأرادوا رفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رجل من المنافقين: إن قتيلكم قتيل عمد، ومتى ترفعوا ذلك إلى محمد خشيت عليكم القود. فان قبلت منكم الدية فأعطوا، وإلا فكونوا منه على حذر.

وفي معنى **فاحذروا** ثلاثة أقوال: أحدها: **فاحذروا** أن تعملوا بقوله الشديد. والثاني: **فاحذروا** أن تطلعوه على ما في التوراة فيأخذكم بالعمل به. والثالث: **فاحذروا** أن تسألوه بعدها.

قوله تعالى: ومن يرد الله فتنته في «الفتنة» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الضلالة، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: العذاب، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: الفضيحة، ذكره الزجاج. قوله تعالى: فلن تملك له من الله شيئا أي: لا تغني عنه، ولا تقدر على استنقاذه. وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم من حزنه على مسارعتهم في الكفر.

قوله تعالى: لم يرد الله أن يطهر قلوبهم قال السدي: يعني المنافقين واليهود، لم يرد أن يطهر قلوبهم من دنس الكفر، ووسخ الشرك بطهارة الإيمان والإسلام.

قوله تعالى: لهم في الدنيا خزي أما خزي المنافقين، فبهتك ستره وإطلاع النبي على كفرهم، وخزي اليهود بفضيحتهم في إظهار كذبهم إذ كتموا الرجم، وبأخذ الجزية منهم. قال مقاتل: وخزي قريظة بقتلهم وسبيهم، وخزي النضير بإجلائهم.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/٥٤٧

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٢]

سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين (٤٢)

قوله تعالى: سماعون للكذب قال الحسن: يعني حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يكذب عندهم في دعواه، ويأتيهم برشوة فيأخذونها. وقال أبو سليمان: هم اليهود يسمعون الكذب، وهو قول بعضهم لبعض: محمد كاذب، وليس بنبي، وليس في التوراة رجم، وهم يعلمون كذبهم. قوله تعالى:

أخرجه الطبري ١١٩٤١ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ورجاله ثقات لكنه منقطع بينهما، ومع ذلك هو يتأيد بحديث البراء.

ضعيف. أخرجه الطبري ١١٩٤٤ عن قتادة مرسلا، فهو ضعيف.." [١]

"[سورة المائدة (٥) : آية ٤٩]

وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم **واحذرهم** أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون (٤٩)

قوله تعالى: وأن احكم بينهم بما أنزل الله سبب نزولها:

(٤٣٣) أن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسد «١» ، وعبد الله بن صوريا، وشأس بن قيس، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه، فقالوا: يا محمد، قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم، وأنا إن تبعناك، اتبعك اليهود، وإن بيننا وبين قوم خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. وذكر مقاتل: أن جماعة من بني النضير قالوا له: هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة في أمر الدماء، كما كنا عليه من قبل، ونبايعك؟ فنزلت هذه الآية.

قال القاضي أبو يعلى: وليس هذه الآية تكرارا لما تقدم، وإنما نزلتا في شيئين مختلفين:

أحدهما: في شأن الرجم. والآخر: في التسوية في الديات حتى تحاكموا إليه في الأمرين.

قوله تعالى: **واحذرهم** أن يفتنوك أي: يصرفوك عن بعض ما أنزل الله إليك وفيه قولان:

أحدهما: أنه الرجم، قاله ابن عباس. والثاني: شأن القصاص والدماء، قاله مقاتل.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/٥٤٩

قوله تعالى: فإن تولوا فيه قولان: أحدهما: عن حكمك. والثاني: عن الإيمان، فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعذبهم ببعض ذنوبهم. وفي ذكر البعض قولان: أحدهما: أنه على حقيقته، وإنما يصيبهم ببعض ما يستحقونه. والثاني: أن المراد به الكل، كما يذكر لفظ الواحد ويراد به الجماعة، كقوله تعالى: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء «٢» والمراد: جميع المسلمين. وقال الحسن: أراد ما عجله من إجلاء بني النضير وقتل بني قريظة.

قوله تعالى: وإن كثيرا من الناس لفاسقون قال المفسرون: أراد اليهود. وفي المراد بالفسق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: الكذب، قاله ابن زيد. والثالث: المعاصي، قاله مقاتل.

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٠]

أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٥٠)

قوله تعالى: أفحكم الجاهلية يبغون قرأ الجمهور «يبغون» بالياء، لأن قبله غيبة، وهي قوله تعالى: وإن كثيرا من الناس لفاسقون. وقرأ ابن عامر «تبغون» بالتاء، على معنى: قل لهم.

(٤٣٤) وسبب نزولها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حكم بالرجم على اليهوديين تعلق بنو قريظة ببني النضير،

ضعيف. أخرجه الطبري ١٢١٥٦ من حديث ابن عباس بسند ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد.

عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس.

وورد من وجه آخر بنحوه. أخرجه النسائي ٨/ ١٨- ١٩ والدارقطني عن عكرمة عن ابن عباس قال: «كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة أدى مائة وسق من تمر، فلما بعث صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة، فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي صلى الله عليه وسلم، فأتوه فنزلت وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت أفحكم الجاهلية يبغون. وهو حديث حسن. رجاله ثقات، لكن رواية سماك عن عكرمة مضطربة وليس فيه اللفظ المرفوع.

وكرره النسائي ومن وجه آخر عن داود بن حصين، عن عكرمة عن ابن عباس، وداود ضعف في روايته عن عكرمة، وورد من وجه آخر، أخرجه أحمد ٢٢١٢ والطبراني ١٠٧٣٢ وإسناده لين لأجل عبد الرحمن بن أبي الزناد، لكن هذه الروايات تتأيد بمجموعها والله أعلم.

(١) وقع في الأصل «أسيد» ، والتصويب من كتب التفسير، والحديث.

(٢) سورة الطلاق: ١. [.....]."[1]

"(٤٧١) والرابع: أن قبيلتين من الأنصار شربوا، فلما ثملوا عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان!! والله لو كان بي رؤوفا ما صنع بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقد ذكرنا الخمر والميسر في البقرة «١» وذكرنا في «النصب» في أول هذه السورة «٢» قولين، وهما اللذان ذكرهما المفسرون في الأنصاب. وذكرنا هناك «الأزلام» . فأما الرجس، فقال الزجاج: هو اسم لكل ما استقذر من عمل، يقال: رجس الرجل يرجس، ورجس يرجس: إذا عمل عملا قبيحا، والرجس بفتح الراء: شدة الصوت، فكأن الرجس، العمل الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال:

رعد رجاس: إذا كان شديد الصوت.

قوله تعالى: من عمل الشيطان قال ابن عباس: من تزيين الشيطان. فإن قيل: كيف نسب إليه، وليس من فعله؟ فالجواب: أن نسبته إليه مجاز، وإنما نسب إليه، لأنه هو الداعي إليه، المزين له، ألا ترى أن رجلا لو أغرى رجلا بضرب رجل، لجاز أن يقال له: هذا من عملك.

قوله تعالى: فاجتنبوه قال الزجاج: اتركوه. واشتقاقه في اللغة: كونوا جانبا منه. فإن قيل:

كيف ذكر في هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوه؟ فالجواب: أن الهاء عائدة على الرجس، والرجس واقع على الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقع عليه، ومنبئ عنه، ذكره ابن الأنباري.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٩١ الى ٩٢]

إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (٩١) وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول **واحذروا** فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين (٩٢)

(١) زاد المسير في علم التفسير ٥٥٦/١

قوله تعالى: إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر أما «الخمر» فوقوع العداوة والبغضاء فيها على نحو ما ذكرنا في سبب نزول الآية من القتال والمماراة. وأما الميسر، فقال قتادة: كان الرجل يقامر على أهله وماله، فيقمر ويبقى حزينا سليبا، فينظر إلى ماله في يد غيره، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء.

قوله تعالى: فهل أنتم منتهون فيه قولان: أحدهما: أنه لفظ استفهام، ومعناه الأمر. تقديره: انتهوا. قال الفراء: ردد علي أعرابي: هل أنت ساكت، هل أنت ساكت؟ وهو يريد: اسكت، اسكت. والثاني: أنه استفهام، لا بمعنى الأمر. ذكر شيخنا علي بن عبيد الله أن جماعة كانوا يشربون الخمر بعد

حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ١٧١ والطبري ١٢٥٢٦ والحاكم ٤/ ١٤١ والبيهقي ٨/ ٢٨٥ والطبراني ١٢٤٥٩، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وسكت عنه الحاكم، وصححه الذهبي على شرط مسلم، وهو كما قال، ويشهد له ما قبله، بل ربما تعددت الأسباب فنزلت الآيات في جميع ذلك.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) سورة المائدة: ٣.." (١)

"هذه الآية، ويقولون: لم يحرمها، إنما قال: فهل أنتم منتهون، فقال بعضنا: انتهينا، وقال بعضنا: لم ننته، فلما نزلت قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم حرمت، لأن «الإثم» اسم للخمر. وهذا القول ليس بشيء، والأول أصح.

قوله تعالى: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فيما أمراكم، واحذروا خلافهما فإن توليتم أي: أعرضتم، فاعلموا أنما على رسولنا محمد البلاغ المبين وهذا وعيد لهم، كأنه قال فاعلموا أنكم قد استحققتم العقاب لتوليكم.

[سورة المائدة (٥) : آية ٩٣]

ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (٩٣)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/٥٨٢

قوله تعالى: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا سبب نزولها:

(٤٧٢) أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ماتوا وهم يشربون الخمر، إذ كانت مباحة، فلما حرمت قال ناس: كيف بأصحابنا وقد ماتوا وهم يشربونها؟! فنزلت هذه الآية، قاله البراء بن عازب.

و «الجناح» : الإثم. وفيما طعموا ثلاثة أقوال: أحدها: ما شربوا من الخمر قبل تحريمها، قاله ابن عباس، قال ابن قتيبة: يقال: لم أطعم خبزا وأدما ولا ماء ولا نوما. قال الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا «١»

النقاخ: الماء البارد الذي ينقخ الفؤاد ببرده، والبرد: النوم.

والثاني: ما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر. والثالث: ما طعموا من المباحات.

وفي قوله تعالى: إذا ما اتقوا ثلاثة أقوال: أحدها: اتقوا بعد التحريم، قاله ابن عباس.

والثاني: اتقوا المعاصي والشرك. والثالث: اتقوا مخالفة الله في أمره. وفي قوله تعالى: وآمنوا قولان: أحدهما: آمنوا بالله ورسوله. والثاني: آمنوا بتحريمها.

قوله تعالى: وعملوا الصالحات قال مقاتل: أقاموا على الفرائض.

صحيح. أخرجه الترمذي ٣٠٥٠ و ٣٠٥١ والطيالسي ٧١٥ وأبو يعلى ١٧١٩ و ١٧٢٠ وابن حبان ٥٣٥٠ والطبري ١٢٥٣٣ من حديث البراء، وإسناده صحيح على شرطهما، لكن فيه عنعنة أبي إسحاق، وهو مدلس، وجاء في رواية أبي يعلى: قال شعبة: قلت لأبي إسحاق: أسمعته من البراء، قال: لا اه.

ومع ذلك يعتضد بحديث أنس: قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة فنزل تحريم الخمر فأمر مناديا فنادى فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت قال: فخرجت، قال: فجرت في سكك المدينة قال: وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ، فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم قال: فأنزل الله: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا. أخرجه البخاري ٤٦٢٠ ومسلم ١٩٨٠ والحميدي ١٢١٠ وأحمد ٣/ ١٨٣ والنسائي ٨/ ٢٨٧ وابن حبان ٥٣٥٢ و ٥٣٦٣ و ٥٣٦٤ والبيهقي ٨/ ٢٨٦ والبغوي ٢٠٤٣ من طرق عن أنس، رووه بألفاظ متقاربة، واللفظ للبخاري.

---

(١) البيت للعرجي وهو في ديوانه: ١٠٩ و «اللسان» مادة: نقخ.." (١)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/٥٨٣

"به، فنزلت فيه هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول عمرو بن دينار، وعطاء بن دينار، والقاسم بن مخيمرة.

(٥٠٣) وقال مقاتل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي صلى الله عليه وسلم سوءا، فسألوا أبا طالب أن يدفعه إليهم، فيقتلوه، فقال: ما لي عنه صبر فقالوا: ندفع إليك من شبابنا من شئت مكان ابن أخيك، فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فان حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم، وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا

وعرضت دينا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا «١»

فنزلت فيه هذه الآية (٥٠٤) والثاني: أن كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، ويتباعدون بأنفسهم عنه، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال ابن الحنفية، والضحاك، والسدي. فعلى القول الأول، يكون قوله تعالى: «وهم» كناية عن واحد وعلى الثاني: عن جماعة. وفي هاء «عنه» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ثم فيه قولان «٢» . أحدهما: ينهون عن أذاه والثاني: عن اتباعه. والقول الثاني: أنها ترجع إلى القرآن، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. وينأون بمعنى

طريق الثوري عن حبيب عمن سمع ابن عباس عن ابن عباس، وهذا أصح فالإسناد فيه راو مجهول ومع ذلك صححه الحاكم! وسكت عنه الذهب!. ولا يصح وما يأتي عن ابن عباس أرجح، وانظر «تفسير الشوكاني» ٨٩٠ بتخريجنا.

عزاه المصنف لمقاتل، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٢٦ عن مقاتل بدون إسناد ومع ذلك فهو معضل، ومقاتل هو ابن سليمان متهم بالكذب والخبر لم يصح بكل حال وهو واه بمرة.

أخرجه الطبري ١٣١٦٣ والبيهقي ٢/ ٣٤١ من طريق علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس، وفيه إرسال بينهما. وله شواهد عند الطبري عن ابن الحنفية ١٣١٦٢ وعن السدي ١٣١٦٤. وفي الباب روايات.

---

(١) نسب المصنف هذه الأبيات لأبي طالب ولم يصح ذلك من جهة الإسناد كما تقدم.

قوله «غضاضة» : الغض من الشيء التنقص «والتوسد» كناية عن الموت.
(٢) قال الطبري في «تفسيره» ٥/ ١٧٣: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، قول من قال: تأويله وهم ينهون عنه عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم من سواهم من الناس وينأون عن اتباعه. وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشتركين العادين به. والخبر عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أن يكون قوله: وهم ينهون عنه خبرا عنهم، إذا لم يأتنا ما يدل على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها، يدل على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، دون أن يكون خبرا عن خاص منهم. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: وإن ير هؤلاء المشركون يا محمد، كل آية لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاءوك يجادلونك يقولون: «إن هذا الذي جئتنا به إلا أحاديث الأولين وأخبارهم» . وهم ينهون من استماع التنزيل. وينأون عنك فيبعدون منك ومن أتباعك اهـ." (١)

"[سورة التوبة (٩) : الآيات ١٢٠ الى ١٢١]

ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين (١٢٠) ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون (١٢١)

قوله تعالى: ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب قال ابن عباس: يعني: مزينة، وجهينة، وأشجع، وأسلم، وغفار، أن يتخلفوا عن رسول الله في غزوة غزاها، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه لا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر والمشقة. يقال: رغبت بنفسي عن الشيء: إذا ترفعت عنه.

قوله تعالى: ذلك أي: ذلك النهي عن التخلف بأنهم لا يصيبهم ظمأ وهو العطش، ولا نصب وهو التعب، ولا مخمصة وهي المجاعة، ولا ينالون من عدو نيلا أسرا أو قتلا أو هزيمة، فأعلمهم الله أنه يجازيهم على جميع ذلك.

قوله تعالى: ولا ينفقون نفقة صغيرة قال ابن عباس: تمرة فما فوقها، ولا يقطعون واديا مقبلين أو مدبرين إلا كتب لهم أي: أثبت لهم أجر ذلك، ليجزيهم الله أحسن أي: بأحسن ما كانوا يعملون.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١٩/٢

فصل: قال شيخنا علي بن عبيد الله: اختلف المفسرون في هذه الآية، فقالت طائفة: كان في أول الأمر لا يجوز التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان الجهاد يلزم الكل ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقالت طائفة: فرض الله تعالى على جميع المؤمنين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ممن لا عذر له الخروج معه لشيئين: أحدهما: أنه من الواجب عليهم أن يقوه بأنفسهم.
والثاني: أنه إذا خرج الرسول فقد خرج الدين كله، فأمروا بالتظاهر لئلا يقل العدد، وهذا الحكم باق إلى وقتنا فلو خرج أمير المؤمنين إلى الجهاد، وجب على عامة المسلمين متابعته لما ذكرنا. فعلى هذا، الآية محكمة. قال أبو سليمان: لكل آية وجهها، وليس للنسخ على إحدى الآيتين طريق.

[سورة التوبة (٩) : آية ١٢٢]
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (١٢٢)
قوله تعالى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة في سبب نزولها أربعة أقوال «١» :

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥١٦: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: تأويله: وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله وحده، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين أن يخرجوا في غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم، ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا. ولكن عليهم إذا سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن ينفر معه من كل قبيلة من قبائل العرب ط ائفة وهي الفرقة- وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد، كما قال الله جل.
ثناؤه: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يقول: فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة وهذا إلى ها هنا. على أحد الأقوال التي رويت عن ابن عباس وهو قول قتادة والضحاك وإنما قلنا: هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب. لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الأعراب، لغير عذر يعذرون به، إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو وجهاد عدو قبل هذه الآية بقوله: ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله [التوبة: ١٢٠] . ثم عقب ذلك جل ثناؤه وما كان المؤمنون لينفروا كافة فكان معلوما بذلك إذ كان قد عرفهم في الآية التي قبلها اللازم لهم من فرض النفر، والمباح لهم من تركه حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم وشخوصه عن مدينته لجهاد عدو، وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف

خلافه إلا لعذر بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم. أن يكون عقيب تعريفهم ذلك، تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته، وإشخاص غيره عنها، كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم.

وأما قوله: ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه، ولينذر قومهم فيحذرهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم. لعلهم يحذرون يقول: لعل قومهم، إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك، يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله، **حذارا** أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب، وهو قول الحسن البصري لأن «النفر» قد بينا فيما مضى، أنه إذا كان مطلقا بغير صلة بشيء، أن الأغلب من استعمال العرب إياه في الجهاد والغزو، فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعاني فيه، وكان جل ثناؤه قال: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين. علم أن قوله ليتفقهوا إنما هو شرط للنفر لا لغيره. إذ كان يليه دون غيره من الكلام. فإن قال قائل وما تنكر أن يكون معناه: ليتفقه المتخلفون في الدنيا.

قيل: ننكر ذلك لاستحالته. وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة، وجب أن يكون مقامهم معهم سببا لجهلهم وترك التفقه، وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سببا لمنعهم من التفقه.

وبعد، فإنه قال جل ثناؤه: ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم عطفا به على قوله: ليتفقهوا في الدين، ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدم من الله إليها، وللإنذار وخوف الوعيد نفرت، فما وجه إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة، وقد تساوتا في المعرفة بإنذار الله إياهما؟ ولو كانت إحداهما جائز أن توصف بإنذار الأخرى، لكان أحقهما بأن يوصف به، الطائفة النافرة، لأنها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به. ما لم تعاين المقيمة. ولكن ذلك إن شاء الله كما قلنا. في أنها تنذر من حيها وقبيلتها من لم يؤمن بالله إذا رجعت إليه: أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك. اه.." (١)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٢/٣٠٩

"سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ١ الى ٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير (٤)

فصل في نزولها «١» :

روى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله سبحانه وتعالى: ومن الناس من يعبد الله على حرف، والتي تليها «٢» وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت بمكة، وهي قوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلى آخر الأربع «٣» . وقال عطاء بن السائب: نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: هذان خصمان واللتان بعدها «٤» وقال أبو سليم١ن الدمشقي: أولها مدني إلى قوله تعالى: وبشر المحسنين «٥» وسائرها مكي. وقال الثعلبي: هي مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: هذان خصمان إلى قوله تعالى: الحميد «٦» . وقال هبة الله بن سلامة: هي من أعاجيب سور القرآن، لأن فيها مكيا، ومدنيا، وحضريا، وسفريا، وحربيا، وسلميا، وليليا، ونهاريا، وناسخا، ومنسوخا. فأما المكي، فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها. وأما المدني، فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين. وأما الليلي، فمن أولها إلى آخر خمس آيات. وأما النهاري، فمن رأس خمس آيات. إلى رأس تسع. وأما السفري، فمن رأس تسع إلى اثنتي عشرة. وأما الحضري، فإلى رأس العشرين، نسب إلى المدينة، لقرب مدته.

قوله تعالى: اتقوا ربكم أي: احذروا عقابه إن زلزلة الساعة الزلزلة: الحركة على الحالة الهائلة. وفي وقت هذه الزلزلة قولان «٧» : أحدهما: أنها يوم القيامة بعد النشور.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٥: وقال الجمهور: السورة مختلطة، منها مكي ومنها

مدني. وهذا هو الأصح، لأن الآيات تقتضي ذلك، لأن «يا أيها الناس» مكي و «يا أيها الذين آمنوا» مدني. [.....]

(٢) سورة الحج: ١٢، ١٣.

(٣) سورة الحج: ٥٣- ٥٧.

(٤) سورة الحج: ٢٠- ٢٢.

(٥) سورة الحج: ٢٤، ٢٥.

(٦) سورة الحج: ٣٨.

(٧) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٠٥: والصواب من القول في ذلك: ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو حديث أبي سعيد الخدري-.." (١)

"فاستحيا زيد، وجلس في بيته. فبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي، لما بلغك عنه. فإن كنت فاعلا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فإني أخشى أن يقتله غيري، فلا تدعني نفسي حتى أقتل قاتله، فأدخل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل تحسن صحبته ما بقي معنا» ، وأنزل الله سورة المنافقين في تصديق زيد، وتكذيب عبد الله، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زيد فقرأها عليه، وقال: إن الله قد صدقك. ولما أراد عبد الله بن أبي أن يدخل المدينة جاء ابنه، فقال: ما وراءك، قال: ما لك ويلك؟ قال: لا والله لا تدخلها أبدا إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم اليوم من الأعز، ومن الأذل. فشكا عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خل عنه حتى يدخل، فلما نزلت السورة وبان كذبه قيل له: يا أبا حباب:

إنه قد نزلت فيك آيات شداد، فاذهب إلى رسول الله ليستغفر لك، فلوى به رأسه، فلذلك قوله عز وجل: لووا رؤسهم وقيل: إن الذي قال له هذا عبادة بن الصامت.

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة المنافقون (٦٣) : الآيات ١ الى ٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣/٢٢٠

إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون (١) اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون (٢) ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٣) وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو **فاحذرهم** قاتلهم الله أنى يؤفكون (٤)

قوله عز وجل: إذا جاءك المنافقون يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه قالوا نشهد إنك لرسول الله وهاهنا تم الخبر عنهم. ثم ابتدأ فقال عز وجل: والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون وإنما جعلهم كاذبين، لأنهم أضمروا غير ما أظهروا «١» . قال الفراء: إنما كذب ضميرهم.

اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله قد ذكرناه في المجادلة «٢» . قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على أن قول القائل: «أشهد» يمين. لأنهم قالوا: «نشهد» فجعله يمينا بقوله عز وجل: اتخذوا أيمانهم جنة وقد قال أحمد، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة: أشهد، وأقسم، وأعزم، وأحلف، كلها أيمان. وقال الشافعي: «أقسم» ليس بيمين. وإنما قوله: «أقسم بالله» يمين إذا أراد اليمين.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ٢٥٦: الشهادة تكون بالقلب، وتكون باللسان، وتكون بالجوارح، فأما شهادة القلب فهو الاعتقاد أو العلم على رأي قوم، والعلم على رأي آخرين، والصحيح عندي أنه الاعتقاد والعلم. وأما شهادة اللسان فبالكلام، وهو الركن الظاهر من أركانها، وعليه تنبني الأحكام، وتترتب الأعذار والاعتصام. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» متفق عليه.

وقال ابن العربي في «الأحكام» ٤/ ٢٥٧: قال بعض الشافعية: إن قول الشافعي: إن الرجل إذا قال في يمينه- أشهد بالله يكون يمينا بنية اليمين، ورأى أبو حنيفة ومالك أنه دون النية يمين، ولا أرى المسألة إلا هكذا في أصلها. وقد قال مالك، إذا قال الرجل: أشهد: إنه يمين إذا أراد بالله.

(٢) المجادلة: ١٦.." (١)

"قوله تعالى: ذلك أي: ذلك الكذب بأنهم آمنوا باللسان ثم كفروا في السر فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون الإيمان والقرآن وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم يعني: أن لهم أجساما ومناظر.

(١٤٥٢) قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبي جسيما فصيحا، ذلق «١» اللسان، فإذا قال، سمع النبي

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤/٢٨٧

صلى الله عليه وسلم قوله. وقال غيره: المعنى: يصغي إلى قولهم، فيحسب أنه حق كأنهم خشب قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: وحمزة: «خشب» بضم الخاء، والشين جميعا، وهو جمع خشبة. مثل ثمرة، وثمر. وقرأ الكسائي: خشب بضم الخاء، وتسكين الشين، مثل: بدنة، وبدن، وأكمة، وأكم. وعن ابن كثير، وأبي عمرو، مثله. وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة، وابن سيرين:

«خشب» بفتح الخاء، والشين جميعا. وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو عمران خشب بفتح الخاء، وإسكان الشين، فوصفهم الله بحسن الصور، وإبانة النطق، ثم أعلم أنهم في ترك التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب. والمسندة: الممالة إلى الجدار. والمراد: أنها ليست بأشجار تثمر وتنمي، بل هي خشب مسندة إلى حائط. ثم عابهم بالجبن فقال عز وجل: يحسبون كل صيحة عليهم أي: لا يسمعون صوتا إلا ظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب أن يكشف الله أسرارهم، وهذه مبالغة في وصفهم بالجبن. وأنشدوا في هذا المعنى:

ولو أنها عصفورة لحسبتها ... مسومة تدعو عبيدا وأزنما «٢»

أي: لو طارت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا تدعو هاتين القبيلتين.

قوله عز وجل: هم العدو **فاحذرهم** أن تأمنهم: ولا تأمنهم على سرك، لأنهم عيون لأعدائك من الكفار. قاتلهم الله أنى يؤفكون مفسر في براءة «٣» .

[سورة المنافقون (٦٣) : الآيات ٥ الى ٨]

وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون (٥) سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين (٦) هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون (٧) يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون (٨)

قوله عز وجل: وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله قد بينا سببه في نزول السورة «٤» لووا رؤسهم وقرأ نافع، والمفضل عن عاصم، ويعقوب: «لووا» بالتخفيف. واختار أبو عبيد التشديد.

هو بعض حديث، أخرجه ابن المنذر كما في «الدر» ٦/ ٣٣٦ عن ابن عباس بنحوه. ولم أقف على إسناده، لكن لا ريب أن ابن سلول هو أحد المرادين بهذه الآية.

(١) ذلق اللسان: طلق اللسان.

(٢) البيت للعوام بن شوذب الشيباني وهو في «معجم الشعراء» ٣٠٠ و «اللسان» - زنم- وأزنم: بطن من بني يربوع.

(٣) التوبة: ٣٠.

(٤) انظر الحديث المتقدم ١٤٥١.." [(١)]

"والثاني: أن تمام الكلام عند قوله عز وجل: خلقكم ثم وصفهم، فقال عز وجل: فمنكم كافر ومنكم مؤمن، واختلف أرباب هذا القول فيه على أربعة أقوال: أحدها: فمنكم كافر يؤمن، ومنكم مؤمن يكفر، قاله أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة، قاله أبو سعيد الخدري. والثالث: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكوكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكوكب، قاله عطاء بن أبي رباح، وعنى بذلك شأن الأنواء.

والرابع: فمنكم كافر بالله خلقه، ومؤمن بالله خلقه، حكاه الزجاج، والكفر بالخلق مذهب الدهرية، وأهل الطبائع. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله عز وجل: وصوركم فأحسن صوركم قال الزجاج:

أي: خلقكم أحسن الحيوان كله. وقرأ الأعمش «صوركم» بكسر الصاد. ويقال في جمع الصورة:

صور، وصور، وصور، كما يقال في جمع لحية: لحى، ولحى. وذكر ابن السائب أن معنى فأحسن صورکم أحكمها. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ويعلم ما تسرون روى المفضل عن عاصم «يسرون» و «يعلنون» بالياء فيهما ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل هذا خطاب لأهل مكة خوفهم ما نزل بالكفار قبلهم، فذلك قوله عز وجل: فذاقوا وبال أمرهم أي: جزاء أعمالهم، وهو ما أصابهم من العذاب في الدنيا ولهم عذاب أليم في الآخرة ذلك الذي أصابهم بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فينكرون ذلك، ويقولون: أبشر أي: ناس مثلنا يهدوننا والبشر اسم جنس معناه الجمع، وإن كان لفظه واحدا فكفروا وتولوا أي: أعرضوا عن الإيمان واستغنى الله عن إيمانهم وعبادتهم.

[سورة التغابن (٦٤) : الآيات ٧ الى ١٨]

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير (٧) فآمنوا بالله

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤/٢٨٨

ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير (٨) يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (٩) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير (١٠) ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم (١١)

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين (١٢) الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٣) يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم **فاحذروهم** وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم (١٤) إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم (١٥) فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١٦) إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم (١٧) عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم (١٨)

قوله عز وجل: زعم الذين كفروا كان ابن عمر يقول: «زعموا» كناية الكذب. وكان مجاهد يكره أن يقول الرجل: زعم فلان.

قوله عز وجل: وذلك على الله يسير يعني: البعث والنور هو القرآن، وفيه بيان أمر البعث والحساب والجزاء.." (١)

"نصبر لكم على مفارقتكم، ومفارقة الأموال، والمساكن، فأعلم الله عز وجل أن من كان بهذه الصورة، فهو عدو، وإن كان ولدا، أو كانت زوجة. وقال مجاهد: كان حب الرجل ولده وزوجته يحمله على قطيعة رحمه ومعصية ربه. وقال قتادة: كان من أزواجهم، وأولادهم من ينهاهم عن الإسلام، ويثبطهم عنه، فخرج في قوله عز وجل: عدوا لكم ثلاثة أقوال: أحدها: بمنعهم من الهجرة، وهذا على قول ابن عباس. والثاني: بكونهم سببا للمعاصي، وهذا على قول مجاهد. والثالث: بنهيهم عن الإسلام، وهذا على قول قتادة.

قوله عز وجل: **فاحذروهم** قال الفراء: لا تطيعوهم في التخلف.

قوله عز وجل: نما أموالكم وأولادكم فتنة

أي: بلاء وشغل عن الآخرة. فالمال والأولاد يوقعان في العظائم إلا من عصمه الله. وقال ابن قتيبة: أي: إغرام. يقال: فتن فلان بالمرأة، وشغف بها، أي: أغرم بها. وقال أهل المعاني: إنما دخل «من» في قوله عز وجل: إن من أزواجكم لأنه ليس كل الأزواج، والأولاد أعداء. ولم يذكر «من» في قوله عز وجل: نما

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤/٢٩٢

أموالكم وأولادكم فتنة

لأنها لا تخلو من الفتنة، واشتغال القلب بها.

(١٤٥٦) وقد روى بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب، فجاء الحسن، والحسين، عليهما السلام، عليهما قميصان أحمران يمشيان، ويعثران، فنزل من المنبر، فحملهما، فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله عز وجل: نما أموالكم وأولادكم فتنة

نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان، ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي، ورفعتهما» .

قوله عز وجل: الله عنده أجر عظيم

أي: ثواب جزيل، وهو الجنة. والمعنى: لا تعصوه بسبب الأولاد، ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم فاتقوا الله ما استطعتم أي: ما أطقتم واسمعوا ما تؤمرون به وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم وفي هذه النفقة ثلاثة أقوال: أحدها:

الصدقة، قاله ابن عباس. والثاني: نفقة المؤمن على نفسه، قاله الحسن. والثالث: النفقة في الجهاد، قاله الضحاك. ومن يوق شح نفسه حتى يعطي حق الله في ماله. وقد تقدم بيان هذا في سورة الحشر وما بعده سبق بيانه إلى آخر السورة «١» .

حسن. أخرجه الترمذي ٣٧٧٤ والحاكم ١/ ٢٨٧ وابن حبان ٦٠٣٩ والبيهقي ٣/ ٢١٨ من طرق عن علي بن الحسين بن واقد به. عن بريدة مرفوعا. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، مع أن علي بن الحسين روى له مسلم في المقدمة فقط لكنه توبع. وأخرجه أبو داود ١١٠٩ والنسائي ٣/ ١٠٨ و ١٩٢ وابن ماجة ٣٦٠٠ وابن أبي شيبة ٨/ ٣٦٨ و ١٢/ ٢٩٩- ٣٠٠ وأحمد ٥/ ٣٥٤ وابن خزيمة ١٠٨٢ وابن حبان ٦٠٣٨ والبيهقي ٦/ ١٦٥ من حديث بريدة.

وانظر «أحكام القرآن» و «الجامع لأحكام القرآن» ٦٠٠٥.

---

(١) البقرة: ٢٤٥، والحديد: ١١- ١٨، والحشر: ٢٣- ٢٤.." (١)

"تفخيم القصة، كما يقولون: أي شيء زيد؟ إذا أردت تعظيم شأنه. ثم بين ما الذي يتساءلون عنه، فقال عز وجل: عن النبإ العظيم يعني: عن الخبر العظيم الشأن. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: القرآن، قاله

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٢٩٤/٤

مجاهد، ومقاتل، والفراء. قال الفراء: فلما أجاب صارت «عم» كأنها في معنى: لأي شيء يتساءلون عن القرآن. والثاني: البعث، قاله قتادة. والثالث: أنه أمر النبي صلى الله عليه وسلم، حكاه الزجاج.

قوله عز وجل: الذي هم فيه مختلفون من قال: إنه القرآن، فإن المشركين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: أساطير الأولين، إلى غير ذلك. وكذلك من قال: هو أمر النبي صلى الله عليه وسلم. فأما من قال: إنه البعث والقيامة، ففي اختلافهم فيه قولان:

أحدهما: أنهم اختلفوا فيه لما سمعوا به، فمنهم من صدق وآمن، ومنهم من كذب، وهذا معنى قول قتادة.

والثاني: أن المسلمين والمشركين اختلفوا فيه، فصدق به المسلمون، وكذب به المشركون، قاله يحيى بن سلام.

قوله عز وجل: كلا قال بعضهم: هي ردع وزجر. وقال بعضهم: هي نفي لاختلافهم، والمعنى: ليس الأمر على ما قالوا، سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الأمر ثم كلا سيعلمون وعيد على إثر وعيد. وقرأ ابن عامر «ستعلمون» في الحرفين بالتاء. ثم ذكر صنعه ليعرفوا توحيده، فقال عز وجل: ألم نجعل الأرض مهادا أي: فراشا وبساطا والجبال أوتادا للأرض لئلا تميد وخلقناكم أزواجا أي: أصنافا، وأضدادا، ذكورا، وإناثا، سودا وبيضا، وحمرا وجعلنا نومكم سباتا قال ابن قتيبة: أي: راحة لأبدانكم. وقد شرحنا هذا في الفرقان «١» وشرحنا هناك قوله عز وجل: وجعلنا الليل لباسا.

قوله عز وجل: وجعلنا النهار معاشا أي: سببا لمعاشكم. والمعاش: العيش، كل شيء يعاش به، فهو معاش. والمعنى: جعلنا النهار مطلبا للمعاش. وقال ابن قتيبة: معاشا، أي: عيشا، وهو مصدر وبنينا فوقكم سبعا شدادا قال مقاتل: هي السموات، غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مثل ذلك وهي فوقكم يا بني آدم. فاحذروا أن تعصوا فتخر عليكم.

قوله عز وجل: وجعلنا سراجا يعني: الشمس وهاجا قال ابن عباس: هو المضيء. وقال اللغويون: الوهاج: الوقاد. وقيل: الوهاج يجمع النور والحرارة.

قوله عز وجل: وأنزلنا من المعصرات فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السموات، قاله أبي بن كعب، والحسن، وابن جبير. والثاني: أنها الرياح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة ومقاتل. قال زيد بن أسلم: هي الجنوب. فعلى هذا القول تكون «من» بمعنى «الباء» ، وتقديره: بالمعصرات. وإنما قيل للرياح: معصرات، لأنها تستدر المطر. والثالث: أنها السحاب، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية. والضحاك، والربيع، قال الفراء: السحابة المعصر: التي تتحلب بالمطر ولما يجتمع، مثل الجارية

المعصر، قد كادت تحيض، ولما تحض. وكذلك قال ابن قتيبة: شبهت السحاب بمعاصير الجواري، والمعصر: الجارية التي قد دنت من الحيض. وقال

---

(١) الفرقان: ٤٧.." (١)

"جانب، قال ابن قتيبة: يقال: خير طاح، أي: كثير متسع.

وفي المراد «بالنفس» هاهنا قولان: أحدهما: آدم، قاله الحسن. والثاني: جميع النفوس، قاله عطاء. وقد ذكرنا معنى «سواها» في قوله عز وجل: فسواك فعدلك. قوله: فألهمها فجورها وتقواها الإلهام: إيقاع الشيء في النفس. قال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها، وقال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور.

قوله عز وجل: قد أفلح من زكاها قال الزجاج: هذا جواب القسم. والمعنى: لقد أفلح، ولكن اللام حذفت لأن الكلام طال، فصار طوله عوضا منها. وقال ابن الأنباري: جوابه محذوف. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قد أفلحت نفس زكاها الله عز وجل، قاله ابن عباس، ومقاتل والفراء، والزجاج. والثاني: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال، قاله قتادة، وابن قتيبة. ومعنى زكاها: أصلحها وطهرها من الذنوب. قوله: وقد خاب من دساها فيه قولان: كالذي قبله.

فإن قلنا: إن الفعل لله، فمعنى «دساها» : خذلها، وأخملها، وأخفى محلها بالكفر والمعصية، ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح.

وإن قلنا: الفعل للإنسان، فمعنى «دساها» : أخفاها بالفجور. قال الفراء: ويروى أن «دساها» دسسها لأن البخيل يخفي منزله وماله. وقال ابن قتيبة: والمعنى: دسى نفسه، أي: أخفاها بالفجور والمعصية. والأصل من دسست، فقلبت السين ياء، كما قالوا: قصيت أظفاري، أي: قصصتها. فكأن النطف بارتكاب الفواحش دس نفسه، وقمعها، ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفعها، وكانت أجواد العرب تنزل الربا للشهرة. واللئام تنزل الأطراف لتخفي أماكنها. وقال الزجاج: معنى «دساها» جعلها قليلة خسيسة.

[سورة الشمس (٩١) : الآيات ١١ الى ١٥]

كذبت ثمود بطغواها (١١) إذ انبعث أشقاها (١٢) فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها (١٣) فكذبوه

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤/٣٨٨

فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها (١٤) ولا يخاف عقباها (١٥)

قوله عز وجل: كذبت ثمود بطغواها أي: كذبت رسولها بطغيانها. والمعنى: أن الطغيان حملهم على التكذيب. قال الفراء: أراد بطغواها: طغيانها، وهما مصدران، إلا أن الطغوى أشكل برءوس الآيات، فاختير لذلك. وقيل: كذبوا العذاب إذ انبعث أي: انتدب أشقاها وهو: عاقر الناقة يعقرها فقال لهم رسول الله وهو صالح ناقة الله قال الفراء: نصب الناقة على التحذير، وكل تحذير فهو نصب. وقال ابن قتيبة: **احذروا** ناقة الله وشربها. وقال الزجاج: المعنى: ذروا «ناقة الله» وذروا «سقياها» قال المفسرون: سقياها: شربها من الماء. والمعنى: لا تتعرضوا ليوم شربها فكذبوه في تحذيره إياهم العذاب بعقرها فعقروها وقد بينا معنى «العقر» في الأعراف «١» فدمدم عليهم ربهم قال الزجاج: أي: أطبق عليهم العذاب. يقال: دمدمت على الشيء: إذا أطبقت فكررت الإطباق. وقال المؤرج: الدمدمة: إهلاك باستئصال.

---

(١) الأعراف: ٧٧.." (١)

"حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثني محمد بن الحسين، حدثني أبو محمد السنباط، قال: سمعت الوليد بن مسلم، يقول: لما هدمت الكعبة أصابوا في طوبة، يعني آجرة، مكتوبا بالعبرانية: **احذروا** سكرات الموت، واعملوا لما بعده؛ فإن الموت لا يغلب، وساكن الأموات لا يرجع؛ وملك الموت مأمور لا يعصي. ثم إن ابن الزبير هدم الكعبة، وبنا على أساس إبراهيم عليه السلام، وكانت قريش قد قصرت عن ذلك، وأدخل الحجر في البيت، وجعل لها بابين شرقيا وغربيا، ثم نقضها الحجاج بعد ذلك وأعادها إلى البناء الأول.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال لها: «ألا تري أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟» فقالت يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت» .

فقال ابن عمر: ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم، قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت له: فما شأن بابه مرتفعا؟ قال: «فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا» .

وفي لفظ: " لولا أن قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة، وجعلت لها بابين: باب يدخل منه الناس

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤٥١/٤

وباب يخرجون منه ".

ففعله ابن الزبير.." (١)

"رءوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأن أول دمائكم أضع دم ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل.

أما بعد، إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم، ولكنه أن يطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم فقد رضي به، **فاحذروه** على دينكم.

أيها الناس ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله﴾ [التوبة: ٣٧] ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، و ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم﴾ [التوبة: ٣٦] .

ثلاثة متوالية، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا، وإن لهن عليكم حقا، عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فقد أذن الله لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن من أنفسهن شيئا، وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم، أيها الناس، ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا، كتاب الله وسنة نبيه.

أيها الناس، اسمعوا مني ما أقول لكم واعقلوا تعيشوا، إن كل مسلم أخ للمسلم، والمسلمون إخوة، ولا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، ولا تظلموا ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت ".

وقد أخرج مسلم في أفراد من حديث جابر بعض هذه الخطبة وأنها كانت بعد زوال الشمس يوم عرفة.." (٢)

"وقد حرم الله تعالى على أمثالك الدخول إليه، وقال: ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ [التوبة: ٢٨] والذي أردت أن تستكشف من نفسك فقد بان لك، **فاحذر** أن

---

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ط دار الحديث ص/٢٥١

(٢) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ط دار الحديث ص/٣٣٨

تدخل مكة، فإن رأيناك بمكة أنكرنا عليك.

قال حامد: فتركناه ودخلنا مكة، وخرجنا إلى الموقف، فبينما نحن جلوس بعرفات، إذا هو قد أقبل وعليه ثوبان وهو محرم، يتصفح الوجوه حتى وقف علينا، فأكب على إبراهيم يقبل رأسه، فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح؟ قال: هيهات أنا اليوم عبد من المسيح عبده، فقال له إبراهيم حدثني حديثك.

قال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحج، فقمت وتنكرت في زي المسلمين كأني محرم، فحين وقعت عيني على الكعبة اضمحل عندي كل دين سوى الإسلام، فأسلمت واغتسلت وأحرمت، وها أنا أطلبك يومي.

فالتفت إلي إبراهيم، وقال لي: يا حامد، انظر بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام، وصحبنا حتى مات بين الفقراء

! ٢٢٠.

أخبرنا عمر بن ظفر، أنبأنا جعفر بن أحمد، أنبأنا عبد العزيز بن علي، حدثنا ابن جهضم الصوفي، حدثنا خلف بن الحسن العباداني، قال: سمعت أحمد بن محمد التيلي صاحب سهل بن عبد الله، وكان يفضل على سهل، يقول: سلكت البادية مرارا ثم ضعفت، فجلست عن الحج، وأحببت أن أؤدب نفسي لما رأيت من ضعفها وسكونها إلى الجلوس والدعة، فاعتقدت بيني وبين الله تعالى أن أخرج على طريق الكوفة ولا أصحب أحدا.

فخرجت على هذا العقد، وكان الوقت باردا، فلما خرجت من القادسية على عشر فراسخ ونحوها أدركني الليل، وكانت ليلة مظلمة، ومطرا شديدا، وبينما أنا أمشي إذا سمعت قائلا يقول: من هذا المار؟ فقال الآخر: إنس.

فقال الأول: أين يريد؟ قال الآخر: يريد بيت مولاه.

قال الأول: أيش دعواه؟ قال الآخر: يدعي الغنى عن الخلق والسير مع الحق.

قال الأول:." (١)

"وبالإسناد، أنبأنا الجيلي، حدثنا علي بن مسلم، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، قال: سمعت مالك بن دينار، يقول: مررت بطريق الشام فإذا قبر عليه مكتوب:

يا أيها الركب سيروا إن قصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

---

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ط دار الحديث ص/٤١٥

حثوا المطايا وارخوا من أزمتها ... قبل الممات ونصوا ما ينصونا

قال وحدثني محمد بن أبي رجاء، حدثني محمد بن أبي العتاهية، حدثنا هشام الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: أصبت جمجمة في الجاهلية عليها مكتوب:

أذن حي تسمعي ... ثم عي وعي

أنا رهن بمصرعي ... فاحذري مثل مصرعي

قال: فأتيت أبي، فأخبرته، فاستحسنه.

وزاد فيه بعض أصحابنا:

ليس شيء سوى النعي ... فخذي منه أو دعي

قال إسحاق وحدثني محمد بن أبي رجاء، قال: أخبرني صديق لي أنه قرأ على قبر:

الحمد لله ربي قد ... صرت في القبر وحدي

فلست أعرف شيئا ... من أمر ملكي بعدي

مستوحش ذو ذنوب ... خطئت فيها بجهدي

فاغفر إلهي جرمي ... فكم بذلك عندي

أنت الجواد بفضل ... فأحسن اليوم رفدي

وقال إسحاق، حدثني محمد بن مهاجر، قال: سمعت أبا أسامة، يقول: وجدت على قبر مكتوب:

قبر عزيز علينا ... لو أنه كان يفدى

أسكنت قرة عيني ... ومنية النفس لحدا

ما جار خلق علينا ... ولا القضاء تعدى

والصبر أحسن شيء ... به الفتى يتردى." (١)

"وقال إسحاق، حدثنا محمد بن أبي رجاء، أخبرني الحسن بن محمد أنه قرأ على قبر:

وليس للميت في قبره ... فطر ولا أضحى ولا عشر

نأى عن الأهل على قربه ... كذاك من مسكنه القبر

أخبرنا محمد بن أبي منصور، والمبارك بن علي، قالا: أنبأنا الحسن العلاف، أنبأنا أبو الحسن الحمامي، أنبأنا جعفر الخلدي، حدثنا إبراهيم بن نصر، حدثني إبراهيم بن بشار، قال: سمعت إبراهيم بن أدهم،

---

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ط دار الحديث ص/٥٠٩

يقول: مررت ببعض بلاد الشام، فرأيت مقبرة، وإذا على قبر عال مشرف كتاب، فإذا فيه عبر وكلام حسن، وكان يقوله كثيرا:

ما أحد أكرم من مفرد ... في قبره أعماله تؤنسه

منعم في القبر في روضة ... زينها الله فهي مجلسه

قال وحدثني إبراهيم بن أدهم، قال: مررت في بعض جبال الشام، وإذا حجر مكتوب عليه:

كل حي وإن بقي ... فمن العمر يستقي

فاعمل اليوم واجتهد ... واحذر الموت يا شقي

فبينما أنا واقف أقرأ وأبكي، وإذا أنا برجل أشعث، أغبر، عليه مدرعة من شعر، فسلم علي، فرددت عليه، فرأى بكائي، فقال: ما يبكيك؟ فقلت قرأت هذا النقش فأبكاني.

فقال: وأنت لا تتعظ، وتبكي حتى توعظ، ثم قال: سر معي حتى أقرئك غيره، فمضيت غير بعيد، فإذا أنا بصخرة عظيمة، فقال: اقرأ وابك، ولا تقصر، ثم قام يصلي، فإذا في أعلاها:

لا تبتغي جاها وجاهك ساقط ... عند المليك، وكن لجاهك مصلحا." (١)

"وليلة، فاحذر الله والقيام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به، والسلام.

وكتب بعض الحكماء إلى أخ له: أما بعد. . فإن الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والمتوسط بينهما الموت، ونحن في أضغاث، والسلام.

وأنشد بعضهم:

أعيني هلا تبكيان على عمري ... تناثر عمري من يدي ولا أدري

إذا كنت قد جاوزت خمسين حجة ... ولم أتأهب للمعاد فما عذري

وأنشد آخر:

تزود من الدنيا فإنك راحل ... وبادر فإن الموت لا شك نازل

وإن امرءا قد عاش خمسين حجة ... ولم يتزود للمعاد لجاهل

وأنشد غيره:

أحد وستون لو مرت على حجر ... لكان من حكمها أن يخلق الحجر

تؤمل النفس آمالا لتبلغها ... كأنها لا ترى ما يصنع القدر

---

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ط دار الحديث ص/٥١٠

وأنشدوا:

رويدك يا ذا القصر في شرفاته ... فإنك عنه تستحث وتزعج

ولا بد من بيت انقطاع ووحشة ... وإن غرك البيت الأنيق المدبج

وقيل لعمر بن عبد العزيز عند موته: اعهد يا أمير المؤمنين، فقال: **أحذركم** مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه، وإذا وضعتموني في قبري فانزعوا عني لينه، وانظروا ما لحقني من دنياكم هذه.

ووعظ رجل بعض الملوك، فقال: والله ما بينك وبين أن لو لم تخلق إلا أن يدخل ملك الموت من باب بيتك.." (١)

"أرادوا وضع الركن، اختلفوا فيمن يرفعه من القبائل، فاجتمع رأيهم إلى أن يتحاكموا إلى أول داخل من باب المسجد، فدخل نبينا صلى الله عليه وسلم وهو غلام، فحكموه، فقال: هاتوا ثوبا. فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم أمر سيد كل قبيلة أن يأخذ بناحية من الثوب، ثم قال: ارفعوه جميعا، فلما رفعوه وضعه [صلى الله عليه وسلم] بيده.

٢٠٥- أنبأنا الحريري، قال: أخبرنا أبو بكر الخياط، قال: أخبرنا ابن دوست، قال: ثنا صفوان، قال: ثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني أبو محمد السناط، قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول: لما هدمت الكعبة، أصابوا في طوبة (يعني: آجرة) مكتوب بالعبرانية: **احذروا** سكرات الموت، واعملوا لما بعده، فإن الموت لا يغلب، وساكن الأموات لا يرجع، وملك الموت مأمور لا يعصي.

ثم إن ابن الزبير هدم الكعبة وبناها على أساس إبراهيم، وكانت قريش." (٢)

"فخالفهم رسول الله، فأفاض قبل طلوع الشمس.

الخطبة الرابعة في حجة الوداع أيضا

٣١٦- روى عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: حين خطب الناس في حجة الوداع.

((يا أيها الناس! اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا في هذا الموقف. أيها الناس! إن دماءكم وأموالكم حرام إلى يوم تلقون ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، كل

---

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ط دار الحديث ص/٥٢٠

(٢) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ١/٣٥٥

ربا موضوع، ولكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أن لا ربا، وأن ربا لعباس بن عبد المطلب موضوع كله، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني ليث، فقتله هذيل.

أما بعد أيها الناس، قد يئس الشيطان أن يعبد بأرضكم، ولكنه أن يطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم فقد رضي، **فاحذروه** أيها الناس على دينكم، وأن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما." (١)

"موجود غير المعبود، أثير ساكني، وأمتحن خاطري. فقام إبراهيم ومشى.

وقال: دعه يكون معك. فلم يزل يسايرنا إلى أن وافينا بطن مر، فقام إبراهيم ونزع خلقاته، وطهرها بالماء، ثم جلس، وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح. فقال: يا عبد المسيح! هذا دهليز مكة، وقد حرم الله على أمثالك الدخول إليه، وقرأ: ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ ، والذي أردت أن تستكشف من نفسك فقد بان لك، **فاحذر** أن تدخل مكة، فإن رأيناك بمكة، أنكرنا عليك.

قال حامد: فتركناه، ودخلنا مكة، وخرجنا إلى الموقف، فبينا نحن جلوس بعرفات، إذا هو قد أقبل وعليه ثوبان، وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا، فأكب على إبراهيم يقبل رأسه، فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح؟ فقال: هيهات، أنا اليوم عبده، والمسيح عبده، فقال له إبراهيم: حدثني حديثك.

قال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج، فقمت وتنكرت في زي المسلمين كأني محرم، فساعة وقعت عيني على الكعبة، اضمحل عندي كل دين سوى الإسلام، فأسلمت، واغتسلت، وأحرمت، وها أنا أطلبك يومي. فالتفت إلينا إبراهيم وقال: يا حامد! انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف." (٢)

"أصبت في الجاهلية جمجمة عليها مكتوب:

أذن حي تسمعي ... وقفي ثم عي وعي

أنا رهن بمصرعي ... **فاحذري** مثل مصرعي

قال: فأتيت أبي فأخبرته، فاستحسنه، وزادني فيه بعض أصحابنا:

ليس شيء سوى التقى ... فخذي منه أو دعي

---

(١) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ٢/٧٢

(٢) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ٢/١٨٣

٥٠٤- قال إسحاق: حدثني محمد بن أبي رجاء، قال: أخبرني صديق لي، أنه قرأ على قبر:

الحمد لله ربي قد ... صرت في القبر وحدي

فلست أعرف شيئا ... من أمر ملكي بعدي

مستوحش ذو ذنوب ... خطيت فيها بجهدي

فاغفر إلهي جرمي ... وكم يد لك عندي

أنت الجواد بفضل ... فأحسن اليوم رفدي

٥٠٥- قال إسحاق: وحدثني محمد بن مهاجر، قال: سمعت أبا أسامة يقول: وجد على قبر مكتوب:

قبر عزيز علينا ... لو أنه كان يفدى

أسكنت قرة عيني ... ومنية النفس لحدا

ما جار خلق علينا ... ولا القضا تعدى." (١)

"منعم في القبر في روضة ... زينها الله فهي مجلسه ...

٥٠٨- قال: وحدثني إبراهيم بن أدهم، قال: مررت في بعض جبال الشام، فإذا حجر مكتوب عليه:

كل حي وإن بقي ... فمن العمر يستقي

فاعمل اليوم واجتهد ... واحذر الموت يا شقي

فبينا أنا واقف أقرأه وأبكي، إذا أنا برجل أشعث أغبر عليه مدرعة من شعر، فسلم علي، فرددت عليه فرأى بكائي.

فقال: ما يبكيك؟ فقلت: قرأت هذا النقش فأبكاني. فقال: وأنت لا تتعظ، وتبكي حتى توعظ. ثم قال: سر معي حتى أقرئك غيره. فمضيت معه غير بعيد، فإذا أنا بصخرة عظيمة، فقال: اقرأ وابك ولا تقصر، ثم قام يصلي وتركني، فإذا في أعلاها:

لا تبتغي جاها وجاهك ساقط ... عند المليك وكن بجاهك مصلحا

وفي الجانب الأيمن:

من لم يثق بالقضاء والقدر ... لاقى هموما كثيرة الضرر." (٢)

---

(١) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ٣٣١/٢

(٢) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ٣٣٣/٢

"خيرا، يوشك أن يحصد [خيرا أو] رغبة، ومن زرع شرا، فيوشك أن يحصد ندامة.

٥٣٧- وكان أبو الدرداء [رضي الله عنه] يقول: ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، فإن من كان قبلكم بنوا شديدا، وجمعوا كثيرا، وأملوا بعيدا، فأصبح أملهم بعيدا، وجمعهم بورا، ومساكنهم قبورا، كفى بالموت واعظا، وبالدهر مفرقا، فاليوم في الدور وغدا في القبور.

٥٣٨- قال: أنبأنا المبارك بن علي، أنبأ أبو الحسن الحمامي، قال: ثنا محمد بن أحمد الصواف، قال: ثنا بشر بن موسى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا يحيى بن عبد الملك، عن حميد بن أبي غنية، قال: كتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد، فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر الله والقيام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به، والسلام.

- وكتب بعض الحكماء إلى أخ له: أما بعد، فإن الدنيا حلم،." (١)

"سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ، عليهم التيجان أكاليل مكللة بالدر والياقوت والزمرد، ومن تحت التيجان أكاليل بالدر والياقوت والزمرد، نعالهم من ذهب شركها من در ولنجائبهم أجنحة تضع خطوها مد بصرها على كل واحد منها فتى شاب أمرد جعد الرأس له جمة على ما اشتهت له نفسه، حشوها المسك الأذفر لو انتشر مثقال ذرة بالمشرق لوجد أهل المغرب ريحه، أنور الوجه أبيض الجسم أصفر الحلي أخضر الثياب، يشيعهم من قبورهم سبعون ألف ملك

يقولون تعالوا إلى حساب بني آدم كيف يحاسبهم ربهم، مع كل واحد سبعون ألف حربة من نور البرق حتى يوافوا بهم المحشر، فذلك قوله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) ".

هذا حديث موضوع فكافأ الله من وضعه، فما أوحش هذا الكذب وما أبرد هذه السياقة.

وما أفسد هذا الوضع لموازين الأعمال، فكيف يكون للمؤذن أجر الشهيد والحاج، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة: " ثوابك على قدر نصبك ".

وفي هذا الحديث عباد بن كثير، كان شعبة يقول: احذروا حديثه.

وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: روى أحاديث كذب لم يسمعها.

وقال يحيى: ليس بشئ في الحديث.

وقال البخاري: تركوه.

وقال النسائي: متروك الحديث وفيه سلام الطويل.

---

(١) مثير العزم ال ساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ٢/٣٤٧

قال يحيى: ليس بشئ لا يكتب حديثه.

وقال البخاري: تركوه.

وقال النسائي والدارقطني: متروك.

وقال ابن حبان: يروي عن الثقاة الموضوعات كأنه كان المتعمد لها.

حديث آخر: أنبأنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد أنبأنا أبو بكر بن علي الخطيب أنبأنا محمد بن عيسى بن عبد العزيز البزاز حدثنا أبو بكر بن المقري حدثنا أبو شيبة داود بن إبراهيم البغدادي حدثنا أبو عمرو العلا بن عمرو حدثنا إسماعيل بن يحيى حدثنا مسعر عن عطية العوفي عن أبي سعيد قال قال رسول الله." (١)

"حمزة بن يوسف أنبأنا أبو أحمد بن عدي حدثنا عبدان حدثنا ابن مصفى حدثنا يحيى بن سعيد العطار عن محمد الأسدي عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سنة خمسين ومائة خير أولادكم البنات ".

طريق آخر: أنبأنا عبد الرحمن بن محمد القزاز أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت أنبأنا أحمد بن محمد الدستوائي حدثنا علي بن عمر الحافظ حدثنا أبو العباس

عبد الله بن أحمد المارشاني حدثنا أحمد بن إبراهيم المارشاني حدثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر عن سيف بن محمد عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كانت سنة خمسين ومائة فخير أولادكم البنات.

فإذا كانت سنة ستين ومائة فأمثل الناس يومئذ كل ذي حاذ قلنا: وما الحاذ؟ قال: الذي ليس له ولد خفيف المؤنة ".

هذا حديث ليس بشئ.

أما محمد الأسدي فهو محمد بن إسحاق بن إبراهيم ابن محمد بن عكاشة.

قال يحيى: هو كذاب.

وقال ابن عدي: يروى عن الأوزاعي أحاديث مناكير موضوعة.

وقال الدارقطني: يضع الحديث.

وأما يحيى ابن سعيد العطار فقال يحيى بن معين: ليس بشئ.

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي ٢/٨٩

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات لا يجوز الاحتجاج به.

وأما سيف فكذاب بإجماعهم قال أحمد: كان يضع الحديث.

وقد روى بإسناد مظلم كلهم مجاهيل إلى مقاتل عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كان سنة خمسين ومائة **فاحذروا** التزويج، فإن من تزوج في ذلك الزمان سلب الله عقله وهدم دينه ولم يكن له – دينا –[دنيا] ولا آخرة ".

هذا من أفحش الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.." (١)

"محمد النبي وآله وسلم تسليما. أما بعد: وفقنا الله وإياكم لكل ما فيه رضاه؛ وجنبنا وإياكم كل ما فيه سخطه، واستعملنا وإياكم عمل الخاشعين له، العارفين به، فإنه المسؤول ذلك، وأوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم ولزوم السنة والجماعة؛ فقد علمتم ما حل بمن خالفها، وما جاء فيمن اتبعها، فإنه بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها" وأمركم أن لا تؤثروا على القرآن شيئا، فإنه كلام الله، وما تكلم الله به فليس بمخلوق، وما أخبر به عن القرون الماضية فغير مخلوق، وما في اللوح المحفوظ فغير مخلوق، ومن قال: مخلوق، فهو كافر بالله، ومن لم يكفرهم فهو كافر. ثم من بعد كتاب الله سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث عنه وعن المهديين من صحابة النبي، والتابعين من بعدهم، والتصديق بما جاءت به الرسل، واتباع السنة نجاة، وهي التي نقلها أهل العلم كابرا عن كابر، **واحذروا** رأي جهم فإنه صاحب رأي وخصومات.

وأما الجهمية؛ فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا: افترقت الجهمية على ثلاث فرق: فقال بعضهم: القرآن كلام الله وهو مخلوق، وقال." (٢)

"أصابع الله، والدجال خارج في هذه الأمة لا محالة، وينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيقتله بباب لد.

وما أنكرته العلماء من أهل السنة فهو منكر، **واحذروا** البدع كلها، ولا عين تطرف بعد النبي أفضل من أبي بكر، ولا بعد أبي بكر عين تطرف أفضل من عمر، ولا بعد عمر عين تطرف أفضل من عثمان.

قال أحمد: كنا نقول أبو بكر وعمر وعثمان ونسكت عن علي حين صح لنا حديث ابن عمر بالتفضيل.

قال أحمد: هم والله الخلفاء الراشدون المهديون.

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي ١٩٥/٣

(٢) مناقب الإمام أحمد ص/٢٢٥

وأن نشهد للعشرة أنهم في الجنة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح. فمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم شهدنا له بالجنة، ورفع اليدين في الصلاة زيادة في الحسنات. والجهر بآمين عند قول الإمام: ولا الضالين. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بالسيف، ولا تقاتل في الفتنة، ولا تتألى على أحد من المسلمين أن تقول: فلان في الجنة وفلان في النار، إلا العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وصفوا الله بما وصف به نفسه، وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه، **واحذروا** الجدال مع أصحاب الأهواء، والكف عن مساوئ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والتحد بفضائلهم، والإمساك عما شجر بينهم، ولا تشاور أهل البدع في دينك، ولا ترافقهم في سفرك؛ ولا نكاح إلا بولي وخاطب وشاهدي عدل؛." (١)

"الباب الرابع والثلاثون

في ذكر مكاتباته

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل، قال: أخبرنا دعلج قال: حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن الحسين، قال: سمعت أبا جعفر أحمد بن سعيد الدارمي، يقول: كتب إلي أبو عبد الله أحمد بن حنبل: لأبي جعفر، أكرمه الله من أحمد ابن حنبل.

أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا أبو القاسم بن البسري، عن أبي عبد الله بن بطة، قال: أخبرنا أبو بكر الآجري، قال: أخبرنا أبو نصر بن كردي، قال: أخبرنا أبو بكر المروذي، قال: كان أبو عبد الله يكتب عنوان الكتاب: إلى أبي فلان، وقال: هو أصوب من أن يكتب: لأبي فلان.

أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الأنصاري، قال: أخبرنا محمد بن أحمد الحافظ، قال: حدثنا القاسم بن محمد ابن محمود، قال: حدثنا أبو غياث الطالقاني، قال: سمعت سعيد بن يءقوب، يقول: كتب إلي أحمد بن حنبل: بسم الله الرحمن الرحيم، من أحمد ابن محمد، إلى سعيد بن يعقوب، أما بعد: فإن الدنيا داء، والسلطان داء، والعالم طبيب؛ فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه **فاحذره**، والسلام عليك.." (٢)

"٣٠ ومتى رأيت تكديرا في حال، فاذكر نعمة ما شكرت، أو زلة قد فعلت.

٣١ **واحذر** من نفار النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر بسعة بساط الحلم؛ فربما عجل انقباضه، وقد قال الله

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص/٢٢٨

(٢) مناقب الإمام أحمد ص/٢٨٣

عز وجل: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ "الرعد: ١١".

وكان أبو علي الروذباري١ يقول: من الاغترار أن تسيء، فيحسن إليك، فتترك التوبة توهما أنك تسامح في الهفوات.

---

١ محمد بن أحمد بن القاسم، من كبار الصوفية، من أولاد الرؤساء والوزراء أصله من بغداد، سكن مصر، توفي سنة "٣٢٢هـ".." (١)

"شجر الجنة"١.

٨٦- وقد أخذ بعض الجهلة بظواهر أحاديث النعيم، فقال: إن الموتى يأكلون في القبور وينكحون، والصواب من ذلك: أن النفس تخرج بعد الموت إلى نعيم أو عذاب، وأنها تجد ذلك إلى يوم القيامة، فإذا كانت القيامة، أعيدت إلى الجسد، ليتكمل لها التنعم بالوسائط.

٨٧- وقوله: "في حواصل طير خضر" دليل على أن النفوس لا تنال لذة إلا بواسطة، إن كانت٢ تلك اللذة لذة مطعم أو مشرب، فأما لذات المعارف والعلوم، فيجوز أن تنالها بذاتها مع عدم الوسائط.

٨٨- والمقصود من هذا المذكور أني رأيت بعض الانزعاج من الموت، وملاحظة النفس بعين العدم عنده، فقلت لها: إن كنت مصدقة الشريعة، صار الكلام في بيان صحة الشريعة، فقالت: لا ريب عندي. قلت: فاجتهدي في تصحيح الإيمان، وتحقيق التقوى، وأبشري حينئذ بالراحة من ساعة الموت، فإني لا أخاف عليك إلا من التقصير في العمل. واعلمي أن تفاوت النعيم بمقدار درجات الفضائل، فارتفعي بأجنحة الجد إلى أعلى أبراجها، **واحذري** من قانص٣ هوى، أو شرك غزة٤، والله الموفق.

---

١ رواه النسائي "٢٠٧٣"، والترمذي "١٦٤١" عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

٢ في الأصل: إلا أن.

٣ القانص: الصياد.

٤ الغرة: الغفلة.." (٢)

---

(١) صيد الخاطر ص/٣٢

(٢) صيد الخاطر ص/٥٠

"تترك ورثتك أغنياء خير [لك] من أن تتركهم عالة يتكففون الناس".

فإن اعترض جاهل فقال: جاء أبو بكر -رضي الله عنه- بكل ماله[1]. فالجواب: أن أبا بكر صاحب معاش وتجارة؛ فإذا أخرج الكل، أمكنه أن يستدين عليه فيتمعيش، فمن كان على هذه الصفة، لا أذم إخراجه لماله.

وإنما الذم متطرق إلى من يخرج ماله، وليس من أرباب المعايش، أو يكون من أولئك، إلا أنه ينقطع عن المعاش، فيبقى كلا[2] على الناس، يستعطيهم، ويعتقد أنه على الفتوح[3]، وقلبه متعلق بالخلق، وطمعه ناشب فيهم، ومتى حرك بابه، نهض قلبه، وقال: رزق قد جاء!!

وهذا أمر قبيح بمن يقدر على المعاش، وإن لم يقدر، كان إخراج ما يملك أقبح؛ لأنه يتعلق قلبه بما في أيدي الناس، وربما ذلك لبعضهم، أو تزين له بالزهد، وأقل أحواله أن يزاحم الفقراء والمكافيف[4] والزمنى[5] في الزكاة.

١٨٥- فعليك بالسرب الأول[6]، فانظر: هل فيهم من فعل ما يفعله جهلة المتزهدين؟! وقد أشرت في أول هذا إلى أنهم كسبوا، وخلفوا الأموال، فرد إلى الشرب الأول[7] الذي لم يطرق، فإنه الصافي، **واحذر** من المشارع[8] المطروقة بالآراء الفاسدة، الخارجة في المعنى على الشريعة، مدعية[9] بلسان حالها أن الشرع ناقص يحتاج إلى ما يتم به!

---

١ رواه أبو داود "١٦٧٨"، والترمذي "٣٦٧٥"، والحاكم "١/ ٤١٤" عن عمر رضي الله عنه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وتمامه: فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ " فقال: أبقيت لهم الله ورسوله.

٢ الكل: العالة.

٣ الفتوح: الهبات الإلهية.

٤ المكافيف: العميان.

٥ الزمنى: المرضى الذين أقعدهم المرض ولا يرجى برؤهم.

٦ السرب: السلف الصالح. وقد جاء في الأصل هاهنا الشرب بالشين المعجمة، وقد تقدم أكثر من مرة بالسين المهملة.

٧ الشرب الأول: المنهل الأول وهو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

٨ المشارع: الأقنية، وهي هنا بنيات الطريق والسبل المتفرقة عن الصراط المستقيم.

٩ في الأصل: مذعته.." (١)

"أما قالت ابنة الربيع بن خثيم له: ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟!

فقال: إن أباك يخاف عذاب البيات؟!

أما كان أبو مسلم الخولاني١ يعلق سوطا في المسجد يؤدب به نفسه إذا فتر؟!

أما صام يزيد الرقاشي٢ أربعين سنة، وكان يقول: وا لهفاه! سبقني العابدون، وقطع بي؟!

أما صام منصور بن المعتمر٣ أربعين سنة؟!

أما كان سفيان الثوري يبكي الدم من الخوف؟!

أما كان إبراهيم بن أدهم يبول الدم من الخوف؟!

أما تعلمين أخبار الأئمة الأربعة في زهدهم وتعبدهم، أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؟!

احذري من الإخلاد إلى صورة العلم مع ترك العمل به، فإنها حالة الكسالى الزمنى:

وخذ لك منك على مهلة ... ومقبل عيشك لم يدبر

وخف هجمة لا تقيل العثار ... وتطوي الورود على المصدر٤

ومثل لنفسك أي الرعيل ... يضمك في حلبة المحشر٥

---

١ عبد الله بن ثوب الخولاني: ريحانة الشام وحكيم الأمة، تابعي فقيه، عابد زاهد، ولد باليمن، أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وهاجر إلى الشام، ووفاته بدمشق، وقبره بداريا، توفي سنة "٦٢هـ".

٢ يزيد بن أبان الرقاشي البصري القاص الزاهد أبو عمرو، توفي بين سنتي "١١٠-١٢٠هـ".

٣ السلمي الكوفي، أبو عتاب الحافظ الثبت القدوة، أحد الأعلام، توفي سنة "١٣٣هـ".

٤ في حاشية الأصيل: في هامش الهندية: الروابي، بدل الورود.

٥ في حاشية الأصيل: في هامش الهندية: الرعيل بالعين المهملة والياء المثناة التحتية قال في النهاية: يقال للقطعة من الفرسان: رعلة، ولجماعة الخيل: رعيل.." (٢)

---

(١) صيد الخاطر ص/٧٥

(٢) صيد الخاطر ص/٨٦

"٢١٩- فأما بعدنا عن المعرفة الحقيقية، وضعف يقيننا بالناهي، وغلبة شهوتنا مع الغفلة، فيحتاج إلى جهاد أعظم من جهادهم.

تالله، لو ابتلي أحد المقربين بما ابتلينا به، لم يقدر على التماسك، يصبح أحدنا، وخطاب الشرع يقول له: اكسب لعائلتك، **واحذر** في كسبك! وقد تمكن منه ما ليس من فعله، كحب الأهل، وعلوق الولد بنياط القلب، واحتياج بدنه إلى ما لا بد منه.

فتارة يقال للخليل عليه السلام: اذبح ولدك بيدك! واقطع ثمرة فؤادك بكفك! ثم قم إلى المنجنيق لترمى في النار! وتارة يقال لموسى عليه السلام: صم شهرا؛ ليلا ونهارا.

ثم يقال للغضبان: اكظم! وللبصير: اغضض! ولذي المقول: اصمت! ولمستلذ النوم: تهجد! ولمن مات حبيبه: اصبر! ولمن أصيب في بدنه: اشكر! وللواقف في الجهاد بين اثنين: لا يحل أن تفر!

ثم اعلم أن الموت يأتي بأصعب المرارات، فينزع الروح عن البدن، فإذا نزل، فاثبت! واعلم أنك ممزق في القبر، فلا تتسخط؛ لأنه مما يجري به القدر! وإن وقع بك مرض، فلا تشك إلى الخلق!

فهل للملائكة من هذه الأشياء شيء؟! وهل ثم إلا عبادة ساذجة: ليس فيها مقاومة طبع، ولا رد هوى؟! وهل هي إلا عبادة صورية بين ركوع وسجود وتسبيح؟! فأين عبادتهم المعنوية من عبادتنا؟!

٢٢٠- ثم أكثرهم في خدمتنا، بين كتبة علينا، ودافعين عنا، ومسخرين لإرسال الريح والمطر، وأكثر وظائفهم الاستغفار لنا. فكيف يفضلون علينا بلا علة ظاهرة؟!

٢٢١- وأما إذا ما حكت على محك التجارب طائفة منهم -مثل ماروي عن هاروت وماروت١-، خرجوا أقبح من بهرج٢.

٢٢٢- ولا تظنن أني أعتقد في تعبد الملائكة نوع تقصير؛ لأنهم شديدو

---

١ قصة هارون وماروت والزهرة قال عنها العلامة محدث الديار المصرية الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند "٦١٧٨"، ما خلاصته: طرقها واهية معلولة، مع مخالفتها الواضحة للعقل.

٢ البهرج: الزائف الفاسد.." [(١)]

"الإشفاق والخوف، لعلمهم بعظمة الخالق، لكن طمأنينة من لم يخطئ تقوي نفسه، وانزعاج الغائص في الزلل يرقي روحه إلى التراقي١.

---

(١) صيد الخاطر ص/٨٩

٢٢٣- فاعرفوا -إخواني- شرف أقداركم، وصونوا جواهركم عن تدنيسها بلؤم الذنوب، فأنتم معرض الفضل على الملائكة، **فاحذروا** أن تحكم الذنوب إلى حضيض البهائم، فأنتم معرض الفضل على الملائكة، **فاحذروا** أن تحطكم الذنوب إلى حضيض البهائم! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

١ التراقي: جمع ترقوة، وهي عظم بين ثغرة النحر والعاتق، ويكنى ببلوغ الروح إلى التراقي عن الإشراف على الموت.." (١)

"٤٦- فصل: **احذروا** الترخص فيما لا يؤمن فساده

٢٣٧- كنت في بداية الصبوة١ قد ألهمت سلوك طريق الزهاد، بإدامة الصوم والصلاة، وحببت إلي الخلوة، فكنت أجد قلبا طيبا، وكانت عين بصيرتي قوية الحدة، تتأسف على لحظة تمضي في غير طاعة، وتبادر٢ الوقت في اغتنام الطاعات، ولي نوع أنس، وحلاوة مناجاة، فانتهى الأمر إلى أن صار بعض ولاة الأمور يستحسن كلامي، فأمالني إليه، فمال الطبع، ففقدت تلك الحلاوة. ثم استمالني آخر، فكنت أتقي مخالطته ومطاعمه لخوف الشبهات، وكانت حالتي قريبة، ثم جاء التأويل، فانبسطت فيما يباح، فعدم ما كنت أجد من استنارة وسكينة، وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب، إلى أن عدم النور كله، فكان حنيني إلى ما ضاع مني يوجب انزعاج أهل المجلس، فيتوبون ويصلحون، وأخرج مفلسا فيما بيني وبين حالي!

٢٣٨- وكثر ضجيجي من مرضي، وعجزت عن طلب نفسي، فلجأت إلى قبول الصالحين، وتوسلت في صلاحي، فاجتذبني لطف مولاي بي إلى الخلوة على كراهة مني، ورد قلبي على بعد نفور مني، وأراني عيب ما كنت أوثره، فأفقت من مرض غفلتي، وقلت في مناجاة خلوتي:

"سيدي كيف أقدر على شكرك؟ وبأي لسان أنطق بمدحك، إذ لم تؤاخذني على غفلتي، ونبهتني من رقدتي، وأصلحت حالي على كره من طبعي؟!

فما أربحني فيما سلب مني إذا كانت ثمرته اللجأ إليك!

وما أوفر جمعي إذ ثمرته إقبالي٣ على الخلوة بك! وما أغناني إذ أفقرتني

---

١ الصبوة: الصبا.

---

(١) صيد الخاطر ص/٩٠

٢ تبادر: تسارع.

٣ في حاشية الأصل: في الأصل: إقبالك.." (١)

"إليك! وما آنسني إذ أوحشتني من خلقك١!

آه على زمان ضاع في غير خدمتك! أسفا لوقت مضى في غير طاعتك.

٢٣٩- قد كنت إذا انتبهت وقت الفجر لا يؤلمني نومي طول الليل، وإذا انسلخ عني النهار لا يوجعني ضياع ذلك اليوم، وما علمت أن عدم الإحساس لقوة المرض. فالآن قد هبت نسائم العافية، فأحسست بالألم، فاستدللت على الصحة، فيا عظيم الإنعام! تمم لي العافية.

٢٤٠- آه من سكر لم يعلم قدر عربدته إلا في وقت الإفاقة! لقد فتقت ما يصعب رتقه، فوا أسفا على بضاعة ضاعت، وعلى ملاح تعب في موج الشمال مصاعدا مدة، ثم غلبه النوم، فرد إلى مكانه الأول.

٢٤١- يا من يقرأ تحذيري من التخليط٢! فإني -وإن كنت خنت نفسي بالفعل- نصيح لإخواني بالقول: احذروا -إخواني- من الترخص فيما لا يؤمن فساده؛ فإن الشيطان يزين المباح في أول مرتبة، ثم يجر إلى الجناح٢، فتلمحوا المآل، وافهموا الحال! وربما أراكم الغاية الصالحة، وكان في الطريق إليها نوع مخالفة! فيكفي الاعتبار في تلك الحال بأبيكم: ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [طه: ١٢٠] ، إنما تأمل آدم الغاية -وهي الخلد- ولكنه غلط في الطريق.

٢٤٢- وهذا أعجب مصايد إبليس التي يصيد بها العلماء، يتأولون لعواقب المصالح، فيستعجلون ضرر المفاسد!!

مثاله: أن يقول للعالم: ادخل على هذا الظالم، فاشفع في مظلوم! فيستعجل الداخل رؤية المنكرات، ويتزلزل دينه، وربما وقع في شرك صار به أظلم من ذلك الظالم. فمن لم يثق بدينة، فليحذر من المصايد، فإنها خفية.

---

١ في الأصل: إذ أوحشتني بالتجارب لخلقك.

٢ التخليط: الجمع بين العمل الصالح والعمل الطالح.

٣ الجناح: الإثم.." (٢)

---

(١) صيد الخاطر ص/٩٣

(٢) صيد الخاطر ص/٩٤

"وإنما فعل وزينه عندهم لسببين: أحدهما: أنه أرادهم يمشون في الظلمة.

والثاني: أن تصفح العلم كل يوم يزيد في العالم، ويكشف له ما كان خفي عنه، ويقوي إيمانه ومعرفته، ويريه عيب كثير من مسالكه، إذا تصفح منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة.

فأراد إبليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة؛ فأظهر أنه المقصود العمل لا العلم لنفسه، وخفي على المخدوع أن العلم عمل، وأي عمل!

فاحذر من هذه الخديعة الخفية، فإن العلم هو الأصل الأعظم والنور الأكبر.

وربما كان تقليب الأوراق أفضل من الصوم والصلاة والحج والغزو، وكم من معرض عن العلم يخوض في عذاب الهوى في تعبده، ويضيع كثيرا من الفرص بالنفل، ويشتغل بما يزعمه الأفضل عن الواجب، ولو كانت عنده شعلة من نور العلم، لاهتدى، فتأمل ما ذكرت لك، ترشد إن شاء الله تعالى.." (١)

"٣٨٢- ومنهم من فسح لنفسه في كل ما يحب من التنعم واللذات، واقتنع من التصوف بالقميص والفوطة١ والعمامة اللطيفة، ولم ينظر من أين يأكل، ولا من أين يشرب، وخالط الأمراء من أرباب الدنيا، ولباس الحرير، وشراب الخمور، حفظا لماله وجاهه.

٣٨٣- ومنهم أقوام عملوا سننا لهم، تلقوها من كلمات أكثرها لا يثبت!!

٣٨٤- ومنهم من أكب على سماع الغناء والرقص واللعب، ثم انقسم هؤلاء، فمنهم من يدعي العشق فيه، ومنهم من يقول بالحلول٢، ومنهم "من" يسمع على وجه الهوى واللعب، وكلا الطريقين يفسد العوام الفساد العام.

٣٨٥- وهذا الشرح يطول، وقد صنفت كتبا ترى فيها البسط الحسن إن شاء الله تعالى، منها "تلبيس إبليس".

والمقصود أن تعلم أن الشرع تام كامل، فإن رزقت فهما له، فأنت تتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتترك بنيات الطريق، ولا تقلد في دينك الرجال، فإن فعلت، فإنك لا تحتاج إلى وصية أخرى.

٣٨٦- **واحذر** جمود النقلة، وانبساط المتكلمين، وجموح٣ المتزهدين، وشره أهل الهوى، ووقوف العلماء على صورة العلم من غير عمل، وعمل المتعبدين بغير علم.

٣٨٧- ومن أيده الله تعالى بلطفه، رزقه الفهم، وأخرجه عن ربقة التقليد، وجعله أمة وحده في زمانه، لا يبالي بمن عبث، ولا يلتفت إلى من لام، قد سلم زمامه إلى دليله في واضح السبيل. عصمنا الله وإياكم من

---

(١) صيد الخاطر ص/١١٣

تقليد المعظمين، وألهمنا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه درة الوجود، ومقصود الكون صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وأتباعه، ورزقنا اتباعه مع أتباعه.

---

١ الفوطة: المئزر.

٢ الحلول: حلول الخالق بالمخلوق تعالى الله عما يفتري الظالمون.

٣ في الأصل: جموع.." (١)

"٨٤- فصل: اعرفوا عظمة الناهي

٤٢٩- كثير من الناس يتسامحون في أمور يظنونها قريبة، وهي تقدح في الأصول، كاستعارة طلاب العلم جزءا لا يردونه، وقصد الدخول على من يأكل ليأكل١ معه، وتناول طعام لم يدع الإنسان إليه، والتسامح بعرض العدو التذاذا بذلك، واستصغارا لمثل هذا الذنب، وإطلاق البصر هوانا بتلك الخطيئة، وفتوى من لا يعلم لئلا يقال: هو جاهل، ونحو ذلك مما يظنه صغيرا وهو عظيم.

وأهون ما يصنع ذلك بصاحبه أن يحطه من مرتبة المتميزين بين الناس، ومن مقام رفعة القدر عند الحق.

وربما قيل له بلسان الحق: يا من أؤتمن على أمر يسير فخان! ما بلية حظك فانو به٢.

قال بعض السلف: تسامحت بلقمة، فتناولتها، فأنا اليوم من أربعين سنة إلى خلف٣.

فالله الله! اسمعوا ممن قد جرب! كونوا على مراقبة! وانظروا في العواقب! واعرفوا عظمة الناهي! واحذروا من نفخة تحتقر، وشررة تستصغر، فربما أحرقت بلدا! وهذا الذي أشرت إليه، يسير يدل على كثير، وأنموذج يعرف باقي المحقرات من الذنوب.

والعلم والمراقبة يعرفانك ما أخللت بذكره، ويعلمانك إن تلمحت بعين البصيرة أثر شؤم فعله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

١ في الأصل: ليؤكل.

٢ في "ي": كيف ترجو بتدليك رضا الديان. والتدلي: انحطاط في الهمة توقع صاحبها في المعاصي.

٣ خلف: أي من سيئ إلى أسوأ.." (٢)

---

(١) صيد الخاطر ص/١٣٦

(٢) صيد الخاطر ص/١٤٩

"٩٠- فصل: ثبتت حكمة الله في حكمه وملكه

٤٥٢- رأيت في العقل نوع منازعة للتطلع إلى [معرفة] جميع حكم الحق -عز وجل- في حكمه! فربما لم يتبين له بعضها -مثل النقض بعد البناء- فيقف متحيرا! وربما انتهز الشيطان تلك الفرصة، فوسوس إليه: أين الحكمة من هذا؟!

فقلت له: احذر أن تخدع يا مسكين! فإنه قد ثبت [عندك] بالدليل القاطع -لما رأيت من إتقان الصنائع- [مبلغ] حكمة الصانع؛ فإن خفي عليك بعض الحكم، فلضعف إدراكك.

٤٥٣- ثم ما زالت للملوك أسرار، فمن أنت حتى تطلع بضعفك على جميع حكمه؟! يكفيك الجمل! وإياك إياك أن تتعرض لما يخفي عليك، فإنك بعض موضوعاته، وذرة من مصنوعاته، فكيف تتحكم على من صدرت عنه؟!

٤٥٤- ثم قد ثبتت عندك حكمته في حكمه وملكه، فأعمل آلتك على قدر قوتك في مطالعة ما يمكن من الحكم، فإنه سيورثك الدهش! وغمض عما يخفى عليك، فحقيق بذي البصر الضعيف ألا يقاوي١ نور الشمس.

١ يقاوي: يغالب، وما زال هذا الحرف مستعملا في الشام.." (١)

"٩٨- فصل: أخذ الإشارات من الأشعار

٤٧٢- ربما أخذ المتيقظ بيت شعر، فأخذ منه إشارة، فانتفع بها، قال الجنيد: ناولني سري رقعة، مكتوب فيها: سمعت حاديا١ في طريق مكة شرفها الله تعالى يقول:

أبكي وما يدريك ما يبكيني ... أبكي حذار أن تفارقيني

وتقطعي حبلي وتهجريني

فانظر -رحمك الله ووفقك- إلى تأثير هذه الأبيات عند سري، حتى أحب أن يطلع منها الجنيد على ما اطلع عليه، ولم يصلح للاطلاع على مثلها إلا الجنيد.

فإن أقواما فيهم كثافة طبع وخشونة فهم، قال بعضهم لما سمع مثل هذه: إلام يشار بهذه؟ إن كان إلى الحق، فالحق -عز وجل- لا يشار إليه بلفظ تأنيث، وإن كان إلى امرأة، فأين الزهد؟! ولعمري إن هذا حداء أهل الغفلة إذا سمعوا مثل هذا، ولذلك ينهى عن سماع القصائد وأقوال أهل الغناء؛ لأن الغالب حمل

(١) صيد الخاطر ص/١٥٦

تلك الأبيات على مقاصد النفس وغلبات الهوى. ومن أين لنا مثل الجنيد وسري؟! وإذا وجدنا مثلهما، فهم١ خبيران بما يسمعان.

٤٧٣- وأما اعتراض هذا الكثيف الطبع، فالجواب: أن سريا لم يأخذ الإشارة من اللفظ، ولم يقس ذلك على مطلوبه، فيصيره تأنيثا أو تذكيرا؛ وإنما أخذ الإشارة من المعني، فكأنه يخاطب حبيبه بمعنى الأبيات، فيقول: أبكي **حذارا** من إعراضك وإبعادك! فهذا الحاصل له، وما التفت قط إلى تذكير ولا إلى تأنيث، فافهم هذا٢!

٤٧٤- وما زال المتيقظون يأخذون الإشارة من مثل هذا، حتى كانوا يأخذونها من هذا الذي تقوله العامة ويلقبونه بـ "كان وكان"٣.

---

١ الحادي: من ينشد للإبل كي تسرع في سيرها.

٢ قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في قواعده "١/ ٣٥٦": تشبيه النفيس بالخسيس سوء أدب لا شك فيه، كالتشبيه بالخصر والردف ونحو ذلك من التشبيهات المستقبحات.

٣ نوع من الزجل اخترعه البغداديون، نظموا فيه أقاصيص وأساطير، يكون كل شطر من الأشطر الأربعة مخالفا للشطر الآخر في الوزن، وليس على الناظم أن يلتزم إلا قافية الشطر الأخير، جميل سلطان "كتاب الشعر" ص "١٦٨".." (١)

"٤٧٦- ومازلت أغلب نفسي تارة، وتغلبني أخرى، ثم تدعي الحاجة إلى تحصيل ما لا بد لها منه، وتقول: فما أتعدى في الكسب المباح في الظاهر! فقلت لها: أو ليس الورع يمنع من هذا؟ قالت: بلى، قلت: أليست القسوة في القلب تحصل به؟ قالت: بلى. قلت: فلا خير لك في شيء هذا ثمرته!

٤٧٧- فخلوت يوما بنفسي، فقلت لها: ويحك! اسمعي أحدثك! إن جمعت شيئا من الدنيا من وجه فيه شبهة، أفأنت على يقين من إنفاقه؟ قالت: لا. قلت: فالمحنة أن يحظى به الغير، ولا تنالين إلا الكدر العاجل، والوزر الذي لا يؤمن.

ويحك! اتركي هذا الذي يمنع منه الورع لأجل الله، فعامليه بتركه. وكأنك لا تريدين أن١ تتركي إلا ما هو محرم فقط، أو ما لا يصح وجهه؟ أو ما سمعت أن: "من ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه"٢؟! أما لك عبرة في أقوام جمعوا، فحازه سواهم، وأملوا فما بلغو مناهم؟! كم من عالم جمع كتبا كثيرة ما انتفع بها! وكم

---

(١) صيد الخاطر ص/١٦٢

من منتفع ما عنده عشرة أجزاء! وكم من طيب العيش لا يملك دينارين! وكم ن ذي قناطير منغص!

أما لك فطنة تتلمح أحوال من يترخص من وجه، فيسلب منها من أوجه؟! ربما نزل المرض بصاحب الدار، أو ببعض من فيها، فأنفق في سنته أضعاف ما ترخيص في كسبه، والمتقي معافى.

فضجت النفس من لومي، وقالت: إذا لم أتعد واجب الشرع، فما الذي تريد مني؟! فقلت لها: أضن بك عن الغبن، وأنت أعرف بباطن أمرك. قالت: فقل لي: ما أصنع؟ قلت: عليك بالمراقبة لمن يراك، ومثلي نفسك بحضرة معظم من الخلق؛ فإنك بين يدي الملك الأعظم، يرى من باطنك ما لا يراه المعظمون من ظاهرك، فخذي بالأحوط، **واحذري** من الترخص في بيع اليقين والتقوى بعاجل الهوى، فإن ضاق الطبع مما تلقين، فقولي له: مهلا، فما انقضت مدة الإشارة! والله مرشدك إلى التحقيق، ومعينك بالتوفيق.

---

١ في الأصل: ألا.

٢ رواه أحمد "٥/ ٣٦٣"، والنسائي في الكبرى، والقضاعي "١١٣٥" عن رجل من أهل البادية.." (١)

"١١٢- فصل: آفة الصداقة الحسد.

٥٣٢- من أعظم الغلط: الثقة بالناس، والاسترسال إلى الأصدقاء، فإن أشد الأعداء وأكثرهم أذى الصديق المنقلب عدوا؛ لأنه قد اطلع على خفي السر، قال الشاعر١:

احذر عدوك مرة ... **واحذر** صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصدي ... ق فكان أعلم بالمضره

٥٣٣- واعلم أن من الأمر الموضوع في النفوس الحسد على النعم، أو الغبطة٢، وحب الرفعة! فإذا رآك من يعتقدك مثلا له، وقد ارتقيت عليه، فلا بد أن يتأثر، وربما حسد؛ فإن إخوة يوسف عليهم السلام من هذا الجنس، جرى لهم ما شأنهم.

فإن قلت: كيف يبقى الإنسان بلا صديق؟!

قلت لك: أتراك ما تعلم أن المجانس يحسد، وأن أكثر العوام يعتقدون في العالم أنه لا يتبسم، ولا يتناول من شهوات الدنيا شيئا؛ فإذا رأوا بعض انبساطه في المباح، هبط من أعينهم؟! فإذا كانت هذه حالة العوام، وتلك حالة الخواص، فمع من تكون المعاشرة؟!

لا، بل والله ما تصح المعاشرة مع النفس؛ لأنها متلونة.

---

(١) صيد الخاطر ص/١٦٤

١ هو، علي بن عيسى انظر محاضرات الراغب "٣/ ٣٤".

٢ الغبطة: أن تتمنى لنفسك مثل ما لأخيك من نعمة دون أن تتمنى زوالها عنه.." (١)

"يعرض له مستحسن، فيغلبه الطبع، فيطلق النظر، وتشاغل في حال نظره بالتذاذ الطبع عن تلمح معنى النهي، فيكون كالغائب أو كالسكران، فإذا انتبه لنفسه، ندم على فعله، فقام الندم بغسل تلك الأوساخ، التي كانت كأنها غلطة لم تقصد، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١] .

فأما المداوم على تلك النظرة، المردد لها، المصر عليها، فكأنه في مقام متعمد للنهي، مبارز بالخلاف، فالعفو يبعد عنه بمقدار إصراره، ومن البعد ألا يرى الجزاء على ذلك، كما قال ابن الجلاء: رآني شيخي وأنا قائم أتأمل حدثا نصرانيا، فقال: ما هذا؟! لترين غبها ولو بعد حين. فنسيت القرآن بعد أربعين سنة.

٥٨٩- واعلم أنه من أعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب، فإن العقوبة تتأخر. ومن أعظم العقوبة ألا يحس الإنسان بها، وأن تكون في سلب الدين، وطمس القلوب، وسوء الاختيار للنفس، فيكون من آثارها سلامة البدن، وبلوغ الأغراض.

٥٩٠- قال بعض المعتبرين: أطلقت نظري فيما لا يحل لي، ثم كنت أنتظر العقوبة، فألجئت إلى سفر طويل، لا نية لي فيه، فلقيت المشاق، ثم أعقب ذلك موت أعز الخلق عندي، وذهاب أشياء كان لها وقع عظيم عندي، ثم تلافيت أمري بالتوبة، فصلح حالي.

ثم عاد الهوى، فحملني على إطلاق بصري مرة أخرى، فطمس قلبي، وعدمت رقته، واستلب مني ما هو أكثر من فقد الأول، ووقع لي تعويض عن المفقود بما كان فقده أصلح.

فلما تأملت ما عوضت وما سلب مني، صحت من ألم تلك السياط، فها أنا أنادي من على الساحل: إخواني! **احذروا** لجة هذا البحر، ولا تغتروا بسكونه، وعليكم بالساحل، ولازموا حصن التقوى، فالعقوبة مرة.

واعلموا أن في ملازمة التقوى مرارات من فقد الأغراض والمشتهيات، غير أنها في ضرب المثل كالحمية

(١) صيد الخاطر ص/١٧٩

تعقب صحة، والتخليط ربما جلب موت الفجأة.

وبالله، لو نمتم على المزابل مع الكلاب في طلب رضا المبتلي، كان قليلا في." (١)

"فإن عجل، سطرته، وإن أخر، فما أشك في حسن الجزاء لمن خاف مقام ربه؛ فإنه من ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه.

والله، إني ما تركته إلا لله تعالى، ويكفيني تركه ذخيرة، حتى لو قيل لي: أتذكر يوما آثرت الله على هواك؟ قلت: يوم كذا وكذا.

فافتخري أيتها النفس بتوفيقك، واحمدي من وفقك، فكم قد خذل سواك! **واحذري** أن تخذلي في مثلها! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٦٥٣- وكان هذا في سنة إحدى وستين وخمس مائة، فلما دخلت سنة خمس وستين١، عوضت خيرا من ذلك بما لا يقارب مما لا يمنع منه ورع ولا غيره؛ فقلت: هذا جزاء الترك لأجل الله سبحانه في الدنيا: ﴿ولأجر الآخرة خير﴾ [يوسف: ٥٧] ، والحمد لله.

---

١ أي سنة "٥٦٥ هـ".." (٢)

"فلم تنجب! فقال: يا أبا إسحاق! مقاساة ما مر بي طول هذه المدة أهون علي من هذا الجواب.

٨٤٩- أما الصور، فإنه متى صحت البنية، ولم يكن فيها عيب، فالغالب صحة الباطن، وحسن الخلق، ومتى كان فيها عيب، فالعيب في الباطن أيضا، **فاحذر** من به عاهة، كالأقرع والأعمى وغير ذلك، فإن بواطنهم في الغالب ردية.

٨٥٠- ثم مع معرفة أصول المخالط، وكمال صورته، لابد من التجربة قبل المخالطة، واستعمال الحذر لازم، وإن كان كما ينبغي.." (٣)

"٨٦٤- ومن العجز إفشاء السر إلى الولد والزوجة، والمال من جملة السر، فاطلاعهم عليه: إن كان كثيرا، فربما تمنوا هلاك المورث١، وإن كان قليلا، تبرموا بوجوده، وربما طلبوا من الكثير على مقدار كثرته، فأتلفته النفقات.

---

(١) صيد الخاطر ص/١٩٤

(٢) صيد الخاطر ص/٢١٢

(٣) صيد الخاطر ص/٢٧١

٨٦٥- وستر المصائب من جملة كتمان السر؛ لأن إظهارها يسر الشامت، ويؤلم المحب.

٨٦٦- وكذلك ينبغي أن يكتم مقدار السن؛ لأنه إن كان كبيرا، استهرموه، وإن كان صغيرا، احتقروه.

٨٦٧- ومما قد انهال فيه كثير من المفرطين: أنهم يذكرون بين أصدقائهم أميرا أو سلطانا، فيقولون فيه، فيبلغ ذلك إليه، فيكون سبب الهلاك. وربما رأي الرجل من صديقه إخلاصا وافيا، فأشاع سره. وقد قيل٢:

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصديـ ... ـق فكان أدرى بالمضره

٨٦٨- ورب مفش سره إلى زوجة أو صديق، فيصير بذلك رهينا عنده، ولا يتجاسر أن يطلق الزوجة، ولا أن يهجر الصديق، مخافة أن يظهر سره القبيح.

فالحازم من عامل الناس بالظاهر، فلا يضيق [صدره بسره] ٣، فإن فارقته امرأة أو صديق أو خادم، لم يقدر أحد منهم أن يقول فيه ما يكره.

٨٦٩- ومن أعظم الأسرار الخلوات، ليحذر الحازم فيها من الانبساط بمرأى من مخلوق، ومن خلق له عقل ثاقب، دله على الصواب قبل الوصايا.

---

١ في الأصل: المورروث.

٢ البيتان لعلي بن عيسى، انظر: محاضرات الراغب "٣/ ٢٨".

٣ في الأصل: فلا يضيق سره في صدره.." (١)

"ولا تقنع مني النفس بربة البيت، إذ قد كبرت. فقلت له: عندي جوابان:

أحدهما: الجواب العامي، وهو أن أقول: ينبغي أن تشتغل بذكر الموت، وما قد توجهت إليه، وتحذر من اشتراء جارية، لا تقدر على إيفاء حقها، فإنها تبغضك. فإن أجهدت، استعجلت التلف، وإن استبقيت قوتك، غضبت هي، على أنها لا تريد شيخا كيف كان.

وقد أنشدنا علي بن عبيد الله، قال: أنشدنا محمد التميمي:

أفق يا فؤادي من غرامك واستمع ... مقالة محزون عليك شفيق

علقت فتاة قلبها متعلق ... بغيرك، فاستوثقت غير وثيق

وأصبحت موثوقا، وراحت طليقة ... فكم بين موثوق وبين طليق

---

(١) صيد الخاطر ص/٢٧٤

فأعلم أنها تعد عليك الأيام، وتطلب منك فضل المال، لتستعد لغيرك، وربما قصدت حتفك، **فاحذر**! والسلامة في الترك، والاقتناع بما يدفع الزمان.

والجواب الثاني: فإني أقول: لا يخلو أن تكون قادرا على الوطء في وقت، أو لا تكون.

فإن كنت لا تقدر، فالأولى مصابرة الترك للكل، وإن كان يمكن للحازم أن يداري المرأة بالنفقة، وطيب الخلق، إلا أنه يخاطر.

وإن كنت تقدر في أوقات على ذلك، ورأيت من نفسك توقا شديدا، فعليك بالمراهقات، فإنهن ما عرفن النكاح، وما طلبن الوطء، واغمرهن بالإنفاق، وحسن الخلق، مع الاحتياط عليهن، والمنع من مخالطة النسوة، وإذا اتفق وطء، فتصبر عن الإنزال، ريثما تقضي المرأة حاجتها!

واعتمد وعظها وتذكيرها بالآخرة! واذكر لها حكايات العشاق من غير نكاح، وقبح صورة الفعل! والفت قلبها إلى ذكر الصالحين! ولا تخل نفسك من الطيب والتزين، والكياسة، والمداراة، والإنفاق الواسع! فهذا ربما حرك الناقة للمسير، مع خطر السلامة.." (١)

"١١٧٣- وثم نكتة عجيبة، وهو أنك ربما عملت بمقتضى الحال الحاضرة، وهي تحكم بكمال الحب، ثم إن ذلك لا يثبت إليك، فتقع، وتبقى مقهورا، ويصعب عليك الخلاص! وربما تمكنت منك بمعرفة سرك، أو بأخذ كثير من مالك.

١١٧٤- ومن أحسن ما بلغني في هذا أن جارية لبعض الخلفاء كانت تحبه حبا شديدا، ولا تظهر له ذلك، فسئلت عن هذا؟ فقالت: لو أظهرت ما عندي، فجفاني، هلكت، قال الشاعر:

لا تظهرن مودة لحبيب ... فترى بعينك منه كل عجيب

أظهرت يوما للحبيب مودتي ... فأخذت من هجرانه بنصيبي

١١٧٥- وكذا ينبغي أن تكتم بعض حبك للولد؛ لأنه يتسلط عليك، ويضيع مالك، ويبالغ في الإدلال، ويمتنع عن التعلم والتأدب.

١١٧٦- وكذلك إذا اصطفيت صديقا وخبرته، فلا تخبره بكل ما عندك، بل تعاهده بالإحسان، كما تتعاهد الشجرة، فإنها إذا كانت جيدة الأصل، حسنت ثمرتها بالتعاهد، ثم كن منه على حذر، فقد تتغير الأحوال، وقد قيل:

---

(١) صيد الخاطر ص/٣٤٦

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصدي ... ق فكان أدرى بالمضره." (١)

"٢٦٤- فصل: نصائح لأهل العلم وطلابه

١٢٠٩- هيهات أن يجتمع الهم مع التلبس بأمور الدنيا! خصوصا الشاب الفقير، الذي قد ألف الفقر؛ فإنه إذا تزوج، وليس له شيء من الدنيا، اهتم بالكسب، أو بالطلب من الناس، فتشتت همته، وجاءه الأولاد، فزاد الأمر عليه، ولا يزال يرخص لنفسه فيما يحصل إلى أن يتلبس بالحرام.

ومن يفكر، فهمته ما يأكل، وما يأكله أهله، وما ترضى به الزوجة من النفقة والكسوة، وليس له ذلك، فأي قلب يحضر له؟! وأي هم يجتمع؟!

هيهات! والله، لا يجتمع الهم، والعين تنظر إلى الناس، والسمع يسمع حديثهم، واللسان يخاطبهم، والقلب متوزع في تحصيل ما لا بد منه.

١٢١٠- فإن قال قائل: فكيف أصنع؟! قلت: إن وجدت ما يكفيك من الدنيا، أو معيشة تكفك، فاقنع بها، وانفرد في خلوة عن الخلق مهما قدرت. وإن تزوجت، فبفقيرة تقنع باليسير، وتصبر أنت على صورتها وفقرها، ولا تترك نفسك تطمح إلى من تحتاج إلى فضل نفقته؛ فإن رزقت امرأة صالحة جمعت همك، [فذاك] ، وإن لم تقدر، فمعالجة الصبر أصلح لك من المخاطرة، وإياك والمستحسنات، فإن صاحبهن - إذا سلمح كعابد صنم، وإذا حصل بيدك شيء، فانفق بعضه، فبحفظ الباقي تحفظ شتات قلبك.

١٢١١- واحذر كل الحذر من هذا الزمان وأهله، فما بقي مواس، ولا مؤثر، ولا من يهتم لسد خلة١ ولا من لو سئل أعطى؛ إلا أن يعطي نزرا بتضجر ومنة، يستعبد بها المعطى بقية العمر، ويستثقله كلما رآه، أو يستدعي بها خدمته له، والتردد إليه.

١٢١٢- وإنما كان في الزمان الماضي مثل أبي عمرو بن نجيد٢، سمع أبا

---

١ الخلة: الحاجة.

٢ إسماعيل بن نجيد بن أحمد السلمي النيسابوري: أحد العباد الزهاد ومسند خراسان "٢٧٢-٣٦٥هـ".." (٢)

---

(١) صيد الخاطر ص/٣٥٧

(٢) صيد الخاطر ص/٣٦٨

"في البداية من ماء وطين، وفي الثاني من ماء مهين، ثم تحملون الأنجاس على الدوام، ولو حبس عنكم الهواء، لصرتم جيفا، ولو أليق....١ منكم أهلككم، وكم من رأي يراه حازمكم؛ فإذا عرضه على غيره، تبين له قبح رأيه.

ثم المعاصي منكم زائدة في الحد، فما فيكم إلا الاعتراض على المالك الحكيم؟! ولو لم يكن في هذه البلاوي٢ إلا أن يراد منا التسليم؛ لكفى.

١٥٨٤- ولو أنه أنشأ الخلق ليدلو على وجوده. ثم أهلكهم، ولم يعدهم، كان ذلك له؛ لأنه مالك؛ لكنه بفضله وعد بالإعادة والجزاء والبقاء الدائم في النعيم. فمتى ما جرى أمر لا تعرف علته، فانسب ذلك إلى قصور علمك، وقد ترى مقتولا ظلما، وكم قد قتل وظلم، حتى قوبل ببعضه. وقل أن يجري لأحد آفة إلا ويتسحقها، غير أن تلك الآفات المجازى بها غائبة عنا، ورأينا الجزاء وحده.

فسلم تسلم، **واحذر** كلة اعتراض أو إضمار، فربما أخرجتك من دائرة الإسلام.

---

١ في حاشية الأصل: كذلك أيضا.

٢ البلايا.." (١)

"٣٧٣- فصل: العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا

١٦٧٠- العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا، فإن كان فقيرا؛ اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق، وقلل العلائق، واستعمل القناعة، فعاش سليما من منن الناس عزيزا بينهم.

وإن كان غنيا، فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر، فيحتاج إلى الذل للخلق، ومن البلية أن يبذر في النفقة، ويباهي بها ليكمد الأعداء، كأنه يتعرض بذلك -إن أكثر- لإصابته بالعين!

١٦٧١- وينبغي التوسط في الأحوال، وكتمان ما يصلح كتمانه. ولقد وجد بعض الغسالين مالا، فأكثر في النفقة، فعلم به؛ فأخذ منه المال، وعاد إلى الفقر.

وإنما التدبير حفظ المال، والتوسط في الإنفاق، وكتمان ما لا يصلح إظهاره.

١٦٧٢- ومن الغلط إطلاع الزوجة على قدر المال؛ فإنه إن كان قليلا؛ هان عندها الزوج، وإن كان كثيرا؛ طلبت زيادة الكسوة والحلي! قال الله عز وجل: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [النساء: ٥] . وكذلك الولد.

---

(١) صيد الخاطر ص/٤٨٠

١٦٧٣- وكذلك الأسرار، ينبغي أن تحفظ، وأن يحذر منها ومن الصديق، فربما انقلب، فقد قال الشاعر:

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصدي ... ق فكان أعلم بالمضره

١٦٧٤- بحمد الله تعالى قد نجز ما توخاه الفكر الفاتر من تقييد ما جمعه القلم، من "صيد الخاطر"، مقتصرا فيه على ما به "التخلي من الأمراض النفسية، والتحلي بالآداب الشرعية، والأخلاق المرضية"، جعله الله تعالى خير هاد على منبر الوعظ والإرشاد، وأنفع كتاب تجلى في مرايا الظهور لهداية العباد، والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.." (١)

"١٧٠٢- وقد كان السلف الصالح -رحمهم الله- يحبون جمع كل فضيلة، ويبكون على فوات واحدة منها، قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: دخلنا على عابد مريض، وهو ينظر إلى رجليه ويبكي، فقلنا: ما لك تبكي؟ فقال: ما اغبرتا في سبيل الله. وبكى آخر فقالوا: ما يبكيك؟ فقال: علي يوم مضى ما صمته، وعلى ليلة ذهبت ما قمتها.

١٧٠٣- واعلم -يا بني- أن الأيام تبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاسا، وكل نفس خزانة؛ فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء، فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم.

١٧٠٤- وقد قال رجل لعامر بن عبد قيس: قف أكلمك، فقال: أمسك الشمس.

١٧٠٥- وقعد قوم عند معروف رحمه الله فقال: أما تريدون أن تقوموا؛ فإن ملك الشمس يجرها لا يفتر!.

١٧٠٦- وفي الحديث: "من قال: سبحان الله العظيم وبحمده؛ غرست له نخلة في الجنة"، فانظر إلى مضيع الساعات كم يفوته من النخيل!.

١٧٠٧- وقد كان السف يغتنمون اللحظات، فكان كهمس١ رحمه الله يختم القرآن كل يوم وليلة ثلاث مرات، وكان أربعون رجلا من السلف يصلون الصبح بوضوء العشاء، وكانت رابعة العدوية تحيي الليل كله؛ فإذا طلع الفجر هجعت هجعة حقيقة، ثم قامت فزعة، وقالت لنفسها: النوم في القبور طويل.

---

١ كهمس بن الحسين التميمي البصري، أبو الحسن، عابد، توفي سنة "١٤٩هـ".." (٢)

---

(١) صيد الخاطر ص/٤٩٨

(٢) صيد الخاطر ص/٥٠٥

"٧/ ٣٨١- فصل: العزلة أصل كل خير

١٧١٨- وعليك بالعزلة، فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء، وليكن جلساؤك الكتب، والنظر في سير السلف.

١٧١٩- ولا تشتغل بعلم حتى تحكم ما قبله، وتلمح سير الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون، فقد قال الشاعر١:

ولم أر في عيوب الناس شيئا ... كنقص القادرين على التمام

١٧٢٠- واعلم أن العلم يرفع الأراذل؛ فقد كان خلق كثير من العلماء لا نسب لهم يذكر، ولا صورة تستحسن.

١٧٢١- وكان عطاء بن أبي رباح٢ أسود اللون، مستوحش الخلقة، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك -وهو خليفة- ومعه ولداه٣، فجلسوا يسألونه عن المناسك،

---

١ المتنبي، ديوانه ص "٤٧٦".

٢ أبو محمد القرشي الجمحي مولاهم، ولد في الجند باليمن، ونشأ بمكة، وكان من أوعية العلم، حتى صار شيخ الإسلام ومفتي الحرم، توفي سنة "١١٤هـ".

٣ في م: ولده.." (١)

"أوله القافية البحر الشاعر الفصل

"ح"

طاول بها سمحا البسيط - ٥٩، ٣٣٤

أفد طبعك المزح الطويل البستي ١٧١

"د"

وفي الناس جلده الطويل المتنبي ١٦٩

ولما تعامى مقاصده الطويل الحريري ٢٩٩

إن الليالي ما تلد البسيط - ٣١

ما جحد الجحود الرجز - ٣١٢

---

(١) صيد الخاطر ص/٥٠٨

جزى الله كالمزاد الوافر - ١٦٨

إنما الحب عضد مجزوء الرجز - ٢٣٥، ٢٥٦

"ر"

كأنك الدهر الطويل - ٤

ومن ينفق الفقر الطويل - ٢٢٢

الناس العمر البسيط - ٦٢

ولولا الصغار الوافر نصيب ٢٣٥

تفضل أميره الطويل - ٢٥٥

رب قوم غرارا المديد أبو يعلى العلوي ٣٤٠

لا تحسبن الصبرا البسيط - ٣٤١

احذر مره مجزوء الكامل علي بن عيسى ١١٢، ١٨٦، ٢٥٢، ٣٧٣

وسواء كسره الخفيف - ٢٩٤

إذا المرء عبوه المتقارب - ٣٦٣

زوامل الأباعر الطويل مروان بن أبي حفصه ١١٤

فإن تكلمت إضماري البسيط - ٨٨

واحسرتي سير البسيط - ٢١

اهتز الظفر البسيط - ١٦٨

ما في الديار نجاريه البسيط - ٢٦١، ٢٧٣

طبعت الأكدار الكامل التهامي ٢٩٣

وخذ يدبر المتقارب - ٤٠، ١٣٢." (١)

"موضوع الصفحة

٢٥ فصل: المقصود من العلم العمل ٥٦

٢٦ فصل: محبة الخالق توجب قلقا وشوقا ٥٨

٢٧ فصل: قصور العقل عن درك جميع المطلوب ٥٩

---

(١) صيد الخاطر ص/٥٣١

"يحيى، وأخرجه مسلم عن زهير، وجماعة، عن ابن مهدي، كلاهما عن شعبة، فكأني سمعته في طريق البخاري من شيخ شيخنا، وفي طريق مسلم من عبد الغافر شيخ شيخ شيخنا.

ولد شيخنا سنة تسع وستين وأربع مائة، وسمع ببغداد من أبي محمد التميمي، وطراد، وابن البطر، وغيرهم، وسمع بنيسابور من جماعة، وببلخ وهراة، ودخل مرو، وجال في خراسان.

وكانت له معرفة بالحديث والفقه وكان يعظ ولا يتكلف، فربما صعد المنبر ومعه مروياته، فلما احتضر قال له أصحابه: أوصنا.

فقال: أوصيكم بتقوى الله ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا، ثم قال لبعض أصحابه: انظر، هل ترى جبيني يعرق؟ فقال: نعم.

فقال: الحمد لله، هذه علامة المؤمن.

يريد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمن يموت بعرق الجبين.

ثم بسط يده عند الموت فقال:." (٢)

"ذكر نبذة من كلامه ومواعظة:

عن حفص بن عمرو السعدي عن عمه قال قال سلمان لحذيفة يا اخا بني عبس العلم كثير والعمر قصير فخذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك ودع ما سواه فلا تعانه.

وعن أبي سعيد الوهبي عن سلمان قال إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه فإذا اشتهى ما يضره منعه وقال لا تقربه فانك ان اتيته أهلكك فلا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة مما قد فضل به غيره من العيش فيمنعه الله عز وجل اياه ويحجره حتى يتوفاه فيدخله الجنة.

وعن جرير قال قال سلمان يا جرير تواضع لله عز وجل فانه من تواضع لله عز وجل في الدنيا رفعه الله يوم

---

(١) صيد الخاطر ص/٥٤٩

(٢) مشيخة ابن الجوزي ص/١٤٤

القيامة يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت لا قال ظلم الناس بينهم في الدنيا قال ثم أخذ عويدا لا أكاد اراه بين اصبعيه قال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده قال قلت يا أبا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر.

وعن أبي البختري عن سلمان قال مثل القلب والجسد مثل اعمى ومقعد قال المقعد اني ارى تمرة ولا استطيع ان اقوم إليها فاحملني فحمله فاكل واطعمه.

وعن قتادة قال قال سلمان إذا اساءت سيئة في سريرة فاحسن حسنة في سريرة وإذا اساءت سيئة في علانية فاحسن حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه.

وعن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد ان الدرداء كتب إلى سلمان هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان ان الأرض لا تقدس أحدا وإنما يقدس الأنسان عمله وقد بلغني انك جعلت طبيبا فان كنت تبرىء فنعما لك وان كنت متطببا **فاحذر** ان تقتل أنسانا فتدخل النار فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فادبر عنه نظر اليهما وقال متطبب والله ارجعا إلى اعيدا قصتكما.

عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال ثلاث أعجبتني حتى اضحكتني مؤمل دنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه لا يدري اساخط رب العالمين عليه أم راض عنه وثلاث احزنني حتى ابكينني: فراق محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي عز وجل ولا ادري جنة أو إلى نار.

وعن حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال ما من مسلم." (١)

"١٨٥- أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج

مولى لقوم من بني ليث بن بكر

عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال: ما رأيت أحدا الحكمة إلى فيه اقرب من أبي حازم.

وعن سفيان قال: قيل لأبي حازم ما مالك؟ قال: ثقتي بالله عز وجل ويأسى مما في أيدي الناس.

وعن ثوابة بن رافع قال: قال أبو حازم: ما مضى من الدنيا فحلم وما بقي فأماني.

وعن محمد مطرف قال: ثنا أبو حازم قال: لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله إلا احسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يغور فيما بينه وبين الله عز وجل إلا اعور فيما بينه وبين العباد. ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها، انك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجوه كلها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنفتك الوجوه كلها.

---

(١) صفة الصفوة ١/٢٠٨

وعن عمر بن سعيد بن حسين عن أبي حازم قال: إذا رأيت الله عز وجل يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره.

محمد بن عبيد قال: أنا بعض أهل الحجاز قال: قال أبو حازم: كل نعمة لا تقرب من الله عز وجل فهي بلية.

وعن أبي معشر قال: رأيت أبا حازم لم يقص في المسجد ويبكي ويمسح بدموعه وجهه. فقلت: يا أبا حازم لم تفعل هذا؟ قال: بلغني أن النار لا تصيب موضعا أصابته الدموع من خشية الله تعالى.

وعن سفيان قال: قال أبو حازم: ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظا للسانه منه لموضع قدميه.

١٨٥- هو: سلمة بن دينار الأعرج أبو حازم الأفزر التمار المدني القاص مولى الأسود بن سفيان ثقة عابد من الخامسة.." (١)

"والله ما قمت لله عز وجل مقاما واحدا أحيي له فيه دينا ولا أميت له فيه باطلا؟ أين شكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه؟ ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله عز وجل ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ [الأعراف: ١٦٩] انك لست في دار مقام قد أوذنت بالرحيل فما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان في الدنيا على وجل ما يؤمن من أن يموت وتبقى ذنوبه من بعده انك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلا أن ترد له على ظهرك. ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره. احذر فقد أتيت وتخلص فقد وهلت. انك تعامل من لا يجهل والذي يحفظ عليك لا يغفل. تجهز فقد دنا منك سفر بعيد وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن إني أردت توبيخك وتعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك، وذكرت قوله تعالى: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات: ٥٥] أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه دخر لك خيرا منعوه أو علمك شيئا جهلوه؟ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحدث قي سنه، الجاهل في علمه، المأفون في رأيه، المدخول في عقله؟ ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وعن محمد بن إسحاق الموصلي قال: قال أبو حازم: أن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أوان

---

(١) صفة الصفوة ٣٨٦/١

كسادها فانه لو جاء يوم نفاقها لم تصل منها إلى قليل ولا إلى كثير.
قال ابن أبي الحواري: وسمعت مروان بن محمد يقول: قال أبو حازم ويحك يا أعرج يدعى يوم القيامة بأهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم، ثم يدعى بأهل خطيئة.
وعن عبد الرحمن بن جرير قال: سمعت أبا حازم: يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح.
وعن محمد بن مطرف قال: قال أبو حازم: ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد الزق به شيء يسوءك.
وعن سعيد بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال أن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله من سيئة هي عليه اضر منها، وان العبد ليعمل السيئة ثم تسوءه حين يعملها، وما خلق الله عز وجل من حسنة انفع له منه، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتجبر فيها ويرى." (١)
"وعن الحرمازي قال كان رجل من أهل السواد يلزم جعفر بن محمد ففقده فسأل عنه فقال له رجل انه نبطي يريد أن يضع منه فقال جعفر اصل الرجل عقله وحسبه ودينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون.
وعن سفيان الثوري قال سمعت جعفر بن محمد الصادق يقول عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول فإن طلب في الخمول ولم توجد فيوشك أن تكون في التخلي وليس كالخمول فإن طلبت في التخلي ولم توجد فيوشك أن تكون في الصمت وليس كالتخلي فإن طلب في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها.
وعن عبد الله بن الفضيل بن الربيع عن ابيه ولم يحفظ على الدعاء وبعضه عن غيره قال حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال ابعث إلي جعفر بن محمد من يأتينا به تعبا قتلني الله إن لم أقتله فتغافل عنه الربيع لينساه ثم أعاد ذكره للربيع وقال أرسل إليه من يأتي به متعبا فتشاغل عنه ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر وأمره أن يبعث إليه ففعل فلما أتاه قال له يا أبا عبد الله اذكر الله فانه قد أرسل إليك التي لا سوى لها قال جعفر لا حول ولا قوة إلا بالله ثم اعلم أبا جعفر حضوره فلما دخل أوعده وقال أي عدو الله اتخذك أهل العراق إماما يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل قتلني الله إن لم أقتلك فقال يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أعطى فشكر وان أيوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وأنت من ذلك السنخ فقال له أبو جعفر إلي وعندي أبا عبد الله البريء الساحة

(١) صفة الصفوة ٣٨٩/١

السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من ذي رحم افضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم.
ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه ثم قال علي بالمنجفة فأتي بدهن فيه غالية فغلفه بيده حتى خلت لجيته قاطرة ثم قال في حفظ الله وفي كلاءته ثم قال يا ربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته انصرف أبا عبد الله في حفظ الله وفي كنفه فانصرف ولحقته فقلت له أني قد رأيت قبل ذلك ما لم تره ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت قال قلت اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام واغفر لي بقدرتك علي لا أهلك وأنت رجائي اللهم انك اكبر واجل ممن أخاف **واحذر** اللهم بك ادفع في نحره واستعذ بك من شره.." (١)

"قال أبو عامر فأسقط في يدي وقلت ماذا جنيت على نفسي إذ خرجت علي جارية عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها وانفها واصفر لطول القيام لونها وتورمت قدماها فقالت أحسنت والله يا حادي قلوب العارفين ومثير أشجان غليل المحزونين لا نسي لا هذا المقام رب العالمين يا أبا عامر هذا الشيخ والدي مبتلى بالسقم منذ عشر سنين صلى حتى اقعد وبكى حتى عممت وكان يتمناك على الله ويقول حضرت مجلس أبي عامر البناني فأحيا موات فكري وطرد وسن نومي وان سمعته ثانيا قتلني فجزاك الله من واعظ ومتعك من حكمتك بما أعطاك.
ثم اكتب على أبيها تقبل عينيه وتبكي وتقول يا أبي أبتاه يا من أعماه البكاء على ذنبه يا أبي يا أبتاه يا من قتله ذكر وعيد ربه ثم علا البكاء والنحيب والاستغفار والدعاء وجعلت تقول يا أبي يا أبتاه يا حليف الحرقة والبكاء يا أبي يا أبتاه يا جليس الابتهال والدعاء يا أبي يا أبتاه يا صريع المذكرين والخطباء يا أبي يا أبتاه يا قتيل الوعاظ والحكماء.
قال أبو عامر فأجبتها وقلت أيها الباكية الحيرى النادبة الثكلى إن أباك نحبه قد قضى وورد دار الجزاء وعاين كل ما عمل وعليه يحصى في كتاب عند ربي لا يضل ربي ولا ينسى فمحسن فله الزلفى أو مسيء فوارد دار من أساء.
فصاحت الجارية كصيحة أبيها وجعلت ترشح عرقا وخرجت مبادرا إلى مسجد المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وفزعت إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتضرع والبكاء حتى كان عند العصر فجاءني الغلام الأسود فآذنني بجنازتهما فقلت احضر الصلاة عليهما ودفنهم فحضرت وسالت عنهما فقيل لي من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب.

---

(١) صفة الصفوة ٣٩٣/١

قال أبو عامر فما زلت جزعا مما حنيت حتى رايتهما في المنام عليهما حلتان خضراوان فقلت مرحبا بكما وأهلا فما زلت حذار مما وعظتكما به فماذا صنع الله بكما فقال الشيخ:

أنت شريكي في الذي نلته ... مستاهلا ذاك أبا عامر

وكل من أيقظ ذا غفلة ... فنصف ما يعطاه للأمر

من رد عبدا آبقا مذنبا ... كان كمن قد راقب القاهر

واجتمعا في دار عدن وفي ... جوار رب سيد غافر." (١)

"وعن يونس بن عبد الاعلى قال قال لي الشافعي يا يونس اذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فاياك ان تبادره بالعداوة وقطع الولاية فتكون ممن ازال يقينه بشك ولكن القه وقل له بلغني عنك كذا وكذا واحذر ان تسمى له المبلغ فان انكر ذلك فقل له انت اصدق وابر لا تزيدن على ذلك شيئا وان اعترف بذلك ف رأيت له في ذلك وجها لعذر فاقبل منه وان لم تر ذلك فقل له ماذا اردت بما بلغني عنك فان ذكر ماله وجه من العذر فاقبل منه وإن لم تر لذلك وجها لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ اثبتها عليه سيئة ثم انت في ذلك بالخيار ان شئت كافاته بمثله من غير زيادة وان شئت عفوت عنه والعفو اقرب للتقوى وابلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ [الشورى: ٤٠] فان نازعتك نفسك بالمكأفاة فافكر فيما سبق له لديك من الاحسان فعدها ثم ابدر له احسانا بهذه السيئة ولا تبخسن باقي احسانه السالف بهذه السيئة فان ذلك الظلم بعينه يا يونس اذا كان لك صديق فشد يديك به فان اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل.

قال وسمعت الشافعي يقول يا يونس الانقباض عن الناس مكسبه للعدواة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط.

وعن احمد بن الوزير قال ثنا محمد بن ادريس الشافعي قال قبلو السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن اقبل واجاز.

قال وتنقص رجل محمد بن الحسن عند الشافعي فقال له مه لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام.

وعن الربيع بن سليمان قال قال الشافعي استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر.

وعنه قال سمعت الشافعي يقول من ضحك منه في مسالة لم ينسها ابدا.

وعنه قال قال لي الشافعي يا ربيع رضا الناس غاية لا تدرك فعليك بما يصلحك فالزمه فانه لا سبيل الى

---

(١) صفة الصفوة ٤٠٦/١

رضاهم واعلم انه من تعلم القرآن جل في عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم النحو هيب ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وملاك ذلك كله التقوى. وعن المزني قال سمعت الشافعي يقول من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر في الفقه نبل مقداره ومن تعلم اللغة رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.." (١)

"وعن الجنيد قال سمعت سريا يقول ما احب ان اموت حيث اعرف اخاف الا تقبلني الارض فافتضح.

وقال سمعت سريا يقول اني لانظر الى انفي في كل يوم مرتين مخافة ان يكون قد اسود وجهي.

احمد بن عبد الله قال اخبرني جعفر بن محمد في كتابه قال سمعت الجنيد قال سمعت السري بن مغلس يقول لو احسست بانسان يريد ان يدخل علي فقلت بلحيتي كذا وامر يده على لحيته كانه يريد تسويتها من أجل دخول الداخل لخفت ان يعذبني الله على ذلك بالنار.

وسمعته يقول أحب ان اكل اكلة ليس لله علي فيها تبعة ولا لمخلوق علي فيها منة فما اجد الى ذلك سبيلا.

وسمعته يقول خرجنا يوما من مكة فلما اصحرنا رأيت في مجرى السيل طاقة بقل فمددت يدي فاخذتها وقلت الحمد لله ورجوت ان تكون حلالا ليس لمخلوق فيها منة فقال لي بعض من راني وقد اخذتها يا ابا الحسن التفت فالتفت فاذا مثل تلك الطاقة كثير فقال لي خذ فقلت له الطاقة الاولى ليس لاحد فيها منة وهذا بدلالتك وانما اريد ما لا منة فيه لمخلوق ولا لله فيه تبعة.

قال وسمعته يقول كنت بطرسوس فكان معي في الدار فتيان متعبدون وكان في الدار تنور يخبزون فيه فانكسر التنور فعملت بدله من مالي فتورعوا ان يخبزوا فيه.

وقال له رجل كيف انت؟ فانشا يقول:

من لم يبت والحب حشو فؤاده ... لم يدر كيف تفتت الاكباد

وسمعته يقول اللهم ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب.

وسمعته يقول اذا فاتني جزء من وردي لا يمكنني ان اقضيه ابدا.

وسمعته يقول اذا ابتدا الانسان ثم كتب الحديث فتر واذا ابتدا بكتبه الحديث ثم تنسك نفذ.

---

(١) صفة الصفوة ٤٣٦/١

وذكر له اهل الحقائق من العباد فقال اكلهم اكل المرضى ونومهم نوم الغرقى.

وسمعته يقول **احذر** لا تكون ثناء منشورا وعيبا مستورا.

وسمعته يقول وقد ذكر الناس فقال لا تعمل لهم شيئا ولا تترك لهم شيئا ولا تعط لهم شيئا ولا تكشف لهم عن شيءيريد بهذا ان تكون اعمالك كلها لله تعالى.." (١)

"٢٨٨- فتح بن شحرف بن داود ابن مزاحم أبو نصر الكشي

قال البربهاري سمعت ابن شحرف يقول رأيت رب العزة جل وعز في النوم فقال يا فتح **احذر** لا اخذك على غرة قال فتهت في الجبال سبع سنين.

وعن رويم بن احمد قال لقيني يوما الفتح بن شحرف فقال يا أبا محمد أنت أمين الله على نفسك لا ترى علي شيئا محتاج إليه ولا عندي شيء تزحمك الحاجة إليه فتتخلف عن أخذه.

وعن محمد بن المسيب قال قال الإمام احمد بن حنبل ما أخرجت خراسان مثل فتح بن شحرف.

وعن الحسين بن يحيى الارموي قال كتب فتح بن شحرف على باب بيته: رحم الله ميتا دخل على هذا الميت فلم يذكر الموتى عنده إلا بخير.

وقال احمد بن عبد الجبار سمعت ابي يقول صحبت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء ثم رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه ونظر إلى السماء ثم قال قد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك.

وعن أبي الحسين الحمادي القاضي قال سمعت الفتح بن شحرف يقول رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في النوم فقلت له يا أمير المؤمنين أوصني قال لي ما احسن تواضع الأغنياء للفقراء واحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء قال فقلت له زدني فاوما الي بكفه فإذا فيه مكتوب:." (٢)

"وعن مقاتل بن محمد بن بنان العتكي قال حضرت مع أبي وأخي عند ابن إسحاق يعني إبراهيم الحربي فقال إبراهيم لأبي هؤلاء أولادك قال نعم قال **احذر** لا يرونك حيث نهاك الله فتسقط من أعينهم.

وعن محمد بن خلف وكيع قال كان لإبراهيم الحربي ابن وكان له إحدى عشرة سنة حفظ القرآن ولقنه من الفقه شيئا كثيرا قال فمات فجئت اعزيه فقال كنت اشتهي موت ابني هذا قال قلت يا با إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد انجب ولقنته الحديث والفقه؟ قال نعم رأيت في النوم كان القيامة قد

---

(١) صفة الصفوة ٤٩٨/١

(٢) صفة الصفوة ٥١١/١

قامت وكان الصبيان بايديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم وكان اليوم يوما حارا شديدا حره قال فقلت لاحدهم اسقني من هذا الماء قال فنظر الي وقال ليس انت أبي فقلت أي شيء انتم قال فقال نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلفنا اباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء قال فلهذا تمنيت موته.

وعن عيسى بن محمد الطوماري قال دخلنا على إبراهيم الحربي وهو مريض وقد كان يحمل ماؤه إلى الطبيب فجاءت الجارية وردت الماء وقالت مات الطبيب فبكى وانشأ يقول:

إذا مات المعالج من سقامي ... فيوشك للمعالج ان يموتا

وعن علي بن الحسن البزار قال سمعت إبراهيم بن اسحاق الحربي يقول وقد دخل عليه قوم يعودونه فقالوا كيف تجدك يا ابا اسحاق قال اجدني كما قال الشاعر:

دب في البلاء سفلا وعلوا ... واراني اموت عضوا فعضوا

ذهبت جدتي بطاعة تفسي ... وتذكرت طاعة الله نضوا

اسند إبراهيم الحربي عن أبي نعيم الفضل بن دكين وعفان ومسدد واحمد بن حنبل وخلق كثير لا يحصون. وتوفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين وقبره ظاهر يتبرك الناس به رحمه الله.." (١)

"وعن أبي عمرو بن علوان قال خرجت يوما إلى سوق الرحبة في حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لاصلي عليها ووقفت حتى يدفن الميت في جملة الناس فوقعت عيني على امرأة مسفرة من غير تعمد فالححت بالنظر واسترجعت واستغفرت الله تعالى وعدت إلى منزلي فقالت لي عجوز يا سيدي ما لي أرى وجهك اسود فاخذت المرآة فنظرت فإذا وجهي اسود فرجعت إلى سري انظر من اين دهيت؟ فذكرت النظرة فانفردت في موضع استغفر الله واساله الإقالة اربعين يوما فخطر في قلبي ان زر شيخك الجنيد فانحدرت إلى بغداد فلما جئت الحجرة التي هو فيها طرقت الباب فقال لي ادخل يا أبا عمرو تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد.

وعن أبي بكر محمد بن احمد قال سمت الجنيد يقول فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود.

وعن احمد بن عطاء قال قال الجنيد لولا انه يروى انه يكون في آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم.

وعن أبي القاسم المطرز قال سمعت الجنيد بن محمد يقول اضر ما على اهل الديانات الدعاوي.

وعن أبي بكر المفيد قال سمعت الجنيد يقول احذر ان تكون ثناء منشورا وعيبا مستورا.

---

(١) صفة الصفوة ١/٥١٥

وعن العباس بن عبد الله قال سمعت الجنيد بن محمد يقول المروءة احتمال زلل الاخوان.

وعن أبي القاسم النقاش قال سمعت الجنيد يقول الانسان لايعاب بما في طبعه انما يعاب إذا فعل ما ينافي طبعه.

وساله رجل كيف الطريق إلى الله فقال توبة تحل الاصرار وخوف يزيل الغرة ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات ومراقبة الله في خواطر القلوب.

وقال أبو الحسن سمعت الجنيد يقول ليس يتسع على ما يرد علي من العالم لاني قد اصلت اصلا وهو ان الدار دار غم وهم بلاء وفتنة وان العالم كله شر ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما اكره فان تلقاني بما احب فهو فضل والا فالاصل الاول.

وعن جعفر بن القاسم قال سمعت الجنيد يقول كان يعارضني في بعض اوقاتي ان." (١)

"الرزق المقسوم والامر المكتوب فان لم تجد إلى الرضا سبيلا فاستعمل الصبر فإنه رأس الإيمان فان لم تجد فعليك بالتجمل ولا تشك من ليس باهل ان يشكي وهو من اهل الشكر والثناء لقديم ما اولى فإذا اضطررت وقل صبرك فألجا إليه بهمك واشك إليه بشك **واحذر** ان تستبطئه وتسيء به ظنا فان لك شيء بسبب ولك سبب اجل ولكل اجل كتاب ولكل هم من الله فرج ومن علم انه بعين الله استحيا ان يراه يرجو سواه ومن ايقن بنظر الله إليه اسقط اختيار نفسه ومن علم ان الله الضار النافع اسقط مخاوف المخلوقين فراقب الله في قربه واطلب الأمور من معادنها **واحذر** أن تعتمد على مخلوق أو تفشي إليه سرا أو تشكو إليه شيئا فان غنيهم فقير وفقيرهم ذليل في فقره وعالمهم جاهل في علمه وجاهلهم فاجر في فعله إلا القليل ممن عصم الله فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من العباد فانهم فتنة لكل مفتون.

وقال عبد الله بن سهل بات عندي أبو الحارث الاولاشي فسالته عن مفارقته إبراهيم بن سعد العلوي فقال كانت الدنيا طوع يديه فلما انتهى إلى الساحل قال لي ترجع قلت بل اصحبك فتفل في البحر فإذا جوق من سمك مصفوف فوق الماء كانه سرير فوثب إليه ثم قال لي الله خليفتي عليك قلت ادع لي. قال قد فعلت فاحفظ حدود الله وارحم خلقه إلا من عاند.." (٢)

"٣٠٥- عمرو بن عثمان المكي

يكنى أبا عبد الله سكن بغداد.

---

(١) صفة الصفوة ٥٢٠/١

(٢) صفة الصفوة ٥٢٧/١

عن ابي بكر القناديلي قال قال عمر بن عثمان المكي المروءة التغافل عن زلل الاخوان.

وقال العلم قائد والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك خداعة رواغة **فاحذرها** وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد.

وعن محمد بن علي بن الحسين قال سمعت عمرو بن عثمان يقول واغماه من عهد لم يقم له بوفاء ومن خلوة لم تصحب بحياء ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبدا.

وعن ابي بكر محمد بن احمد القناديلي قال قال عمرو بن عثمان المكي لقد وبخ الله التاركين للصبر على دينهم بما اخبرنا عن الكفار انهم قالوا: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ [ص: ٦٠] فهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه.

وقال عثمان بن سهل دخلت على عمرو بن عثمان المكي في علته التي توفي فيها فقلت له كيف تجدك فقال اجد سري واقفا مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام.

سمع عمرو من يونس بن عبد الاعلى والربيع بن سليمان بن سيف الحراني وغيرهم.

وكان يقول ما صحبت احدا كان انفع لي صحبته ورؤيته من ابي عبد الله الساجي.

وتوفي ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين وقيل سبع وتسعين قيل احدى وتسعين ويقال مات بمكة والاول اصح رحمه الله.

٣٠٥- عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص الإمام الرباني شيخ الصوفية أبو عبد الله المكي الزاهد توفي بعد سنة ٣٠٠هـ.." (١)

"ودخل بعض اصحابنا يوما على الشبلي وهو يقول افلا شجا بحنين افلا رنة بانين من قلب قريح حزين افلا شارب بكاس العارفين افلا مستيقظ عن رقدة الغافلين يا مسكين ستقدم فتعلم وينكشف الغطاء فتندم.

وقال الشبلي العارف سيار الى الله عز وجل تعالى غير واقف.

وسئل وانا حاضر أي شيء اعجب قال قلب عرف ربه ثم عصاه.

وكان الشبلي ينوح يوما ويقول مكر بك في احسانه فتناسيت وامهلك في غيك فتماديت واسقطك من عينه فما دريت ولا باليت.

---

(١) صفة الصفوة ٥٣١/١

وقال ليت شعري ما اسمي عندك غدا يا علام الغيوب وما انت صانع في ذنوبي ياغفار الذنوب وبم تختم عملي يا مقلب القلوب؟

قال وكان الشبلي يقول في جوف الليل قرة عيني وسرور قلبي ما الذي اسقطني من عينك ثم يصرخ ويبكي.

قال وقال الشبلي لا تأمين على نفسك وان مشيت على الماء حتى تخرج من دار الغرة الى دار الامل.

وقال الشبلي اذا وجدت قلبك مع الله **فاحذر** من نفسك واذا وجدت قلبك مع نفسك **فاحذر** من الله.

وقال احمد الحلقاني سمعت الشبلي يقول من عرف الله عز وجل لا يكون له غم وسمعته يقول احبك الخلق لنعمائك وانا احبك لبلائك.

وعن ابي حاتم الطبري قال سمعت ابا بكر الشبلي يقول ان اردت ان تنظر الى الدنيا بحذافيرها فانظر الى مزبلة فهي الدنيا واذا اردت ان تنظر الى نفسك فخذ كفا من تراب فانك منه خلقت وفيه تعود ومنه تخرج واذا اردت ان تنظر ما انت فانظر ماذا يخرج منك في دخولك الخلاء فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتطاول أو أن يتكبر على من هو مثله. وعن الحسين بن احمد الهروي قال سمعت ابا بكر الشبلي يقول ليس للاعمى من رؤية الجوهرة الا مسها وليس للجاهل من الله الا ذكره باللسان.

وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري وكان يخدم الشبلي ما الذي رأيت منه؟ يعني عند وفاته فقال قال لي علي درهم مظلمة تصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضئي للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك علي لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات.." (١)

"وقال ابو الفتح القولس لحقتني اضافة في وقت من الاوقات فنظرت فلم اجد في البيت غير قوس لي وخفين كنت البسهما فاصبحت وقد عزمت على بيعهما. وكان يوم مجلس ابي الحسين بن سمعون فقلت في نفسي احضر المجلس ثم انصر ف فابيع الخفين والقوس فحضرت فلما اردت الانصراف ناداني ابو الحسين يا ابا الفتح لا تبع الخفين ولا تبع القوس فان الله سياتيك برزق من عنده او كما قال.

وعن علي بن طلحة المقري قال سمعت ابا الحسين بن سمعون يقول كل من لم ينظر بالعلم فيما لله عليه فالعلم حجة عليه وبال.

وسمعته يقول الصادقون الحذاق هم الذين نظروا الى ما بذلوا في جنب ما وجدوا فصغر ذلك عندهم فاعتذروا.

وسمعته يقول قللوا اهتمامكم لكم ووفروا اهتمامكم بكم وتوسدوا اوسادا من الشكر والبسوا لباسا من الذكر

---

(١) صفة الصفوة ١/٥٤١

والتحفوا لحافا من الخوف تفوزوا بمدحة الرب الله ان تستهينوا بشيء يوجب الذم دون ان تستهينوا بما يوجب العقوبة.

وسمعته يقول يا هذا تظلم الى ربك منك واستنصره عليك ينصرك.

وسمعته يقول احزنوا على ما فاتكم واسفوا على تقصيركم واحرزوا بضائعكم من التلف لا تخرج القطاع عليها.

وسمعته يقول كل داء عرف دواؤه فهوصغيرة والذي لم يعرف له دواء كبير.

وسمعته يقول اجهد يا هذا ان يسرق منك ولا يسرق لك.

وسمعته يقول احذروا الصغائر فان النقط الصغار اثار في الثوب النقي.

وسمعته يقول احذر ان ترى عملك لك فان رايته لك كنت ناظرا الى ليس لك.

وسمعته يقول من الوقاحة تمنيك مع توانيك استوف من نفسك الحقوق ثم وفها الحظوظ حسب ما يكفيها لا ما يطغيها قفها بين الجنة والنار تأباك الجنة بكل معنى وتقبلك النار بجملتك.

وسمعته يقول معنى قوله: لا يزال عبدي يتحبب إلي حتى أحبه قال: حتى أظهر له حبي لأنه لم يزل محبا.

وسمعته يقول الخير كله في هذا الزمان ترك ما الناس عليه ومص النوى وسف الرمل وانشدنا:." (١)

"٣٣٣- بكر بن شاذان بن بكر أبو القاسم

قرأ القرآن على جماعة وسمع الحديث من جعفر الخلدي وابي بكر الشافعي وغيرهما وكان يقرىء القرآن ويروي الحديث ويعظ الناس وكان من قوام الليل واهل التقوى.

عن الحسن بن غالب المقرىء ان بكر بن شاذان وابا الفضل التميمي جرى بينهما كلام فبدر من ابي الفضل كلمة ثقلت على بكر وانصرفا ثم ندم التميمي فقصد ابا بكر بن يوسف وقال له قد كلمت بكرا بشيء قد خفي عليه وندمت على ذلك فاريد ان تجمع بيني وبينه فقال له ابن يوسف سيخرج لصلاة العصر. فخرج بكر وجاء إلى ابن يوسف التميمي عنده فقال له التميمي اسالك ان تجعلني في حل فقال بكر سبحان الله ما فراقتك حتى احللتك وانصرف.

قال التميمي قال لي والدي يا عبد الواحد احذر ان تخاصم من اذا نمت كان منتبها.

قال ابن غالب وكان لبكر ورد من الليل لا يخل به.

توفي في يوم السبت التاسع من شوال سنة خمس واربع مائة ودفن بمقبرة باب حرب.

---

(١) صفة الصفوة ١/٥٥٠

٣٣٣- هو: بكر بن شاذان بن بكر أبو القاسم المقرئ الواعظ ولد في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ومات في شوال من سنة خمس وأربعمائة وله نيف وثمانون سنة تاريخ بغداد ٩٦/٧. رقم ٣٥٣٧.." (١)

"ذكر المصطفيات من العابدات البغداديات المجهولات الأسماء

٣٦٨- عابدة

نوح الاسود قال رأيت امرأة تاتي أبا عبد الله البراثي فتجلس تسمع كلامه ولا تكاد تتكلم ولا تسال عن شيء فقلتت لها ذات يوم لا اراك يرحمك الله تتكلمين ولا تسالين عن شيء فقالت قليل الكلام خير من كثيره الا ماكان من ذكر الله والمنصت افهم للموعظة ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه وجملة الامر يا اخي ان اردت الله بطاعة ارادك الله برحمة وان سلكت سبيل المعرضين فلا تلم الا نفسك إذا صرت غدا في زمرة الخاسرين.

قال ثم استبكت فقامت وسمعتها تعظ ابنها يوما وتقول:

ويحك يا بني **احذر** بطالات الليل والنهار فتنقضي مهلات الاعمار وانت غير ناظر لنفسك ولا مستعد لسفرك ويحك يا بني ما من الجنة عوض ولا في ركوب المعاصي ثمن من حلول النار ويحك يا بني مهد لنفسك قبل ان يحال بينك وبين ذلك وجد قبل ان يجد الامر بك **واحذر** سطوات الدهر وكيد الملوون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلبها بالعبر فعند ذلك يهتم التقي كيفي ينجو من مصائبها.

ثم قالت بؤسا لك يا بني ان عصيت الله وقد عرفته وعرفت احسانه واطعت ابليس وقد عرفته وعرفت طغيانه.." (٢)

"قال: وقالت له يوما: ضيغم! قال: لبيك يا أماه. قالت: تحب الموت؟ قال: نعم يا أماه. قالت: ولم يا بني؟ قال: رجاء خير ما عند الله قال: فبكت العجوز وبكى فتسامع أهل الدار فجلسوا يبكون لبكائهم.

قال: وقالت له يوما آخر: ضيغم! قال: لبيك يا أماه. قالت: تحب الموت؟ قال: لا أماه. قالت: لم يا بني؟ قال: لكثرة تفريطي وغفلتي عن نفسي، قال: فبكت العجوز وبكى ضيغم واجتمع أهل الدار وجعلوا يبكون، وكانت أمه عربية كأنها من أهل البادية.

مالك بن ضيغم قال: حدثني الحكم بن نوح قال: بكى أبوك ليلة من أول الليل إلى آخره لم يسجد فيها سجدة ولم يركع فيها ركعة ونحن معه في البحر، فلما أصبحنا قلنا: يا مالك لقد طالت ليلتك لا مصليا ولا

---

(١) صفة الصفوة ٥٥٦/١

(٢) صفة الصفوة ٥٧٩/١

داعيا، قال: فبكى ثم قال: لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غدا ما لذوا بعيش أبدا، والله إني لما رأيت الليل وهوله وشدة سواده ذكرت به الموقف وشدة الأمر هناك، وكل امرئ يومئذ تہمه نفسه: ﴿لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا﴾ قال: ثم شهق ولم يزل يضطرب ما شاء الله.

مالك بن ضيغم قال: حدثتني خالتي حبابة بنت ميمون العتكية قالت: رأيت أباك ضيغما نزل ذات ليلة من فوق البيت بكوز وقد برد له حتى صبه ثم اكتاز من الحب ماء حارا فشرب فقلت له بعد ذلك: بأبي أنت قد رأيت الذي صنعت فمم ذاك؟ قال: حانت مني مرة نظرة إلى امرأة فجعلت على نفسي أن لا تذوق الماء البارد أيام الدنيا. فقلت: أنغص عليها الحياة.

محمد بن مالك بن ضيغم قال: حدثني مولانا أيوب قال: قال لي أبو مالك يوما: يا أبا أيوب احذر نفسك على نفسك فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي، وأيم الله لئن لم تأت الآخرة المؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران: هم الدنيا وشقاء الآخرة. قال قلت: بأبي أنت وكيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو ينصب لله في دار الدنيا ويدأب؟ قال: يا أبا أيوب فكيف بالقبول وكيف بالسلامة؟ ثم قال: كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه، قد أصلح قربانه، قد أصلح همته، قد أصلح عمله، يجمع ذلك يوم القيامة ثم يضرب به وجهه.

يحبى بن بسطام قال: قلت لجار ضيغم: هل سمعت أبا مالك يذكر من الشعر شيئا؟ قال: ما سمعته يذكر إلا بيتا واحدا. قلت: ما هو؟ قال:." (١)

"ذكر المصطفيات من عابدات البحرين المجهولات الأسماء

٦٥٦ - عابدة

عن عبد الواحد بن زيد قال: رأيت امرأة بالبحرين تنشج على الآخرة نشيجا، كلما نشجت نشجة قلت: نفسها خارجة معها، قال: فحرصت على أن أجاريها شيئا من الخير فلم أقدر على ذلك فكان أول ما حفظت عنها وآخره أن قالت: تشاغل أيها المرء بنفسك، فوالله ما هممت قط بموعظة أعظ بها غيري إلا حال تقصيري فيما بيني وبين ذلك، ولئن كان المرء لا يعظ أحدا حتى يتعظ، لقد أمكن إبليس من نفسه يقوده حيث يشاء، والله ما أنا بحامدة لنفسي في ذلك ولود إبليس أنه قدر على ذلك من جميع الخلق

---

(١) صفة الصفوة ٢/٢١٢

كما قدر عليه مني، فلم يكن أحد يحض على طاعة الله ولكن مر أيها المرء بالبر وإن لم تستطعه، **واحذر** أن تنهى عن الشر وتأتيه.." (١)

"الخادم: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق: كيف؟ قال: زعمت أن لك خالقا قادرا على كل شيء، وقد تعنيت إلى ها هنا لطلب الرزق. قال شقيق: فكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع فتصدق بجميع ما ملك وطلب العلم.

قال أبو عبد الله: سمعت شقيق بن إبراهيم يقول: خرجت من ثلثمائة ألف درهم وكنت مرابيا ولبست الصوف عشرين سنة وأنا لا أعلم، حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال لي: يا شقيق ليس الشأن في أكل الشعير، ولا لباس الصوف والشعر، الشأن في المعرفة، وأن تعبد الله تلا تشرك به. فقتل: فسر لي هذا؟ قال: يكون جميع ما تعمله لله خالصا. ثم تلا: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ الكهف.

محمد بن أبي عمران قال: سمعت حاتما الأصم يقول: كنا مع شقيق البلخي ونحن مصافوا الترك في يوم لا أرى فيه إلا رؤوسا تندر، وسيوفا تقطع، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين: يا حاتم كيف ترى نفسك في هذا اليوم؟ تراها مثلها في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ فقلت: لا والله. فقال: لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلها في الليلة التي زفت فيها امرأتي. قال: ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه، حتى سمعت غطيطه.

حاتم الأصم قال لي شقيق البلخي: إصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها **واحذر** أن تحرقك.

حاتم قال: سمعت شقيقا يقول: مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن تحمل شوكا ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكا وهو يطمع أن يحصد تمرا هيهات، كل من عمل حسنا فإن الله لا يجزيه إلا حسنا، ولا ينزل الأبرار منازل الفجار.

أسند شقيق عن عباد بن كثير وغيره، وصحب إبراهيم بن أدهم.." (٢)

"ومن عقلاء المجانين ببيت المقدس:

٧٨١ - شاب

بلغنا عن أبي الجوال المغربي قال: كنت ببيت المقدس جالسا مع رجل صالح وإذا قد طلع علينا شاب

---

(١) صفة الصفوة ٢/٢٨١

(٢) صفة الصفوة ٢/٣٣٩

والصبيان حوله يقذفونه بالحجارة ويقولون: مجنون فدخل المسجد وهو ينادي اللهم أرحني من هذه الدار. فقلت له: هذا كلام حكيم فمن أين لك هذه الحكمة؟ فقال: من أخلص له في الخدمة أورثه طرائف الحكمة وأيده بأسباب العصمة، وليس بي جنون وولق؛ بل قلق وفرق. ثم جعل يقول:

هجرت الورى في حب من جاد بالنعم ... وعفت الكرى شوقا إليه فلم أنم

وموهت دهري بالجنون عن الورى ... لأكتم ما بي من هواه فما انكتم

فلما رأيت الشوق والحب بائحا ... كشفت قناعي ثم قلت: نعم نعم

فإن قيل: مجنون فقد جنني الهوى ... وإن قيل: مسقام فما بي من سقم

وحق الهوى والحب والعهد بيننا ... وحرمة روح الأنس في حندس الظلم

لقد لامني الواشون فيك جهالة ... فقلت لطرفي أفصح العذر فاحتشم

فعاتبهم طرفي بغير تكلم ... وأخبرهم أن الهوى يورث السقم

فبالحلم يا ذا المن لا تبعدنني ... وقرب مزاري منك يا بارئ النسم

فقلت له: أحسنت لقد غلط من سماك مجنونا، فنظر إلي وبكى وقال: أولا تسألني عن القوم كيف وصلوا فاتصلوا؟ فقلت: بلى أخبرني؟ فقال: طهروا له الأخلاق، ورضوا منه بيسير الأرزاق، وهاموا من محبته في الآفاق، وائتزروا بالصدق، وارتدوا بالإشفاق، وباعوا العاجل الفاني بالآجل الباقي، وركضوا في ميدان السباق، وشمروا تشمير الجهابذة الحذاق، حتى اتصلوا بالواحد الرزاق، فشردهم في الشواهق وغيبهم عن الخلائق، لا تؤويهم دار ولا يقرهم قرار، فالنظر إليهم اعتبار، ومحبتهم افتخار، وهم صفوة الأبرار، ورهبان أخيار، مدحهم الجبار ووصفهم النبي المختار، إن حضروا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن ماتوا لم يشهدوا. ثم أنشأ يقول:

كن من جميع الخلق مستوحشا ... من الورى تسري إلى الحق

واصبر فبالصبر تنال المنى ... وارض بما يجري من الرزق

واحذر من النطق وآفاته ... فآفة المؤمن في النطق." (١)

"ذكر المصطفين من أهل العواصم والثغور

٧٩٠ - أبو عمرو الأوزاعي

واسمه عبد الرحمن بن عمرو، والأوزاع بطن من همدان. كذلك ذكره محمد بن سعد. وقال البخاري في

---

(١) صفة الصفوة ٢/٣٩٨

تاريخه: الأوزاع: قرية بدمشق إذا خرجت من باب الفراديس.

ولد سنة ثمان وثمانين وسكن بيروت وبها مات.

يحيى بن عبد الملك بن أبي عتبة، قال: كتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد، فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به والسلام.

عباس بن الوليد قال: أخبرني أبي قال: سمعت الأوزاعي يقول: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوما فيوما وساعة فساعة، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا وتقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم إلى يوم؟.

عن ضمرة عن الأوزاعي قال: الناس عندنا أهل العلم.

عن الهقل بن زياد، عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته: أيها الناس، تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فإنكم في دار الثواء فيها قليل وأنتم فيها مؤجلون خلائف من بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها فهم كانوا أطول منكم أعمارا وأمد أجساما وأعظم آثارا فخددوا الجبال وجابوا الصخور ونقبوا في البلاد مؤيدين ببطش شديد وأجسام كالعماد فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مددهم وعفت آثارهم وأخوت منازلهم وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا، كانوا بلهو الأمل آمنين لبيات قوم غافلين أو لصباح قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياتا من عقوبة الله عز وجل فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمة وزوال نعمة ومساكن خاوية فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وعبرة لمن يخشى، وأصبحتم من بعدهم من أجل منقوص ودين ا مقبوضة في زمان قد ولى عفوه

---

٧٩٠ - هو: عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو، الفقيه، ثقة جليل، من السابعة، مات سنة سبع وخمسين.." (١)

"بصحبة من تذكرك الله عز وجل رؤيته، وتقع هيبته على باطنك، ويزيد في عملك منطقة، ويزهدك في الدنيا عمله، ولا تعصي الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله، ولا يعظك بلسان قوله.

وسمعت ذا النون يقول سقم الجسد في الأوجاع، وسقم القلوب في الذنوب، فكما لا يجد الجسد لذة

---

(١) صفة الصفوة ٢/٤٠٤

الطعام عند سقمه، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب. وسمعته يقول: من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم.

يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: ما خلع الله عز وجل على عبد من عبيده خلعة من العقل، ولا قلده قلادة أجمل من العلم، ولا زينه بزينة أفضل من الحلم، وكمال ذلك كله التقوى.

عبد القدوس بن عبد الرحمن قال: سمعت ذا النون يقول: إلهي لو أصبت موئلا في الشدائد غيرك، أو ملجأ في النوازل سواك لحق لي أن لا أعرض إليه بوجهي عنك، ولا أختاره عليك لقديم إحسانك إلي وحديثه، وظاهر منتك علي وباطنها، ولو تقطعت في البلاء إربا إربا أو انصبت علي الشدائد صبا صبا ولا أجد مشتكى لبثي غيرك ولا مفرجا لما بي سواك، فيا وارث الأرض ومن عليها، ويا باعث جميع من فيها ورث آملي فيك مني أملي، وبلغ همتي فيك منتهى وسائلي.

محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري قال: سمعت ذا النون يقول: **احذر** أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا. قلت: فكيف ذلك؟ قال: لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه. ثم قال: تعلق الناس بالأسباب تعلق الصديقون بولي الأسباب.

ثم قال: علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا، ومن علامة تعلق قلب الصديق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به. ثم قال: ليكن اعتمادك على الله عز وجل في الحال، لا على الحال مع الله. ثم قال: اعقل فإن هذا من صفة التوحيد.

محمد بن أحمد بن سلمة قال: سمعت ذا النون يقول، وقد سألته عند الفراق أن يوصيني فقال: لا يشغلنك عيوب الناس عن عيب نفسك، لست عليهم برقيب. ثم قال: إن أحب عباد الله إلى الله عز وجل أعقلهم عنه، وإنما يستدل على تمام عقل الرجل وتواضعه في عقله بحسن استماعه للمحدث إن كان به عالما وسرعة قبوله للحق وإن كان ممن هو دونه، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء منه.." (١)

"ذكر المصطفين من المجهولين الأسماء من عباد جبل لبنان

٨٧٢ - عابد

محمد بن حسان قال: بينا أنا أدور في جبل لبنان إذ خرج علي شاب قد أحرقته السموم والرياح، عليه طمر رث، وقد سقط شعر رأسه على حاجبيه. فلما نظر إلي ولى هاربا مستوحشا. فقلت له: يا أخي، موعظة لعل الله عز وجل أن ينفعني بها. فالتفت إلي وهو مار فقال: يا أخي، **احذر** الحق فإنه غيور، ولا يحب أن

---

(١) صفة الصفوة ٢/٤٤٥

يرى في قلب عبده سواه.

٨٧٣ - عابد آخر

إبراهيم بن الجنيد قال: حدثني أبو فروة السائح قال: بينا أنا أسح في جبل لبنان إذ جن الليل علي وأنا في بعض أوديته، فإذا بصوت محزون وهو يقول: يا من آنسني بقربه، وأوحشني من خلقه، وكان عند مسرتي ارحم اليوم عبرتي، فدنوت منه فإذا شيخ قد سقط حاجباه على عينيه. فلما أحس بي نفر وقال: إنسي أنت؟ قلت: إنسي. قال: إليك عني، فمنك فررت.

٨٧٤ - عابد آخر

يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا أسير على جبل لبنان في جوف الليل إذا أنا بعريش من ورق البلوط، وإذا شاب قد أخرج رأسه من العريش بوجه أحسن من القمر. فقال: شهد لك قلبي في النوازل بمعرفة درجة الفضل لك، وكيف لا يشهد لك قلبي بذلك ولا يحسن بقلبي أن يألف غيرك؟ هيهات لقد خاب لديك المقصرون عنك. ثم أدخل رأسه في عريشه وفاتني كلامه، فلم أزل واقفا إلى أن طلع الفجر ثم أخرج رأسه فنظر إلى القمر فقال: إلهي أشرقت بنورك السموات، وأنارت بنورك الظلمات، وحجبت جلالك عن العيون فوصلت به معارف القلوب، ثم قال: بالتجائي إليك في حزني انظر إلي نظرة من ناديته فأجاب، فوثبت إليه فسلمت عليه فرد علي السلام. فقلت: رحمك الله أسألك عن مسألة؟ قال: لا. قلت: ولم ذاك؟ قال: ما خرج روعك من قلبي. قلت: حبيبي وما الذي أفزعك مني؟ قال: بطالتك في يوم شغلك، وتركك الزاد ليوم معادك، ووقوفك على الظنون يا ذا." (١)

"٩٢١ - عابد آخر

عبد الرحمن بن أبي نوح قال: ذكر لي عن رجل من العرب فهم وخير، فقصدت له في بعض البوادي حتى أصبته يسنو على بعير له. فقلت: قل لي كلاما أحفظه عنك يرحمك الله. قال: لا تطلق لسانك فإن الفعل أولى بك من القول. قلت: رحمك الله إن دليل العمل القول ومفتاحه المعرفة. فأعجب بقولي. ثم أقبل علي فقال: يا أخي إن الشفقة لم تزل بالمؤمن حتى أوفدته على خير حال، وإن الغفلة لم تزل بالفاجر حتى أسلمته إلى شر حال، وما خير عمر امرئ لا يدري ما عاقبة أمره، وما خير عيش لا يكمل ما حفظ منه، ولئن كانت الرغبة في الدنيا هي المستولية على قلوبنا كما استولت على أبداننا لقد خبنا غدا في القيامة وخسرنا.

---

(١) صفة الصفوة ٤٦٩/٢

٩٢٢ – عابد آخر

يحيى بن معاذ قال: كنت في سياحتي، فبينا أنا في بعض الفلوات إذ لاح لي كوخ من قصب، فقصدت نحوه فإذا أنا بشيخ مبتلي، قد أكل الدود لحمه، فوقع له في قلبي رحمة، فقلت له: يا شيخ أتحب أن أسأل الله تعالى أن يبرئك؟ قال: فرفع رأسه وهو أعمى فنظر إلي وقال: يا يحيى بن معاذ الرازي وإن لك عنده هذه الدالة فلم لا تسأله أن يبغض إليك شهوة الرمان؟ قال يحيى: وكنت قد اعتقدت مع الله عز وجل ترك الشهوات ما خلا الرمان فلم أقدر على تركه لحبي له. ثم نظر إلي وقال لي: يا يحيى بن معاذ **احذر** أن تتعرض لأولياء الله فتفتضح عندهم.

٩٢٣ – عابد آخر

أبو القاسم النصر آباذي قال: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: بقي إبراهيم سنة في البادية ما أكل ولا شرب ولا اشتهى شيئا. فقال: عارضتني نفسي أن لي عند الله عز وجل رتبة فلم أشعر أن كلمني رجل عن يميني فقال: يا إبراهيم ترائي الله في سرك؟ فنظرت إليه فقلت: قد كان ذلك. فقال: بحمد الله كم لي ههنا لم آكل ولم أشرب ولم أشته شيئا وأنا زمن مطروح؟ قلت: الله أعلم. قال: ثمانين يوما وأنا أستحي من الله عز وجل أن يقع لي خاطرك، ولو أقسمت على الله عز وجل أن يجعل هذا الشجر ذهبا لجعله، فكانت بركة رؤيته تنبيها لي ورجوعا إلى حالتي الأولى.." (١)

"موحش لعلي أجد قلبي ساعة يسلو عن الدنيا وأهلها. فقلت: وما جنت عليك الدنيا حتى استحقت هذا البغض منك؟ فقال: جناياتها العمى عن جناياتها. فقلت: هل من دواء أتعالج به من هذا العمى الذي قد حجب عني ما يراد بي؟ قال: ما أراك تقدر على العلاج فاستعمل من الدواء أيسره. قلت: صف لي دواء لطيفا. قال: فما داؤك؟ قلت: حب الدنيا. فتبسم وقال: أي قرحة أعظم من هذه؟ ولكن اشرب السموم الطرية والمكاره الصعبة. قلت: ثم ماذا؟ قال: مر الصبر الذي لا جزع فيه والتعب الذي لا راحة فيه، قلت: ثم ماذا؟ قال السلو عما تريد والصبر عما تحب، فإن أردت فاستعمل هذا وإلا فتأخر **واحذر** الفتن كأنها قطع الليل المظلم. قلت: فدلني على عمل يقرب إلى الله عز وجل. فقال: يا أخي قد نظرت في جميع العبادات فلم أر أنفع من الفرار من الناس وترك مخالطتهم، يا أخي رأيت القلوب عشرة أجزاء، فتسعة مع الناس وجزء مع الدنيا. فمن قوي على الانفراد حاز تسعة أجزاء من القلب. ثم غاب عني فلم أره.." (٢)

---

(١) صفة الصفوة ٤٩٦/٢

(٢) صفة الصفوة ٥٢٤/٢

"قال: فبكى وقال: لقد أغفلتم ما لا يغفلكم، ونسيتم ما تحصى عليكم الأنفاس لقدومه عليكم. قال: ثم مال ليسقط وسانده رجل من القوم فخرجت نفسه وإنا لننظر إليه. قال: فنظرنا لم نجد أحدا يعرفه. قال: فغسلناه وحنطناه وكفناه ودفناه.

١٠٠١ – عابد آخر

أسلم بن عبد الملك، وكان شيئا عجيبا، قال: صحب رجل رجلا شهرين فلم يره نائماص بليل ولا نهار، فقال له: ما لي لا أراك تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي، ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في غيرها.

١٠٠٢ – عابد آخر

عبد الله بن داود قال: حدثني رجل منذ خمسين سنة أو نحو خمسين سنة قال: كان مملوك لامرأة فكان يصلي الليل كله، فقالت له: ليس تدعنا ننام الليل؟ فقال لها: لك النهار ولي الليل، إذا ذكرت النار طار نومي، وإذا ذكرت الجنة طال حزني.

١٠٠٣ – عابد آخر

شعيب بن حرب قال: صحبني رجلان في سفينة فأخذ أحدهما حبة من حنطة فألقاها في فيه، فقال له صاحبه: مه أي شيء صنعت؟ قال: سهوت. قال: لأن تأكلني السباع أحب إلي من أن أصحب رجلا يسهو عن الله عز وجل. قال: ثم قال: يا ملاح قرب. قال: فخرج. قال شعيب: فسمعنا زئير الأسد من الغيضة فما ندري ما حال الرجل. قال شعيب: فالتفت إلي صاحبه فقال: إن هذا صاحبي منذ أربعين سنة أو نيف وأربعين سنة ما رأى علي زلة قبلها.

١٠٠٤ – عابد آخر

عن أيوب الحمال قال: كان فتى ينتحل التوكل، وكان عزيزا عند الأخذ من الناس، وكان إذا احتاج إلى قوته وجده موضوعا. فقيل له: احذر لا يكون الشيطان يخدعك. فقال: أنا إلى الله تعالى ناظر ومنه آخذ ما رزقني، فإن كان عدوي قد سخر لي فلا فرج الله عنه، وأي شيء أحسن مني؟ يخدمني عدوي وأنا أسكن إلى الله عز وجل لا إليه.

١٠٠٥ – عابد آخر

قال ممشاد الدينوري: رأيت في بعض أسفاري شيخا توسمت فيه الخير. فقلت له: يا سيدي كلمة تزودني

بها. قال: همتك فاحفظها فإن الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال.." [1]

"في حديث حجة الوداع سمعت الأعراب تقول الطبطبية الطبطبية

قال الأزهري هي حكاية وقع السياط كأنهم قالوا احذروا ذاك وقال غيره هي حكاية وقع الأقدام عند السعي يريد أقبل الناس إليه يسعون ولأقدامهم طبطبية

قال الشعبي كان معاوية كالجمل الطب يعني الحاذق بالضراب

في الحديث فقام الأطبج إلى أمه فألقاها في الوادي قال ابن الأعرابي الطبج استحكام الحماقة

في الحديث وفي الناس طباخ أصل الطباخ القوة والسمن ثم استعمل في العقل وغيره

في الحديث إذا أراد الله بعبد سوءا جعل ماله في الطبيخين وهما الجص والآجر

قوله من ترك ثلاث جمع طبع الله على قلبه أصل الطبع." [2]

"في الحديث مثل الغراب الأعصم قال أبو عبيد هو الأبيض اليدين ومنه قيل للوعول عصم والأنثى منهن عصماء وقال ابن شميل أبيض الجناحين لأن جناحي الطائر بمنزلة يديه وقال الأزهري هو الأحمر الرجلين

في الحديث مقيد بعصم والعصم جمع عصام وهو رباط الشيء ومنه عصام القربة

قوله أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري أي به أستمسك وعليه أعول

قوله لا ترفع عصاك عن أهلك أراد الأدب لا نفس العصا ويقال شق فلان عصا المسلمين أي فارق الجماعة ومنه قولهم إياك وقتل العصا أي احذر أن تكون قاتلا أو مقتولا في شق عصا المسلمين

في الحديث حرم شجر المدينة إلا عصا حديدة يعنى عصا تقطع وتجعل فيها حديدة كالحربة

باب العين مع الضاد

في الحديث تقطر العضاة يوم القيامة دما العضاة من الشجر ماله شوك ومن العضاة السمر والعرفط والعوسج نهى أن يضحى بالأعضب القرن وهو المكسور القرن." [3]

---

(١) صفة الصفوة ٢/٥٢٨

(٢) غريب الحديث لابن الجوزي ٢/٢٦

(٣) غريب الحديث لابن الجوزي ٢/١٠٢

"والصواب من جهة العربية غربا أي ملصقا ومنه الغراء الذي يلصق به وذكر الهروي في كتاب العين المهملة فقال كنت غريرا أي غريبا وهذا تصحيف فيه

في حديث السقيفة تغرة أن يقتلا أي **حذار** أن يقتلا وأراد أن في بيعتهما تغريرا بأنفسهما للقتل

في الجنين غرة قال أبو عبيد الغرة عبد أو أمة وأبو عمرو بن العلاء يقول لا يكون إلا للأبيض من الرقيق والأيام الغر هي أيام البيض

في الحديث غرة الإسلام أي أوله

في الحديث اقتلوا الكلب الأسود ذا الغرتين وهم النكتتان البيضاوان فوق عينيه

في الحديث لا تطرقوا النساء ولا تغتروهن أي لا تدخلوا إليهن على غرة

في الحديث لا غرار في صلاة وهو النقصان من واجباتها." (١)

"في الحديث لا يؤمنكم أنصر ولا أزن ولا أقرع الأنصر الأقلف والأزن الحاقن والأقرع الموسوس

في الحديث فإذا وجد فجوة نص النص التحريك حتى يستخرج من الناقة أقصى سيرها والنص أصله منتهى الأشياء وغايتها ومنه قول علي إذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى فنص الحقاق غاية البلوغ يعني إذا بلغت المبلغ الذي تصلح أن تخاصم وتخاصم وهو الحقاق فالعصبة أولى بها من أمها

قالت أم سلمة لعائشة ما كنت صانعة لو عارضك رسول الله ببعض الفلوات ناصة قلوصا أي رافعة لها في السير

قال عمرو بن دينار ما رأيت أنص للحديث من الزهري أي أرفع له يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه

قال كعب يقول الجبار **احذروني** فإني لا أناص عبدا إلا عذبته

قال ابن الأعرابي لا أستقصي عليه نصص الرجل غريمه إذا استقصى عليه

في الحديث وما ينصنص بها لسانه أي يحركه يقال نصنص لسانه ونصنضه بالصاد والضاد لغتان إذا حركه ومنه حية نضناض إذا كانت سريعة التلوي لا تثبت مكانها." (٢)

"أهوى هوى الدين واللذات تعجبني ... فكيف لي بهوى اللذات والدين فقالت له دع أحدهما تنل الآخر وقد رويت لنا هذه الحكاية على غير هذا الوجه

فبلغنا عن عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان أحمد بن عثمان عن أبيه قال لقي عبد الله بن حسن امرأة

---

(١) غريب الحديث لابن الجوزي ٢/١٥١

(٢) غريب الحديث لابن الجوزي ٢/٤١١

جميلة في الطواف فلما نظرت إليه وإلى جماله مالت نحوه وطمعت فيه فأقبل عليها وقال

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني ... فكيف لي بهوى اللذات والدين

نفسي تزين لي الدنيا وزينتها ... وزاجري من حذار الموت يثنيني فتركته ومضت

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال خبرني أحمد بن عمر بن روح قال أنبأنا عبيد الله بن أحمد المقري قال أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي سعيد قال حدثنا حسين بن محمد يعني ابن فهم قال حدثنا أبي قال حدثني إسحاق الموصلي قال قال لي المعتصم يا إسحاق إذا نصر الهوى ذهب الرأي

أخبرنا عبد الخالق بن أحمد قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أنبأنا محمد بن علي بن الفتح قال أنبأنا ابن أخي ميمي قال أنبأنا الحسين بن صفوان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثني محمد بن إدريس قال حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني في قول الله عز وجل ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾ قال صبروا عن الشهوات

أخبرنا عمر بن ظفر قال أنبأنا جعفر بن أحمد قال حدثنا عبد العزيز بن علي قال حدثنا ابن جهضم قال حدثنا المفيد قال حدثنا عبد الرحمن بن أحمد قال سمعت محمد بن محمد بن أبي الورد يقول إن لله عز وجل يوما لا ينجو من شره منقاد لهواه

وإن أبطأ الصرعى نهضة يوم القيامة صريع شهوة

وإن العقول لما جرت في ميادين الطلب كان أوفر حظا من يطالبها بقدر ما استصحبته من الصبر

وإن العقل معدن والفكر معول." (١)

"الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ما أردت إلى هذا ما لي ولهذا والله لا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله

إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم

إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئا حتى يلقى الله عز وجل يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه

وبه قال حدثنا الآجري قال حدثنا ابن مخلد قال حدثنا علي بن إبراهيم قال حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا أبو مقاتل قال حدثنا عون ابن أبي شداد عن الحسن في وصية لقمان لابنه يا بني إن الإيمان قائد والعمل سائق والنفس حرون فإن فتر سائقها ضلت عن الطريق وإن فتر قائدها حرنت فإذا اجتمعا استقامت

---

(١) ذم الهوى ص/٢٥

إن النفس إذا أطمعت طمعت وإذا فوضت إليها أساءت وإذا حملتها على أمر الله صلحت وإذا تركت الأمر إليها فسدت

فاحذر نفسك واتهمها على دينك وأنزلها منزلة من لا حاجة له فيها ولا بد له منها

وإن الحكيم يذل نفسه بالمكاره حتى تعترف بالحق وإن الأحمق يخير نفسه في الأخلاق فما أحبت منها أحب وما كرهت منها كره

وبالإسناد قال حدثنا الآجري قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الحميد قال حدثنا هارون بن عبد الله قال حدثنا سيار قال حدثنا جعفر بن سليمان قال حدثنا حجاج بن الأسود قال سمعت قتادة يقول يا ابن آدم إن كنت تريد أن لا يأتي الخير إلا عن نشاط فإن نفسك إلى السآمة والفتور والملل أقرب ولكن المؤمن هو العجاج والمؤمن هو المتوقي والمؤمن هو المتشدد وإن المؤمنين هم العجاجون إلى الله عز وجل بالليل والنهار والله ما زال المؤمنون يقولون ربنا ربنا في السر والعلانية حتى استجاب لهم." (١)

"قال ابن جهضم وسمعت ابن سمعون يقول في مجلسه ما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة أو تمثال فإذا كان الملك لا يدخل بيتا فيه صورة أو تمثال فكيف تدخل شواهد الحق قلبا فيه أوصاف غيره من البشر

أخبرنا إبراهيم بن دينار الفقيه قال حدثنا محمد بن سعيد بن نبهان قال أنبأنا الحسين بن الحسن النعالي قال أنبأنا أحمد بن نصر الذارع قال حدثني حرب قال حدثني منصور بن محمد قال قالت رقية العابدة الموصلية إني لأحب ربي حبا شديدا فلو أمر بي إلى النار لما وجدت للنار حرارة مع حبه ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبه لأن حبه هو الغالب علي

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال أنبأنا أحمد بن محمد البخاري قال أنبأنا علي بن محمود الزوزني قال أنبأنا أبو طالب أحمد بن علي الفامي قال أنبأنا علي بن المثنى قال سمعت إبراهيم بن شيبان يقول سمعت محمد بن حسان أو ابن أبي حسان يقول كنت مارا في البادية فإذا أنا براهب قد أحرقته السموم والرياح فقلت له عظني فقال لي **احذر** فإنه غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده أحدا سواه

أنبأنا ابن ناصر قال أنبأنا محمد بن الحسن الباقلاني قال أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي قال حدثنا أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي قال حدثني محمد بن عبيد الله قال حدثنا أحمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن سعيد التميمي العابد قال رأيت فتى في بعض سواحل الشام فقلت يا فتى منذ كم أنت ها هنا

---

(١) ذم الهوى ص/٤٢

قال لا أدري

فقلت ولم قال لأنه قبيح بمن يحب أن يحصي الأوقات على من يحبه ثم أنشدني." (١)

"اجتمع عند الإسكندر نفر من الفلاسفة فذكروا يوما تولد المحبة من النظر فقال أحدهم النظر أوله أسف وآخره تلف

وقال آخر من طاوع طرفه تابع حتفه

أخبرنا ابن ناصر قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أنبأنا الجوهري قال حدثنا ابن حيويه قال أنبأنا ابن المرزبان إذنا قال حدثني محمد بن علي ابن بشر المصري قال حدثني الفضل بن عاصم المنقري قال بينا رجل يطوف بالكعبة إذ بصر بامرأة ذات جمال وقوام فأفتنته وشغلت قلبه فأنشأ يقول

ما كنت أحسب أن الحب يعرض لي ... عند الطواف ببيت الله ذي الستر

حتى ابتليت فصار القلب مختبلا ... من حب جارية حوراء كالقمر

ياليتني لم أكن عاينت صورتها ... لله ماذا توخاني به بصري

فاحذر يا أخي وفقك الله من شر النظر فكم قد أهلك من عابد وفسخ عزم زاهد وسترى في غضون هذا الكتاب ما تعتبر به من قصص من فتنة النظر فاتعظ بذلك وتلمح معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم لأن السهم يسري إلى القلب فيعمل في الباطن قبل أن يرى عمله في الظاهر **فاحذر** من النظر فإنه سبب الآفات إلا أن علاجه في بدايته قريب فإذا كرر تمكن الشر فصعب علاجه

وأضرب لك في ذلك مثلا إذا رأيت فرسا قد مالت براكبها إلى درب ضيق فدخلت فيه ببعض بدنها ولضيق المكان لا يمكن أن تدور فيه فصيح به ارجعها عاجلا قبل أن يتمكن دخولها فإن قبل وردها خطوة إلى ورائها سهل الأمر وإن توانى حتى ولجت ثم قام يجذبها بذنبها طال تعبه وربما لم يتهيأ له." (٢)

"وقال أيضا

فعرضتني فلو أني على حذر ... لم يحتكم ناظري في لذة النظر

وكنت أغضي ولا أقضي له وطرا ... منها لعلمي بعقبى ذلك النظر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين العين موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته ... لامرحبا بسرور عاد بالضرر وقال أيضا

---

(١) ذم الهوى ص/٨٠

(٢) ذم الهوى ص/٩٤

وإذا ما تكاملت عندك القوة فاحذر مستضعف الأجفان وقال ... وقال مهيار

ما أعف النفوس يا صاحبي شكواي لولا عراضة الأحداق ... وله سافر طرفي مع الظعائن بالسفح ... وآب الفؤاد بالخبل

نظرة غر جنت مقارعة ... يفتك فيها الجبان بالبطل

وقال أبو علي بن الشبل

حتم على الأعين الطوامح أن تنقاد ... قسرا للأعين النجل

ما كان أجدى لوم اللوائم لو ... كان فؤادي في الجب من قبلي

وللوزير أبي شجاع

لأعذبن العين غير مفكر ... فيها جرت بالدمع أم فاضت دما." (١)

"فلم تكلمه فقال نعم يروى عن سفيان الثوري أنه قال مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسي من شيطانيه

أخبرنا أبو الحسن بن علي بن عبد الواحد قال أنبأنا علي بن عمر القزويني قال قرأت على يوسف بن عمر قلت له حدثكم أحمد بن سليمان إملاء قال حدثنا الحارث بن محمد قال سمعت محمد بن عمرو ذكره عن شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول احذروا هؤلاء الأحداث

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت وأنبأنا عمر ابن ظفر قال أنبأنا جعفر بن احمد قالا أنبأنا عبد العزيز بن علي الأزجي قال حدثنا ابن جهضم قال حدثنا محمد بن علي بن المأمون قال حدثنا أبو علي الروذباري بمصر قال قال لي أبو العباس بن أحمد المؤدب يا أبا علي من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الأنس بالأحداث فقلت له يا سيدي أنت بهم أعرف وقد تصحبهم السلامة في كثير من الأمور فقال هيهات قد رأينا من هو أقوى إيمانا منهم إذا راء الحدث قد أقبل يفر كفراره من الزحف وإنما ذلك على حسب الأوقات التي تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط قال أبو علي وسمعت جنيدا يقول جاء رجل إلى أبي عبد الله أحمد ابن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له من هذا قال ابني فقال أحمد لا تجيء به معك مرة أخرى فلما قام قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ وفي رواية الخطيب قيل له أيد الله الشيخ إنه رجل." (٢)

---

(١) ذم الهوى ص/١٠١

(٢) ذم الهوى ص/١١١

"قلت يا حبيبي متى ألقاك وأين أطلبك فقال أما في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائي فيها وأما الآخرة فإنها مجمع المتقين فإياك أن تخالف الله فيما أمرك وندبك إليه فإن كنت تبغي لقائي فاطلبني مع الناظرين إلى الله عز وجل في زمرتهم

قلت وكيف علمت ذاك قال بغض طرفي له عن كل محرم واجتنابي فيه كل منكر ومأثم وقد سألته أن يجعل جنتي النظر إليه

ثم صاح واقبل يسعى حتى غاب عن بصري

فتفهم يا أخي ما أوصيك به إنما بصرك نعمة من الله عليك فلا تعصه بنعمه وعامله بغضه عن الحرام تربح **واحذر** أن تكون العقوبة سلب تلك النعمة وكل زمن الجهاد في الغض لخطة فإن فعلت نلت الخير الجزيل وسلمت من الشر الطويل ألم تسمع قول القائل

إني إذا ذل الحريص ... عززت في ظل القناعه

وأقول للنفس اطمئني ... فالشجاعة صبر ساعه

وقال الآخر

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته ... يوم النزال ونار الحرب تشتعل

لكن فتى غض طرفا أو ثنى بصرا ... عن الحرام فذاك الفارس البطل

وقال الآخر

صبرت عن اللذات حتى تولت ... وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أطمعت تاقت وإلا تسلت." (١)

"أبو محمد البلخي قال حدثنا محمد بن موسى الحنفي قال حدثنا عمي وليد بن يعقوب قال حدثني أبي قال دخل مسلمة بن عبد الملك على أخيه هشام ابن عبد الملك وعنده خادم جميل عليه عمامة سوداء وثياب وشي فقال مسلمة يا أمير المؤمنين أي فتياننا هذا قال هذا خادم لي فقال يا أمير المؤمنين يدخل على حرمك مثل هذا قال إنه مجبوب لا يقدر على النساء قال إنه إن لم يقدر عليها ذكرها الرجال قال فأخرجه هشام

فاحذر رحمك الله من أن تتعرض بسبب البلاء فبعيد أن يسلم مقارب الفتنة منها

---

(١) ذم الهوى ص/١٤٣

وكما أن الحذر مقرون بالنجاة فالتعرض بالفتنة مقرون بالعطب

وندر من يسلم من الفتنة مع مقاربتها

على أنه ما يسلم من فكر وتصور وهمة

وكل هذا زلل

هذا لو كانت الخلوة بالأجنبية مباحة لم تسلم من هذه الآفات فكيف وهي محرمة." (١)

"ابن القاسم الشاهد قال حدثنا علي بن إسحاق المادرائي قال حدثنا المفضل ابن محمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبري قال قال الفضيل بن عياض قال الله عز وجل يا بن آدم إذا كنت أقلبك في نعمتي وأنت تنقلب في معصيتي فاحذر لا أصرعك بين معاصيك يا بن آدم اتقني ونم حيث شئت إنك إن ذكرتني ذكرتك وإن نسيتني نسيتك والساعة التي لا تذكرني فيها عليك لا لك

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال أنبأنا حمد بن أحمد قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا أبو سلمة محمد بن حيان قال حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس قال حدثنا سهل يعني ابن هاشم قال سمعت إبراهيم بن أدهم يقول سمعت فضيلا يقول ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك كيف ترى يكون حالك أنبأنا أحمد بن علي بن المجلى قال أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب قال أنبأنا أبو الحسين بن بشران قال حدثنا الحسن بن صفوان قال حدثنا أبو بكر القرشي قال حدثنا مجاهد بن موسى قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا ثور عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير قال لما افتتح المسلمون قبرص فرق بين أهلها فجعل بعضهم يبكي إلى بعض فبكى أبو الدرداء فقلت له ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله وأذل الشرك وأهله

قال دعنا منك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره بينا هي أمة قاهرة قادرة إذ تركوا أمر الله تعالى فصاروا إلى ما ترى

أخبرنا ابن ناصر قال أنبأنا عبد القادر بن يوسف قال أنبأنا أبو محمد الجوهري." (٢)

"قال صباح ففعلت الذي أوصاني به الفتى ولم أزل أطلبه حتى انتصف النهار فإذا أنا برجل عريان قد سقط شعر رأسه على حاجبيه وإذا هو قد حظر حظيرة من تراب وهو قاعد في وسطها وإلى جانبه أحجار وهو يخطط بإصبعه في الأرض فلما رآني أهوى إلى حجر ووثب ليقوم فقعدت ناحية أرمي ببصري إلى غيره

---

(١) ذم الهوى ص/١٥١

(٢) ذم الهوى ص/٢١١

ولا أحفل به ثم إنه رجع إلى عبثه وتخطيطه فقلت له أتعرف ليلى قال بأبي والله هي فكيف لا أعرفها قلت لله قيس بن ذريح حيث يقول

وإني لمفن دمع عيني بالبكا ... حذارا لما قد كان أو هو كائن

وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة ... فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي ... بكفيك إلا أن ما حم حائن

فقال أنا والله أشعر منه حيث أقول

نعب الغراب ببين ليلى إنه ... كان الكتاب ببينهم مخطوطا

أصبحت من أهلي الذين أحبهم ... كالسهم أصبح ريشه ممروطا

ثم وثب مسرعا إلى ظباء سنحت له فغاب عني فتبعته فجعلت أقفو أثره إلى آخر النهار فما وقعت عيني عليه ثم غدوت في اليوم الثاني فجعلت أطوف عليه في تلك الفيافي حتى إذا جنني الليل انصرفت فلما كان في اليوم الثالث طلبته فإذا أنا به عريان بين أحجار ميت

أخبرنا ابن أبي منصور قال أنبأنا أحمد بن محمد البخاري وأخبرتنا شهدة قالت أنبأنا أبو محمد بن السراج قالا أنبأنا الحسن بن علي قال أنبأنا ابن حيويه قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم القرشي قال حدثني العباس بن هشام عن أبيه هشام بن محمد بن السائب أن رجلا من." (١)

"فلما طال عليها ذلك وخشيت أن تبدي به وقفت في بعض طرقه التي كان يمر فيها فقالت

ألا أيها الساهي وليس بذي سهو ... رويدك إني عنك لست بذي لهو

قال فوقف فقال لها ما حاجتك فقالت أتنصف من ناظرك أم تجوز عليه في حكمك إذ صير أمره إليك فقال لها ويحك إني قد أنكرت مقالتك إنكارا شديد واستوحشت منها جوارحي وما أجد إلى الوقوف معك سبيلا أحتج به عند ربي غدا ثم ولى وتركها

فأتى منزله مغموما منا فلزم منزله فكان لا يخرج منه حذارا أن يلقاها فتكلمه

قال وكانت امرأة ذات جمال وهيبة وجعلت تطلبه وتسأل عنه من يعرفه فيخبرها أنه قد لزم بيته فلما طال ذلك عليها كتبت بهذه الأبيات

تقول التي قد شفها حب ناسك ... وأمرضها حتى تغير حالها

وصيرها مثل القضيب بروضة ... تزعزعه ضعفا هناك شمالها

---

(١) ذم الهوى ص/٣٩٨

وخلاه للأحزان فردا معذبا ... ومالي والأحزان مالي ومالها

أفي النسك أن لا ترحم اليوم عاشقا ... شكا حرقة في القلب من ظالم لها

قال وبعثت بها إليه وقالت للرسول أخبريه بما ترى من شدة الألم فلعل الله أن يسهل أمره ويعطف قلبه ولا تقصري في ترغيبه في وماله في ذلك من الأجر

قال فأتته المرأة فاستأذنت عليه فأذن لها فدخلت عليه فسلمت عليه وقالت أيها الرجل إني قد حملت نفسي على أمر لم يكن من شأني غير أني تحملته." (١)

"ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك فبان منك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال أنبأنا علي بن محمد بن العلاف قال أنبأنا علي بن أحمد الحمامي قال أنبأنا محمد بن الحسين الحريري قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبد الله قال حدثنا يحيى بن عبد الملك قال كتب الأوزاعي إلى أخ له أما بعد فإنه قد أحيط بك من كل جانب واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة **فاحذر** الله والقيام بين يديه وأن يكون آخر عهدك به والسلام

أخبرنا المحمدان بن عبد الملك وابن ناصر قالا أنبأنا أحمد بن الحسن المعدل قال حدثنا عبد العزيز بن علي قال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد الحافظ قال حدثنا إبراهيم بن نصر قال حدثني إبراهيم بن بشار قال سمعت الفضيل بن عياض يقول بلغني أن رجلا كتب إلى داود الطائي أن عظني بموعظة

قال فكتب إليه أما بعد فاجعل الدنيا كيوم صمته عن شهوتك واجعل فطرك الموت فكأن قد والسلام

قال فكتب إليه زدني فكتب إليه أما بعد فارض من الدنيا باليسير مع سلامة دينك كما رضي أقوام بالكثير مع ذهاب دينهم والسلام." (٢)

"وقال ابن عمر: إذ أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح.

وقال الحسن: ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، أنا رزق الله، أنا أبو علي بن شاذان، أنا أبو جعفر بن بريه، أنا أبو بكر بن عبيد، أنا أحمد بن إبراهيم، ثنا السري بن يوسف، عن محمد بن أبي توبة، قال:

---

(١) ذم الهوى ص/٥١٦

(٢) ذم الهوى ص/٦٦٩

أقام معروف الكرخي الصلاة، ثم قال لي: تقدم.

فقلت: إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها.

فقال معروف: وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى؟ نعوذ بالله من طول الأمل؛ فإنه يمنع خير العمل.

وقد روينا: أن أكبر جنود إبليس: سوف.

وكان بعض العلماء يقول: **احذروا**: سوف.." (١)

"بمالك، فسأل أبي: ما هذا؟ فقيل له: مالك وإذا بين يديه صبية سوداء تلقط النوى فقال: قاتل الله الذي يقول:

(**احذر** على ماء العشيرة والهوى ... على مالك يا لهف نفسي على مالك)

وأي شيء كان يتعشق من مالك، إنما هي جرة سوداء، قال: تقول الصبية: أي بأبي إنه والله كان له بها شجن لم يك لك.

[١٠٠] أنبأنا محمد بن ناصر قال أنبأ أبو الحسن بن عبد الجبار قال أنبأ أبو محمد الجوهري قال: أنبأ أبو عمر بن حيوية قال ثنا محمد بن خلف قال: أخبرني أبو الفضل الكاتب عن أبي محمد العامري قال: قال إسماعيل بن جامع، كان أبي يعظني في الغناء ويضيق علي، فهربت منه إلى أخوالي باليمن، فأنزلني خالي غرفة له مشرفة على نهر في بستان، وإني لمشرف منها إذا طلعت سوداء معها قربة فنزلت إلى المشرعة فجلست ووضعت قربتها وغنت:

(إلى الله أشكو بخلها وسماحتي ... لها عسل مني وتبذل علقما)

(فردي مصاب القلب أنت قتلته ... ولا تتركيه هائم القلب مغرما)

وذرفت عيناها واستقر بي ما لا قوام لي به، ورجوت أن ترده، فلم تفعل." (٢)

"عواقبه مستحسن، فينبغي للعبد المتيقظ أن لا يخلي نفسا من أنفاسه عن فعل خير، فإن كل نفس خزانة، وليعد لكل عمل جوابا، فإن السؤال عنه لا بد منه، وليتأهب للرحلة التي لا يدري متى تقع، وليراقب من يراه سرا وعلانية، فإنه إن تكلم سمع، وإن نظر رأى، وإن تفكر علم، والجنة اليوم في السماء تزخرف،

---

(١) حفظ العمر لابن الجوزي ص/٥٨

(٢) تنوير الغبش في فضل السودان والحبش ص/١٨٣

والنار تحت الأرض توقد، والقبر عن قليل يحفر، والملكان عن يمين وشمال، والصحائف تملأ بالخير أو الشر، فاغتنم يا هذا صحتك في هذا الزمن قبل وجود الزمن، واعمر دار البقاء بإنقاص من دار الفناء، وإياك أن تغفل عن نفسك، فإن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، ولا تذهب لحظة إلا في فعل خير، وأقل مراتب الأفعال الإباحة، واستوثق من قفل البصر وغلق اللسان، فإنه إن فتحهما الهوى نهب ما في القلب من الخير. وزاحم الفضلاء في أعمالهم، وقد أجمع الحكماء أنه لا تنال راحة براحة، ومثل لنفسك عاقبة الطاعة ومغبة المعصية، فكأنه ما شبع من شبع، ولا التذ من عصى، ولا تألم من صبر، وأين لذة [لقمة] آدم؟ وأين مشقة صبر يوسف؟ **واحذر** من مخالطة أهل هذا الزمان، فإن الطبع يسرق عادات المعاشرين، ولتكن مخالطتك للسلف بالاطلاع على أحوالهم. وحادث القرآن بالفكر فيه في الخلوات، وتصفح جهاز الرحيل قبل أن تفاجأ بغتة، فلا ترى عندك غير الندم.." (١)

"الفصل الخامس: ذم الدنيا

أيها العبد: تفكر في دنياك كم قتلت، وتذكر ما صنعت بأقرانك، وما فعلت، **واحذرها** فإنها عما لا بد منه قد شغلت، وإياك أن تساكنها فإنها إن حلت رحلت.

روى عمار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «مر بشاة ميتة قد ألقاها أهلها، فقال: والذي نفسي بيده إن الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» .

وكان يقول في صفة الدنيا: «أولها عناء، وآخرها فناء.

حلالها حساب وحرامها عقاب.

من استغنى بها فتن، ومن افتقر إليها حزن، ومن سعى لها فاتته، ومن نأى عنها أتته، ومن نظر إليها أعمته، ومن بصر بها بصرته» .

وصفها بعض العلماء، فقال: جمة المصائب، رنقة المشارب، لا تفي لصاحب.

وقال يحيى بن معاذ: الدنيا خمر الشيطان: من شربها لم يفق إلا بين عساكر الموتى، نادما بين الخاسرين قد ترك منها لغير ما جمع، وتعلق بحبل غرورها فانقطع، وقدم على من يحاسبه على الفتيل والنقير والقطمير، فيما انقرض عليه من الصغير والكبير، يوم تزل بالعصاة القدم، ويندم المسيء على ما قدم.

يا من حيات حياته بالآفات لوادغ، وأغراضه المنقلبة إليها منقلبة زوائغ، وشياطين هواه بينه وبين ما هو له

---

(١) تنوير الغبش في فضل السودان والحبش ص/٢٥١

نوازع، وسهام سهوه في لهو دينه بوالغ قد جرحت الحجر على قلبه فأنساه الحجر الدامغ، إن وعظ فساه، وإن قوم فزائغ، قلبه ملآن بالهوى، ومن التقى فارغ كأني بك، وسيف الممات في دم الحياة والغ، نازلك فانزلك بالنوى عن الأعالي النوابغ، وتقضي التيامن نبات سلب الحلي الصايغ، ومر إليك فمر عليك الشراب السايغ، وطمس شموس عزك المنيرات النوازغ وخرق دروع المنيعات السدايغ، أين من جمع الأموال وحماها، واها لمن جمعها واقتناها، تناهي أجله وما تناهي، كم سلبت الدنيا أقواما أقواما كانوا فيها وعادت عزهم أحلاما أحلاما، فتفكر في حالهم كيف حال، وانظر إلى من مال إلى مال، وتدبر أحوالهم إلى ماذا آل، وتيقن أنك لا حق بهم بعد ليال، عمرك في مدة ونفسك معدود، وجسمك بعد مماتك مع دود، كم أملت أملا فانقضى الزمان وفاتك، وما أراك تفيق حتى تلقى وفاتك، **فاحذر** زلل قدمك، وخف طول ندمك، واغتنم وجودك قبل عدمك، واقبل نصحي لا تخاطر بدمك.." (١)

"الفصل الثامن: امقت نفسك وازدرها

إخواني: من تفكر في ذنوبه تاب ورجع، ومن تذكر قبيح عيوبه ذل وتواضع، ومن علم أن الهوى يسكن تصبر، ومن تلمح إساءته لم يتكبر.

كان يزيد الرقاشي يقول: والهفاه، سبق العابدون وقطع بي، وكان قد صام اثنين وأربعين سنة.

وقال حذيفة المرعشي: لو أصبت من يبغضني حقيقة، لأوجبت على نفسي حبه.

فيا أيها العبد، عد على نفسك باللوم والمقت، **واحذرها**، فكم ضيعت عليك من وقت؟ واندم على زمان الهوى، فمن كيسك أنفقت، ونادها يا محل كل بلية فقد والله صدقت.

روى وهب بن منبه: أن رجلا صام سبعين سنة يأكل كل سنة إحدى عشرة تمرة، وطلب حاجة من الله فلم يعطها، فأقبل على نفسه فقال: من قبلك بليت، لو كان فيك خيرا أعطيت، فنزل إليه ملك فقال: إن ساعتك هذه التي ازدريت فيها على نفسك خير من عبادتك، وقد أعطاك الله حاجتك.

وقال فضيل بن عياض: أخذت بيد سفيان بن عيينة في هذا الوادي، فقلت له: إن كنت تظن أنه قد بقي على وجه الأرض شر مني ومنك، فبئس ما ترى.

وقال رجل لأبي الحسن الموسمي: كيف أنت؟ فقال: خفيت أضراسي من أكل نعمة، وكل لساني من كثرة ما أشكوه.

---

(١) مواعظ ابن الجوزي – الياقوتة ص/٦٧

يا وقفا مع هواه وأغراضه، يا معرضا عن ذكر عوارضه إلى أعراضه، يا غافلا عن الموت وقد جد بمقراضه، وعلم اندباغ عمر أغراضه، سيعرف خبره إذا أحاط به أشد أمراضه وأخرج من خضرات الديار وروضه، وألقي في لحد وحيد يخلو برضراضه، وعلم أنه باع أغراضه، يا من بالهوى كلامه وحديثه، وفي المعاصي قديمه وحديثه، وعمره في خطايا خفيفه وأثيثه، من له إذا ألحد في قبره من يغيثه، من له إذا حامت حول حماه الردي ليوثه، من له من كرب لا يرحم عطاشه، من له من جحفل لايهدم كباشه، من له من لحد لا يدفع حشاشه، من له من جدث عمله فيه فراشه، من له من قبر فعل فيه معاشه، من له من موقف لا يرد بطاشه، من له يومئذ، ولا يقوى نجاشه، من له من حساب عقاب رذاذه يردي ورشاشه، من يخلصه اليوم من هوى قد أسرته رشاشه، كم عاهد ونكث، كم آثر الهوى وعبث، كم غره غرير بالسحر قد نفث، تالله لقد بولغ في توبيخه وما اكترث، ولقد بعث إليه، ولقد بعث إليه النذير وما يرى من بعث، قلبه مشغول بالهوى ولسانه بالرفث، كلما أصبح معاهدا وأمسى نكث، ظاهر صحيح وباطن قبيح خبيث، سيندم يوم الضريح من القبيح حرث، سيبكي ندمان الهوى يوم الظمأ عند اللهث، سيعرف حيرة المعاصي إذا حل الحدث، سيرى سيره إذا ناقش السائل أو بحث، سيفرغ السن ندما إذا نادى ولم بعث، عجبا لجاهل باع تعذيب النفوس براحات الجثث، القلب أسير بالحزن، والدمع غزير بالشجن، والفكر يذيب القلب، فما مثل الفكر على البدن؟! ، كم بت ودمعي منهم لم يذرأ في وجدي ثمن؟ واها لزمان طاب لنا وما أسرع ما ولى وفنى، ما غردت الوراقى على غصن إلا وأهاجت حزنى، يا عيني أعيني قلبا قلقا بالدمع، ليطفي نار الشجن أصبحت أسيرا في خطئي، وذنوبي قد ملأت بدني، أبكي زللى أبكي خللى، أبكي علمى كي يرحمني، من لي يوم الشدة ينقذني، من كرب الموت يخلصني، ونزلت وحيدا في جدث، قفر وكأني من لبن، أين الأقران وما قرنوا؟ بالموت جميعا في قرن، كم سرت على ربع لهم، وأطلت مسائلة الزمن [يا دار حبيبي: أين هم عهدي بهم قبل المحن؟ قالت لي دارهم: دارت بهم أماني الزمن] ، أسرتهم قوة فهم أسراء الحيرة والحزن، تركوا المال لغيرهم، ولم يصحبهم غير الكفن، تالله لقد سئلوا عما قد كانوا فيه من الفتن، فتيقظ قبل لحاقهم، من طوال الرقدة والوسن.." (١)

"الفصل العاشر: جاهد نفسك

أيها العبد: حاسب نفسك في خلوتك، وتفكر في انقراض مدتك، واعمل في زمان فراغك لوقت شدتك،

---

(١) مواعظ ابن الجوزي - الياقوتة ص/٧٥

وتدبر قبل الفعل ما يملى في صحيفتك، وانظر: هل نفسك معك أو عليك في مجاهدتك، لقد سعد من حاسبها، وفاز والله من حاربها، وقام باستيفاء الحقوق منها وطالبها، وكلما ونت عاتبها، وكلما تواقفت جذبها، وكلما نظرت في آمال هواها غلبها.

قال عليه الصلاة والسلام: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وطالبوا بالصدق في الأعمال قبل أن تطالبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا، وتزينوا للعرض الأكبر: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ .

وقال الحسن البصري رحمه الله: أيسر الناس حسابا يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله عز وجل في الدنيا فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإ كان الدين لله هموا بالله وإن

[كان] عليهم أمسكوا، وإنما يثقل الحساب على الذين أهملوا الأمور، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر فقالوا: ﴿يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ .

وقال أبو بكر البخاري: من نفر عن الناس قل أصدقاؤه، ومن نفر عن ذنوبه طال بكاؤه، ومن نفر عن مطعمه طال جوعه وعناؤه، ونقل توبة بن المعلم أنه نظر يوما وكان محاسبا لنفسه، فإذا هو ابن ستين إلا عاما، فحسبها أياما، فإذا هي إحدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتي! ألقي المليك بإحدى وعشرون ألف ذنب وخمسمائه ذنب، فكيف ولي في كل يوم عشرون ألف ذنب؟ ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت، فسمعوا هاتفا يقول: يا لها من ركضة إلى الفردوس الأعلى.

إخواني: المؤمن مع نفسه لا يتوانى عن مجاهدتها، وإنما يسعى في سعادتها، فاحترز عليها واغتنم لها منها، فإنها إن علمت منك الجد جدت، وإن رأتك مائلا عنها صدت، وإن حثها الجد بلحاق الصالحين سعت وقفت، وإن تواني في حقها قليلا وقفت، وإن طالبها بالجد لم تلبث أن صفت وأنصفت، وإن مال عن العزم أماتها، وإن التفت عربدت، من صبر على حر المجلس خرج إلى روح السعة، من رأى التناهي في المبادي سلم، ومن رأى التناهي هلك، لأن مشاهدة التناهي تقصير أمله، ومشاهدة المبادي في التناهي تسوف عمله، وفي الجملة: من راقب العواقب سلم.

يا هذا: هلال الهدى لا يظهر في غيم الشبع، ولكن يبدو في صحو الجوع وترك الطمع، **واحذر** أن تميل إلى حب الدنيا فتقع، ولا تكن من الذي قال: سمعت وما سمع، ولا ممن سوف يومه بغده فمات ولا

رجع، كلا ليندمن على تفريطه وما صنع، وليسألن عن تقصيره في عمله وما ضيع، فيا لها من حسرة وندامة وغصة تجرع، عند قراءة كتابه وما رأى فيه وما جمع، فبكى بكاء شديدا فما نفع، وبقي محزونا لما رأى من نور المؤمن يسعى بين يديه وقد سمع، فلا ينفعه الحزن ولا الزفير ولا البكاء ولا الجزع.." (١)

"الفصل الحادي عشر: احذر النار

إخواني: لقد خاب من آثار شهوة من حرام، فإن عقباها تجرع حميم آن، وخسر - والله - من أطلق نفسه فيما تريد، بعد أن سمع الزبانية وأغلال الحديد، وهلك كل الهلك وبار كل البوار، من اشترى لذة ساعة بعذاب النار.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة» .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ناركم هذه مما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من جهنم» .

وروى ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، يجرونها» .

وقال وهب بن منبه: إذا سيرت الجبال، فسمعت حسيس النار، نقيضها وزفيرها وشهيقها، صرخت الجبال كما تصرخ النساء، ثم يرجع أوائلها على أواخرها يدق بعضها بعضا.

وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يعظم أهل النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعا، وإن ضرسه مثل أحد» .

وروى الزهري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الحميم ليصب على رءوسهم (فينفذ الحميم) حتى يخلص إلى جوفه فيلهب ما في جوفه، حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر ثم يعاد كما كان» .

وقال أبو موسى: أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت.

لله در أقوام أذهبوا أعمارهم في طلبي وأتبعوا أعضاءهم في فرضي وواجبي وقطعوا قواطعهم لأجل التعلق بي، وحلموا عن الجهال خوفا من غضبي، فإذا مروا على النار،

---

(١) مواعظ ابن الجوزي - الياقوتة ص/٨٣

قالت: جريا يا مؤمن فقد أطفأ نورك نورك لهبي.
إذا رأت النار من جاهد بالخير، وما خافت خافت، وإذا شاهدت نفوسا طال ما صافت صافت، وإذا عاينت أجساما ما نبتت من الحرام وعافت عافت.
هلا تشبهت يا هذا بهؤلاء القوم، هلا تنبهت من هذا الرقاد والنوم، وأنت وقت العشاء نائم، وقلبك في حب شهوات البهائم [هائم] ، قل للذي ألجأه عاجل لهوه عن حظه، يحكي البهائم هائما: أمسنا الفنا، خذ حكمة تخصنا بها، فانظر ولا تبغ الفنا يا نائم،
يا هذا: المحب يطرد فلا يزول وأنت تدعى فلا تجب.
كم ليلة ينادي – وأنت غائب –: هل من سائل؟ هل من تائب؟
فإن تمنعوا مني السلام فإنني ... لغاد على حيطانكم فمسلم
رحم الله عظما طالما نصبت وانتصبت، فإذا جن الليل عليهم فتمكن وثبت وثبت، إن ذكرت عدله رهبت وهربت، وإن تفكرت فضله فرحت وطربت، اعترف عن طاعته أنها قد أذنبت، وقامت شاكرة لمن جمعها على إحسانه فنبت، لا حت لها ذنوبها فبكت عليها وندبت وصاحت بها ألسن الغفران، فاهتزت وربت:
قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرا ... عن أهلها أو صادقا أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى فعز الملتقى
طرق الخيال وقال لي يا مدعي ... أتنام بعد فراق جيران اللقى؟
وحياتكم قسما بأني صادق ... لا طاب لي من بعدكم فيكم بقا
يا سادة مذ حملوا أجمالهم ... ما أورثني بعدهم إلا الشقا
أترى الأرض خلت منهم أم لم ترهم، كلا لو وصفت أعمالهم عرفناهم، أما الأحياء منهم، فالقطرة تجري مجراهم، أما أمواتهم فمعنى الأحبار معناهم.
قف يا هذا على قبورهم ونادهم، واستنشق ريح فضلهم، فهل المعاني في اجتهادهم ضائر الريحان معهم في وسادهم:
كم قد وقفت وأحبابي بمنزلة تبيت يقظانا ولهانا وأهلانا
فهاجها حين حيانا النسيم بما ... سقيا وألقى بالجرع حينا

نبكي فيسعدنا كور المطى فهل ... نحن المشوقون فيها أم مطايانا

ولا من قطر الأشياء ما وجدت ... كوجدنا العيس بل رقت لشكوانا." [١]

"الفصل الخامس والعشرون: احذر الغفلة

قال الله عز وجل: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾ .

فإن اختلف المفسرون في المراد بمقام ربه على قولين:

أحدهما: إنه قيام العبد بين يدي ربه يوم الجزاء.

والثاني: إنه قيام الله تعالى عباده فأحصى ما اكتسب، والمراد بالهوى ههنا، ما يهوى العبد من المحارم، فيذكر مقامه للحسنات، واعلم: أن من تفكر عند إقدامه على الخطيئة في نظر الحق إليه رده فكره خجلا مما هم به، فالناس في ذلك على مراتب فمنهم من يتفكر عند جولان الهم بالذنب فيستحي من مساكنة ذلك الخاطر، وهذا مقام أهل الصفا، ومنهم من قويت أسباب غفلته فهو ساكن ذلك الهم إلا أنه لا يعزم عليه، ومنهم من يزعم لقوة غفلته، فهو يستسقي إقدامه فيما عزم عليه، ومنهم من زاد على ذلك بمقارنته المحظور ومداناته، ثم تدركه اليقظة، وإنما يكون هذا على مقدار تكاثف الغفلة وقلتها، فيفكر عند خاطره في عظمته من قد علم، وعند يقظه في جلال من قد سمع، وعند فعله في عزة من قد رأى، وهذا الفكر إنما نبت عن إصرار راسخ من الإيمان في القلب راعاه الحق إليه حذار علته ومعاملة صادقه في الخلوة، إلا أن الغفلة عن التذكرة والسعي على جادة الهوى غشى على القلب، وران عليه فإذا هم بخطيئة أو قاربها اقتلب مراعاة الحق إليه، خذ مراعاته بحق الحق قبل ذلك كما قال الله عز وجل: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ ، وقال: ﴿وكان أبوهما صالحا﴾ ، وكما جاء في الحديث: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» .

فما ينفر طائر قلبه من وسخ العزم على الذنب ثم عام في بحر الحياة خجلا مما هم به يخرج نقيا بعد الوسخ طاهرا بعد النجس، لأن الأصل محفوظ بالصدق ومرهون بالإيمان، ولولا لطف الحق لكشف حجب الغفلة لبراقع الذنب، غير أنه أراه برهان الهدى فرجع، وأقام له هاتف التقوى فخشع، والقلوب تحن إلى ما اعتادت وألفت، وتنازع إلى ما مرنت عليه وعرفت.

أما سمعت قول عمر بن أبي:

---

(١) مواعظ ابن الجوزي – الياقوتة ص/٨٧

بينما نحن في ولادك فالقاع ... سراعا والعيش يهوي هويا

خطرت خطرة على القلب من ... ذكراك وهنا فما أطقت مضيا

قلت للشوق إذا دعاني ... لبيك وللحاديين ردوا المطيا

أثارهم بعدهم وما صنعوا ... تخبرنا أتنا لهم تيع

يا واقفا بالديار مكتئبا ... يندب قوما من ملكهم نزعوا

ادخل إلى الدار فهي خالية ... من سادة في التراب قد وضعوا

إذا تأملتهم كأنهم ما ... نظروا نظرة ولا سمعوا

ولا جرى بينهم مذاكرة ... ولا لنصر سعوا ولا نفعوا

كانوا كركب خطور رحالهم ... فما استراحوا حتى لها رجعوا

تم كتاب الياقوتة على التمام والكمال، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.." (١)

"وذكر أهل التفسير أن التولي في القرآن على أربعة أوجه: -

أحدها: الانصراف، ومنه قوله تعالى في براءة: ﴿قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا﴾ ، وفي النمل: ﴿ثم تول عنهم﴾ ، وفي القصص: ﴿ثم تولى إلى الظل﴾ .

والثاني: الإباء، ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم﴾ ، وفي المائدة: ﴿**واحذرهم** أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا﴾ .

والثالث: الإعراض، ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ ، وفي يونس: ﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر﴾ ، وفي النور: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا﴾ ، وفي الذاريات: ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾ .." (٢)

"﴿وهم لا يفتنون﴾ ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ .

والرابع: العذاب. ومنه قوله تعالى في النحل: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ ، وفي العنكبوت: ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ .

والخامس: الاحراق بالنار. ومنه قوله تعالى في الذاريات: ﴿يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم﴾ ، وفي البروج: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ .

---

(١) مواعظ ابن الجوزي - الياقوتة ص/١١٧

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص/٢١٥

والسادس: القتل. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ ، وفي يونس: ﴿على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾ .

والسابع: الصد. ومنه قوله تعالى في المائدة: ﴿واحذرهم أن يفتنوك﴾ ، وفي بني إسرائيل: ﴿وإن كادوا ليفتنوك﴾ .

والثامن: الضلالة. ومنه قوله تعالى في المائدة: ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ ، وفي الصافات: ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾ .

والتاسع: المعذرة. ومنه قوله تعالى [في الأنعام] : ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ .." (١)

"فلينظر الشاب في أي مقام هو، فليس لمقامه مثل، وليتلمح شرف بضاعته وثمنها المستوفى. فالصبر الصبر؛ فإن الساعي يصبر عن النكاح مع كونه شابا شديد الشبق، فيقال له أحسنت. فليصبر الشاب ليقال له: (هذا يومكم) .

وليحذر زلله في الشباب؛ فإنها كعيب قبيح في سلعة مستحسنيه.

ومن زل في الشباب فلينظر أين لذتها! وهل بقي إلا حسرتها الدائمة التي كلما خطرت له تألم، فصار ذكرها عقوبة، ومن خرق ثوب التقى بيع بالخلق والمكسور.

قال (الجنيد) - رحمه الله -: لو أقل عبد على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان الذي فاته أكثر مما حصل له.

وكان بعض السلف - رحمه الله - يقول: وددت لو أن يدي قطعتا وغفر لي عن ذنوب الشباب.

قال المصنف - رحمه الله -: قلت يوما في الوعظ: أيها الشاب أنت في بادية، ومعك جواهر نفيسة وتريد أن تقدم بها على بلد الجزاء، فاحذر أن يلقاك غرار من الهوى فيشتري ما معك بادون ثمن، فتقدم البلد." (٢)

"فترى الرابحين فتفقع أسفا، وتبكي لهفا، وتقول: (يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) هيهات أن يرد الأسف ما سلف.

ومما قلته من الشعر في هذا المعنى:

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص/٤٧٩

(٢) تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ص/٤٩

أما الشباب فظلمة للمهتدى ... وبه ضلال الجاهل المتمرد

ليس الذي ترك الذنوب مشيبا ... كالتارك لها وقت شعر أسود

فافرح إذا جاهدت نفسك صابرا ... يا صاح صح في اللهو يا نار اخمدي

اغنم مديحة يوسف في صبره ... واحذر تعجل آدم في المفسد

لولا اجتباه لكان شينا فاضحا ... يعصى فيالك من حزين مكمد

فاقمعه بالصبر الجميل ودم على ... الصوم الطويل فإنه كالمبرد

واغضض جفونك عن حرام واقتنع ... بحلال ما حصلت تحمد في غد

ودع الصبا فالله يحمد صابرا ... يا نفس هذا موسم فتزودي

الصبر عن شهوات نفسك توبة ... فاثبت وغالط شهوة لم ترقد

تحمد هناك إذا هواك تركته ... يا سعد تسعد بالمعاش الأرغد

إن شئت نيل المفاخر في الطريق الأبعد." (١)

"البركات بن علي البزاز نا الطريثيثي نا هبة الله بن الحصين نا عيسى بن علي نا البغوي نا أبو سعيد الأشج نا يحيى بن اليمان قال سمعت سفيان الثوري قال البدعة أحب إلى إبليس من المعصية المعصية يثاب منها والبدعة لا يثاب منها١ أخبرنا ابن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسين بن علي ثنا محمود بن غيلان ثنا مؤمل بن إسماعيل قال مات عبد العزيز بن أبي داود وكنت في جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثوري فقال الناس جاء الثوري فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه فجاوز الجنازة ولم يصل عليه لأنه كان يرمي بالإرجاء أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري نا عبد الله بن أحمد السمرقندي نا أحمد بن أحمد بن روح النهرواني ثنا طلحة بن أحمد الصوفي ثنا محمد بن أحمد بن أبي مهزول قال سمعت أحمد بن عبد الله يقول سمعت شعيب بن حرب يقول سمعت سفيان الثوري يقول من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الأصفهاني ثنا إسماعيل بن أحمد نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكريري قال مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاء شديدا فقيل له ما يبكيك أتجزع من الموت قال لا ولكني مررت على قدري فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن علي قالا أخبرنا أبو محمد الصريفيني نا أبو

---

(١) تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ص/٥٠

بكر بن عبدان نا محمد بن الحسين البائع ثنى أبي ثنا محمد بن بكر قال سمعت فضل بن عياض يقول من جلس إلى صاحب بدعة **فاحذروه** أخبرنا ابن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن النضر ثنا عبد الصمد بن يزيد قال سمعت فضيل بن عياض يقول من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا محمد بن علي ثنا عبد الصمد قال سمعت الفضيل يقول إذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ في طريق آخر ولا يرفع الصاحب البدعة إلى الله عز وجل عمل ومن أعان صاحب

بدعة فقد أعان على هدم الإسلام وسمعت رجلا يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها فقال له الفضيل من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيئاته.

---

١ أثاب الرجل وثاب رجع.." (١)

"الصحيح من غيره بجمع الطرق وإنما كان مرادهم العوالي والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلانا ولي من الأسانيد ما ليس لغيري وعندي أحاديث ليست عند غيري وقد كان دخل إلينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده في الرقة وهي البستان الذي على شاطيء دجلة فيقرأ عليه ويقول في مجموعاته حدثني فلان وفلان بالزقة ويوهم الناس أنها البلدة التي بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب في الأسفار لطلب الحديث وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات ويقول حدثني فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان في طلب الحديث وكان يقول حدثني فلان في رحلتي الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبه في طلب الحديث فما بورك له ومات في زمان الطلب.

قال المصنف: وهذا كله من الإخلاص بمعزل وإنما مقصودهم الرساة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليتفرد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك في مشيخته فحسب.

ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم في بعض طلبا للتشفي ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل مقصد خبث هؤلاء سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان علي بن المديني يحدث عن أبيه وكان ضعيفا ثم

---

(١) تلبيس إبليس ص/١٥

يقول وفي حديث الشيخ ما فيه أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعيد بن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكويه ثنا بكر أن ابن أحمد الجيلي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سألت حارثا المحاسبي عن الغيبة فقال **احذرها** فإنها شر مكتسب وما ظنك بشيء يسلبك حسناتك فيرضى به خصماءك ومن تبغضه في الدنيا كيف ترضى به خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته إذ ليس هناك درهم ولا دينار **فاحذرها** وتعرف منبعها فان منبع غيبة الهمج والجهال من إشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل مالا يصح من الخبر ولو صح ما كان عونا على الغيبة وهو قوله أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس ولو كان الخبر محفوظا صحيحا لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه وإنما إذا جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمتي من فلان فعرفت منه." (١)

"ذكر تلبيسه عليهم في الوضوء

منهم من يلبس عليه في النية فتراه يقول أرفع الحدث ثم يقول أستبيح الصلاة ثم يعيد فيقول أرفع الحدث وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لأن النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر أملا يحتاج إليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ ومنهم من يلبس عليه بالنظر في الماء المتوضأ به فيقول من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة الإسراف في الماء وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب والتعاطي على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة.

وتلبيس إبليس على هذا بأنك في عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة ولو تدبر أمره لعلم أنه في مخالفة وتفريط وقد رأينا من ينظر في هذه الوساوس ولا يبالي بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال: "ما هذا السرف يا سعد" قال أفي الوضوء سرف قال: "نعم وإن كنت على نهر جار" وفي الحديث عن أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه" أو قال "**فاحذروه**" وعن

---

(١) تلبيس إبليس ص/١٠٥

الحسن رضي الله عنه قال شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس في الوضوء وبإسناد مرفوع إلى أبي نعامة إن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إني أسألك الفردوس وأسألك فقال عبد الله سل الله الجنة وتعوذ به من النار فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور" وعن ابن شوذب قال كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صبا صبا ودلكا دلكا تعذيبا لأنفسهم وخلافا لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول أجل محصول عند العقلاء الوقت وأقل متعبد به الماء وقد قال صلى الله عليه وسلم: "صبوا على بول الأعرابي ذنوبا من ماء" وقال في المني: "أمطه عنك بأذخرة" قال وفي الحذاء طهوره بأن يدلك بالأرض." (١)

"الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ثنا يحيى بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك دينار قال إن من الناس ناسا إذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم وإذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم.

أخبرنا محمد نا حمد نا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا أحمد بن محمد اللالي ثنا أبو حاتم ثنا هدبة ثنا حزم قال سمعت مالك بن دينار يقول إنكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير إنكم في زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة **فاحذروهم** على أنفسكم لا يوقعكم في شباكهم.

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا أخبرنا حمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى مهنى الشامي ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس إليه فقال له هل لك أن أكلم بعض العشارين يجرون عليك شيئا وتكون معهم قال ما شئت يا أبا يحيى قال فأخذ كفا من تراب فجعله على رأسه.

أخبرنا المحمدان قالا نا حمد نا أحمد ثنا قارون بن عبد الكبير الخطابي ثنا هشام بن علي السيرافي ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبي ثنا مالك بن دينار قال كان فتى يتفرى فكان يأتيني فابتلي فولى الجسر فبينما هو يصلي إذ مرت سفينة فيها بط فنادى بعض أعوانه قرب لنأخذ لعامل بطة فأشار بيده سبحان الله أي بطتين قال فكان أبي إذا حدث بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق أنا ابن باكويه قال سمعت محمد بن خفيف يقول

---

(١) تلبيس إبليس ص/١٢٢

قلت لرويم أوصني فقال هو بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية أخبرنا بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدي نا أبو بكر أحمد بن محمد الأردستاني ثنا عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبي يقول بلغني أن رجلا قال للشبلي قد ورد جماعة من أصحابك وهم في الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط فأنشأ يقول:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

قال المصنف رحمه الله قلت واعلم أن هذه البهرجة في تشبيه هؤلاء بأولئك لا تخفي إلا على." (١)

"فلينظر الشاب في أي مقام هو، فليس لمقامه مثل، وليتلمح شرف بضاعتها وثمنها المستوفى بالصبر، فإن الساعي يصبر عن زوجته مع كونه شابا شديد الشبق ليسبق، فيقال له: أحسنت، فليصبر الشاب ليقال له: ﴿هذا يومكم﴾ ، وليحذر زلله في الشباب، فإنها كعيب قبيح في سلعة مستحسنة.

ومن زل من الشباب، فلينظر أين لذتها، وهل بقي إلا حسرتها الدائمة التي كلما خطر ذكرها للقلب تألم، فصار ذكرها للقلب عقوبة.

ومن خرق ثوب التقى بيع بالخلق والمكسور.

قال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه: لو أقبل عبد على الله عز وجل ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة واحدة، كان الذي فاته أكثر مما حصل له.

وكان بعض السلف رحمه الله يقول: وددت لو أن يدي قطعت، وعفي لي عن ذنوب الشباب.

قال المصنف: وقلت يوما في الوعظ: أيها الشاب! أنت في بادية، ومعك جواهر نفيسة تريد أن تقدم بها بلد الجزاء، فاحذر أن يتلقاك غرار الهوى، فيشتري ما معك بدون ثمن، فإنك إذا قدمت البلد،." (٢)

---

(١) تلبيس إبليس ص/١٦٩

(٢) مواسم العمر لابن الجوزي ص/٤٩